(تمت)



(فهرست كتاب الصراط المستقيم)

(يقول طه بن محمود قطريه رئيس التصحيح بالمطبعة الكبرى الاميريه)

حمدا لمن بعث الرسل بهداية السبل ونصبهم لايضاح المحجه لئلا يكون للناس على الله حجه وصلاة وسلاما على سيدنا محمد أفضل باعث اليه وأكرم مبعوث بكتاب مصدق لما بين يديه وعلى آله آل القرآن وأصحابه أصحاب الاحسان (أما بعد) فهذا مطبوع كريم سماه الصراط المستقيم حضرة مؤلفه الاستاذ الفاضل صديقنا الشيخ أحمد زناتى ناظر مدرسة القبة الخديويه وأستاذ العلوم العربية والدينية بها قصد فى هذا الكتاب «حفظه الله» الى بيان ما ترشد اليه آى القرآن من العقائد والعبادات والآداب الحسان ومن أجل هذا لحظته عين العناية من مولانا خديو مصر الاكرم وولى نعمتنا المعظم من بلغت رعيته بدولته الامانى أفندينا (عباس حلمى باشا) الثانى أدام الله طالع سعده وأمتعه بأنجاله الكرام وولى عهده فأصدر «أيد الله دولته» أمره الكريم بطبعه على حساب خزانته الخاصة ابتغاء نشر العلوم الدينيه فى أنحاء الديار الاسلاميه أبقاه الله للعلم والفضل مؤيدا ولجيش الجهل والضلال مبددا فأخذ فى طبعه بالمطبعة الاميريه مشمولا بنظر من عليه مكارم أخلاقه تثنى جناب وكيل المطبعة عزتلو محمد بك حسنى وتم طبعه فى أوائل ربيع الآخر من سنة ١٣٢٠ من هجرة من هو للانبياء ختام عليه وعلى آله وصحبه الصلاة والسلام ولما تم طبعه قلت مؤرخا

يا نعم أحمد جاءنا * يهدى الصراط المستقيم
ببيانه الحسن الذى * أربى على الدر النظيم
وكتابه الحق الذى * صدق الحديث عن القديم
أرنى كتابا مثله * مازالصحيح من السقيم
فبه اعتصم فهو المتين * وغيره البالى الرميم
واقطع جرائم الهوى * إن الهوى داء قديم
واسلم بدينك انه * الدين الحنيفى القويم
دين الخليل وأحمد * وأخيه عيسى والكليم
صلى عليهم ربنا * ماصح فى نظر الحكيم
يا نعم أحمد جاءنا * يهدى الصراط المستقيم

١٣٢٠	٦٨١	٣٣١	٢٩	٥٥	٥٣	١٧١

سورة	آية	

يسعى وراء ما يعود عليه بالخير والسعادة والا كانت نفسه أحقر الاشياء اليه وأخسها وأهونها لديه واذا كانت عنده كذلك فهي عند غيره أهون وأخس وأضيع ولا يرضى بذلك الا من لا قيمة للحياة عنده ـ وحيث ان الخيرات ليست من الاشياء التي تغشى الانسان في جميع آونته وانما هي شوارد يقتنصها من نصب شراك الحرص لتحصيلها وحبائل التيقظ لاقتناصها كان من الواجب على كل عاقل أن يكون لها بالمرصاد حتى اذا آنس غرة الحوائل دون الحصول عليها وثب عليها وثوب الاسد على فريسته واغتنم الفرصة في تحصيلها ليفوز بالخير ويحظى بالسعادة ـ ولذا حث جل شأنه على المسارعة الى فعل الخير والمبادرة الى تحصيله ونبه على فضل الذين يسارعون في الخيرات ونوه بذكر أخص أوصافهم التي امتازوا بها عن غيرهم فقال

المؤمنون ٥٨
إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ٥٩ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ
يُؤْمِنُونَ ٦٠ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ٦١ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا
وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ٦٢ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ
وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ

﴿وقال جل ذكره فيما يترتب على المسارعة في الخيرات من جزيل الفوائد وعظيم المنافع﴾

الانبياء ٨٩
وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ٩٠ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ
وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا
رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ

﴿وقال جل شأنه يحث على ذلك أيضا﴾

آل عمران ١٣٣
وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ
لِلْمُتَّقِينَ الآيات

والآيات في ذلك كثيرة وفي هذا القدر كفاية والله ولي الرشد والسداد

النص	آية	سورة
مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ	٢٦٠	البقرة
(وقال تبارك اسمه فى ذلك أيضا)		
وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ	٢٦٤	البقرة
(وقال جل ثناؤه)		
مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً	٢٤٥	البقرة
(وقال عز وجل)		
وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ	٢٧١	البقرة
(وقال تعالى)		
(لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ)	٩٢	آل عمران
(وقال جل ذكره)		
الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ	٢٦١	البقرة

وليس المراد بسبيل الله خصوص الجهاد كما قد يتوهم بل المراد به كل خير والآيات فى ذلك أكثر من أن تحصر وبالله التوفيق وله الحمد والمنه

(المسارعة الى فعل الخيرات)

اعلم أن أعظم ما يوجه الانسان همته اليه ويبذل قصارى جهده فيه أن

سورة	آية	

أموالهم اذاهم بذلوها على الوجه الشرعى المرضى وهو أصل من أصول الايمان الذى لايكمل الايمان حقيقة الابه كما قال تعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا) فتراه جل شأنه جعل الانفاق مما رزقهم الله من أخص أوصاف المؤمنين الذين لايكون ايمانهم حقا الابه

والناظر فى كتاب الله الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه يجد أن الله جل شأنه لم يعتن أشد الاعتناء ولم يحرض كمال التحريض بشئ من أعمال البر كاعتنائه بالصدقة والانفاق فى وجوه البر والخير وذلك أن الناس فى هذه الحياة الدنيا مشتركون فى التنعم بلذا ئذها كل على قدر حظه مما يناله منها ويكتسبه فيها وكان من حكمة الله جل شأنه أن جعل من الناس قسما عظيما لا كسب لهم أولهم كسب ولكن لايقوم بأود حياتهم أولا تكمل به لذاتهم فلو أن أهل الاموال وذوى اليسار مع ذلك قصروا نفع هذه الاموال على أنفسهم دون غيرهم من المعوزين ولم يجعلوا لهم حظا من أموالهم لأفضى ذلك الى أن يلتجئ أولئك المعوزون الى سلب هذه الاموال وانتهابها من أيديهم إما قسرا عنهم أو بما يستعملونه من أنواع الحيل والمكر والخديعة وفى ذلك من تنغيص حياتهم وتكدر صفوعيشهم والخلل بنظام المجتمعات بما يجر الى المنازعات والمقاتلات وفقد الامن والطمأنينة على الأنفس والاموال وتقويض دعائم العمران وهدم بنيان الله ومناقضة ماأراد الله فى خلقه من حفظ كيانهم ونظام حياتهم مالا يخفى — لذلك كان من أعظم ماحث عليه الشرع وشدد على فعله الانفاق والبذل فى وجوه البر والخير

(قال الله تعالى فى أن هذا الانفاق داعية النماء والزيادة)

مثل

آية	سورة	
		لهذا الأن الكل مخاطب فيما يتعلق بالمصالح الاجتماعية بما يخاطب به الفرد والفرد مخاطب بما يخاطب به الكل ولولا ذلك لما أثم الكل عند ترك البعض له
		(ومن نظر فى تاريخ الأمم ووقف على أحوال رقيهم ومنبعث سوددهم ومجدهم لم يجد أهم الاسباب فى ذلك ولا أعظم الوسائل فيه الا هذا التكافل ولذا يقول جل شأنه)
٢٥	الانفال	وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ
		وذلك أنه كان الواجب على غير الظالمين أن يقبضوا على أيدى الذين ظلموا ويحولوا دونهم ودون ما به كان الظلم وحيث أهملوا أمرهم وتركوهم وما يفعلون فقد شاركوهم فى فعل هذا المنكر فلم تكن الفتنة قاصرة على الذين ظلموا دونهم لان الكل آثمون والله أعلم
		الاحسان يسترق الانسان
		اعلم أن الاحسان يكون فى كل خير فقد يكون فى العبادة كما قال صلى الله عليه وسلم (الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك) وقد يكون فى الكلمة الطيبة يلقيها المرء لأخيه فتفرج من همه وتزيل من غمه وقد يكون فى بذل المروءة وكف اللسان عن الاذى فى القول والعمل وقد يكون فى بذل المال فى وجوه البر وصنوف الخير مما يعود على الامة بالسعادة والخير العظيم وقد يكون فى غير ذلك مما لا حاجة بنا الى استقصائه وليس مقصودنا الذى نرمى الى تحقيقه والحث عليه والترغيب فيه الا هذا النوع الاخير وهو الاحسان بالمال وبذله فى وجوه البر والخير وليس معنا بر وخير بعينه بل كل ما صدق عليه مسمى البر والخير فالانفاق فيه حسبما قرره الشرع من الاحسان الذى وعد الله ذويه بنماء

سورة	آية

(التكافل العام لجميع المسلمين)

هو أن يكون جميع المسلمين كجسم واحد وكل فرد منهم كعضو من أعضاء ذلك الجسم يألم الكل لألم الفرد الواحد ويفرح الكل لفرحه ويسعى الفرد الواحد في مصلحة الكل ومايعود عليهم بالخير والسعادة كما يسعى الكل في مصلحة الفرد وهذا الذى أشار له الله تعالى بقوله (انما المؤمنون إخوة) فان معنى الاخوة لايتحقق فيهم الا اذا كانوا متكافلين متضامنين والنبي صلى الله عليه وسلم بقوله (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتواصلهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر) ولعمر الحق ان هذا لباب كبير من علم الاجتماع اذ من المقرر فيه أن الناس مدنيون بالطبع أى لابد لهم من الاجتماع والمخالطة لان الفرد الواحد لايمكن أن يستقل بجميع حاجاته ولوازم حياته فهو مضطر بحكم الضرورة الى الاجتماع والمبادلة ولايتحقق معنى الاجتماع الابهذا التكافل اذ لواستقل كل فرد بمنفعته الذاتية ورأى أن منفعته ليست منفعة لغيره وأن منفعة الغير ليست منفعة له جر ذلك الى قطع المبادلات ونبذ المعاملات التى لاقوام للحياة الابها أدرك ذلك الشارع الحكيم والسيد العليم سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فكان أول عمل له بعد مهاجرته الى المدينة أن آخى بين الانصار والمهاجرين فكان الانصارى يشاطر المهاجرى فى ماله وكل شئ هوله حتى زوجاته فكان من نتائج ذلك الحسنة أن علت كلمة الدين وكملت سعادة المسلمين وفتحوا الفتوحات ومصروا الامصار ودوخوا الممالك وتفيؤا ظلال العمران وأتوا من جلائل الاعمال بما يبهر العقول ويحير الالباب وكان مما شرع الله لعباده المؤمنين فروض حتم على البعض أن يفعلها مباشرة وعلى الباقين أن يهيمنوا على فعلها حتى اذا لم يقم بأدائها قاموا دونه وألزموه الاداء واذا أهملوا ذلك وتركوا النظر فيه أثموا جميعا (وهذا الذى يسمى بلسان الشرع فرض كفاية) ولامعنى

سورة	آية	
		وحينئذ تحدث عما يفشو بينهم من المفاسد والقبائح والرذائل والفضائح مما يخرجهم عن حد الانسانية الكاملة الى الحيوانية المحضة ولا حرج
		﴿ ولما علم الله منهم ذلك أوجب على كل فرد من أفراد الأمة عرف المعروف وخبر المنكر وعرف طريق الدعوة الى الامر بالاول والنهى عن الثانى أن يقوم بهما فقال جل ثناؤه ﴾
آل عمران	١٠٤	وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ
		﴿ وقال تبارك اسمه فى وصف المؤمنين بالخيرية لما قاموا به من ذلك ﴾
آل عمران	١١٠	كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
		﴿ وقال تبارك اسمه فى مدح أهل الكتاب ممن قام منهم بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر ﴾
آل عمران	١١٣	مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ١١٤ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِى الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ
		﴿ وقال جل شأنه فى ذم من لم يقم منهم بذلك ولعنه وطرده من رحمته ﴾
المائدة	٨١	لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ٨٢ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ
		والآيات فى ذلك أكثر من أن تحصر

سورة	آية	
النساء	١٣٤	يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ان يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيراً
		﴿ وقال جل ذكره في وجوب العدل بين الخصمين ولو كانا من أشد الناس عداوة له وأبغضهم اليه ﴾
المائدة	٩	يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون
		﴿ وقال تعالى في الحث عليه والتمسك بعروته الوثقى التي لا انفصام لها ﴾
النحل	٩٠	ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون
		وغير ذلك من الآيات كثير فعليك بالقرآن الكريم وتتبعها فيه ان أردت استقصاءها والله ولي الرشد والسداد

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

اعلم أن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل من أصول البر وأس عظيم لجميع أعمال الخير ولا تكمل سعادة أية أمة ولا تتم حياتها الملية والقومية والاجتماعية الا به وذلك أن من المعلوم أن الناس بطبيعتهم ميالون الى الشرور وحب الفجور فلو تركوا وأهواءهم ومايشتهون وماتسوله لهم نفوسهم الشريرة من الشهوات والانكباب على اللذات والتوسع في وسائلها لأفضى ذلك بهم الى نبذ الفضائل والتخلق بالرذائل حتى يصير ذلك رسما فاشيا فيهم وطبيعة لهم وملكة راسخة في نفوسهم

وحينئذ

سورة	آية	

وحكم الله وجرى العمل فى الأمم من أول نشأتها الى الآن وحسبك عبرة ومصداقا قول الله جل شأنه (فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا)

وهو نوعان ظاهر وباطن فأما الظاهر فيكون فى الحكم بين الناس لقول الله سبحانه (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) وفى صدق القول لقوله تبارك اسمه (واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى) وفى الوزن لقوله عز وجل (وزنوا بالقسطاس المستقيم) ويكون فى غير ذلك

وأما الباطن فهو فى جميع مايلزم الانسان من محاسبة نفسه سواء فيما بينه وبين الخالق أوفيما بينه وبين المخلوقين ـ فأما الذى بينه وبين الخالق فامتثال أحكامه والتزام حدوده والوقوف عند أوامره ونواهيه وان شقت والرضا بقضائه والتسليم لقدره وان لم يوافق اختياره ـ وأما الذى بينه وبين المخلوقين فالانصاف من نفسه فيماله وعليه وأخذ الحق واعطاؤه وقول الصدق وحسن المعاشرة وأداء الامانة والوفاء بالعهد وكتمان السر وغير ذلك مما يتعلق بحكم الشريعة ويقتضيه الحق وتوجبه مكارم الاخلاق وهو بهذا المعنى لايختص بحاكم أوأمير أووال أونحوه ممن له على غيره حكم دون غيره بل هو لازم لكل انسان فى جميع أحواله فانه يتعين عليه العدل فى أهله وماله وولده وأعوانه وخوله وخلانه وقرابته وجيرانه ومعامليه وخلطائه فى أخذه وعطائه وفى الخاص والعام من جميع أموره وأحواله

﴿ وقد حث الله عليه و بالغ فى التمسك والاخذ به فى جميع الاحوال وسائر الاعمال فقال جل شأنه فى الحث على العدل فى الحكم بين الناس ﴾

| النساء | ٥٧ | إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ |

﴿وقال تبارك اسمه فى الحث على العدل فى الشهادات﴾

سوره	آية	
		مجهودات كبيرة فى اخراجها كما تقتضيه مادة الاستفعال - ولو أنه علم جل شأنه أن ذلك مما ينال بدون مكابدة مشقة وعمل مجهودات عظيمة لقال لتخرج لكم منه حلية تلبسونها ولم يقل لتستخرجوا - وكذا ابتغاء الرزق من فضل الله بواسطة التجارة على هذه السفن التى تمخر الماء وتشقه لا يمكن الا بعد ركوب أهوال عظيمة ومخاطر جسيمة لا يقدر كل أحد أن يتحملها ويركب متن البحر مع ما يكتنفه من الأمواج التى كالجبال ويطرأ عليه كل حين من اختلاف الانواء الى غير ذلك مما يقاسيه الانسان فى حال السفر من الاهوال والشدائد
		وفى ذلك كله حث على الجد والنشاط والعمل وترك الخمول والكسل حيث سخر الله البحر وفيه هذه الاشياء لينتفع بها وقد علمت أن الانتفاع بها لا يمكن الا بعد مشقة وعناء فمن لم يجهد نفسه ولم يتحمل الاهوال والشدائد فى سبيل الانتفاع بها فقد أبطل الحكمة التى من أجلها سخر الله البحر وأودع فيه هذه الاشياء للانتفاع بها وجحد نعمته جل شأنه بهذه الاشياء التى رغبه فى الشكر عليها بقوله (ولعلكم تشكرون) والله بسر كلامه عليم
		﴿ بالعدل استقام الملك والدين ﴾
		العدل وضع الشئ فى محله وإيصاله الى مستحقه وبه قوام الدنيا والدين وسبب صلاح المخلوقين وبه تألفت القلوب والتأمت الشعوب وظهر الصلاح واتصلت أسباب النجاح وشمل الناس التناصف وضمهم التواصل والتعاطف وبه عمرت البلاد واستراحت العباد وأمنت السبل ونمت التجارات ودرّت الارزاق وعم الصلاح العامة والخاصة وما قامت به أمة من الأمم وجعلته فى موارد أفعالها ومصادرها الا وكانت فى مقدمة الأمم عمرانا وأكثرها حضارة ومدنية وما حادت عنه ونكبت جانبا منه الا وكان الخراب رائدها والضعف قائدها بذلك قضى العقل

وحكم

سورة	آية	(ماتشير اليه هذه الآية الكريمة)

تشير هذه الآية الكريمة الى بيان ما أنعم الله تعالى به على عباده من تسخير البحر المتلاطم الامواج وتذليله لهم وتيسيرهم للركوب فيه وجعل السمك والحيتان فيه واحلاله لهم لحمها حيها وميتها وما يخلقه فيه من اللآلئ والجواهر النفيسة وتسهيله للعباد استخراجها من قراره حلية يلبسونها وتسخير البحر بحمل السفن التى تمخره أى تشقه وأرشد الله العباد الى صنعتها وهداهم الى ذلك إرثا عن أبيهم نوح عليه السلام فانه أول من ركب السفن وله كان تعليم صنعتها ثم أخذها الناس عنه قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل يسيرون فيه من قطر الى قطر ومن بلد الى آخر لجلب ماهنالك الى هنا وما هنا الى هنالك ولذا قال تعالى ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون أى نعمه واحسانه فانظر يارعاك الله الى أنه جل شأنه مع تسخيره البحر للانتفاع بما أودعه فيه من هذه الكنوز والفوائد والمنافع التى تعود على الانسان بالخير الجسيم والنفع العميم قد ناط الانتفاع بها بالاخذ فى أسباب الحصول عليها وتحمل المتاعب وتكبد المشقات فى سبيل حصولها وقد أشار الى ذلك بقوله (لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) فان من المعلوم أن أكل اللحم الطرى الذى هو السمك لايمكن بدون الاصطياد وتكبد المشقات وركوب الاخطار فى الحصول عليه ورمى الشباك فى البحر والمخاطرة بالنفس وقت هيجان الماء وتتابع الزوابع والاعصار وما يتناوبه من المخاوف فى أثناء ذلك السبيل ـ وكذا استخراج الحلية التى نلبسها لايمكن الا بعد مخاطرة عظيمة فى غوص الماء وقدرة فائقة على مقاومة الماء فى داخله واستنشاق الهواء من خلاله ولذا قال جل شأنه فى بيان طريق الانتفاع بهذه الحلية (لتستخرجوا) أى لتتكبدوا المشقة والتعب وتعانوا

سوره	آية	
		(ماترشد اليه هذه الآية الكريمة)
		ترشد هذه الآية الكريمة الى أن الانسان عليه أن يشتغل بأمر الآخرة وما يوصل اليها ولاينسى نصيبه من الدنيا بل يعمل لدنياه كما يعمل لآخرته فيؤدى ماعليه من الحقوق نحو جسمه فيدبر له الاكل بالسعى وراء أسبابه والشرب والملبس والمركب الى غير ذلك من ضروريات الجسم ولوازمه التى لاقوام له الابها وذلك انما يكون بالسعى والعمل فيما به الوصول الى هذه الاشياء كما قال عليه الصلاة والسلام (اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك) وهذا الذى أفاده الله تعالى بقوله (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) ولما أمره أولا بالاحسان بالمال أمره ثانيا بالاحسان مطلقا ويدخل فيه الاعانة بالمال والجاه وطلاقة الوجه وحسن اللقاء مع صنوف الخلق فقال (وأحسن كما أحسن الله اليك ولاتبغ الفساد فى الارض ان الله لايحب المفسدين) أى أحسن الى خلقه بصنوف الخير والبر ولاتكن همتك بما أنت فيه أن تفسد به فى الارض وتسىء الى خلق الله ان الله لايحب المفسدين
		(وقال جل ثناؤه فى سياق الامتنان على عبيده وتعداد النعم عليهم بانه سخر لهم البحر وما فيه من الاسماك واللآلئ والجواهر النفيسة والسفن لركوبها فيه والسفر بها للتجارة وأشار مع ذلك الى أنه لايمكن الانتفاع بها الابالعمل والمشقة والتعب والكد والجد والاجتهاد)
النحل	١٤	وَهُوَ الَّذِى سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

سورة	آية	
		على نحو ما كان الحديد يلين لداود عليه السلام فيعمل منه ماشاء وسخرله الجن يعملون بين يديه ماشاء سواء كان ذلك من لوازم المسكن كالمحاريب وهي الابنية الرفيعة والقصورالعالية والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال والتماثيل وهي الصور سواء كانت من نحاس أوزجاج أورخام أوغير ذلك أومن لوازم الاكل كالجفان التي كالجواب أي القصاع الكبيرة التي كالحياض العظام التي تشرب منها الابل وكالقدور الراسيات أي الثابتات التي لاتتحرك ولاتتحول عن أماكنها لعظمها والقدور جمع قدر وهو مايطبخ فيه ولا يمكن أحدامنهم أن يخالفه ومن خالفه ولم يطعه عليه السلام فيما أمره به من العمل فان الله سبحانه وتعالى يذيقه من عذاب السعير وهو الحريق ولما كان هذا التسخير وهذا الاعطاء من المنن العظمى والنعم الكبرى من الله تعالى على سليمان التي يجب شكرها أمره جل شأنه بالشكر فقال (اعملوا آل داود شكرا) أي على ماأنعمت به عليكم (وقليل من عبادى الشكور) وهو الذي يشكره على أحواله كلها قيل لما أمر داود عليه السلام بالشكر قال يارب كيف أشكرك والشكر نعمة منك قال الآن شكرتني حيث علمت أن النعمة مني وقد جمعت هذه الآيات من الصناعات ماهو من لوازم الانسان في مأكله ومشربه وملبسه ومسكنه والله بمغاري كلامه عليم
		﴿وقال جل شأنه حاكيامقالة قوم قارون له لمافيهامن الحث على أن الانسان يعمل للآخرة ولايترك من أعمال الدنيا مايوصله للآخرة﴾
القصص	٧٧	وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ

آية	سورة

الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ١٣ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ

(ما ترشد اليه هذه الآيات الكريمات)

ترشد هذه الآيات الكريمات الى ما منح الله به نبيه داود وسليمان عليهما السلام من الفضل وما علمهما من الصنائع والحرف وما سخر لهما من الجبال والطير والريح والجن فأعطى داود عليه السلام من الفضل أن سخر له الجبال تسبح معه اذا سبح وترجع بصوتها مسبحة عند تسبيحه والطير يكلمه على اختلاف أنواعه وتباين لغاته وألان له الحديد حتى كان لا يحتاج أن يدخله نارا ولا يطرقه بمطرقة بل كان يفتله بيده مثل الخيوط يعمل منه دروعا سابغات كاملات واسعات وأرشده الى كيفية عمل هذه الدروع فقال له (وقدر فى السرد) والسرد نسج الدروع أى اجعله بحيث تتناسب حلقه منتظمة متسعة محكمة متقنة وفيه ارشاد الى أن الانسان اذا شرع فى أى عمل من الاعمال عليه أن يحكمه ويتقنه ثم خاطبه تعالى بقوله (واعملوا صالحا انى بما تعملون بصير) أى واعملوا فى الذى أعطيتكم اياه من النعم صالحا انى مراقب لكم بصير بأعمالكم وأقوالكم لا يخفى علىّ من ذلك شئ فأجازيكم به وسخر لسليمان عليه السلام الريح طوع أمره يصرفها كيف يشاء على سرعة سيرها الزائد حتى كان جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشى كذلك وأذاب له النحاس

على

آية	سورة	

واليك القاعدة التى تبعث الناس الى التسابق فى ميدان هذه الحياة بالمشتان على نوال مكافأة التعب وهى قوله عليه الصلاة والسلام (ان الله ليعطى العبد على قدر همته ونهمته)

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مثالا للنشاط والجد والاجتهاد وماسمعنا عنه يوما أنه جلس فى بيته اتكالا على أن الرزق مقسوم مع أنه صلى الله عليه وسلم أكثر الناس وأشدهم يقينا وأعظمهم وثوقا بالله وبما عند الله بل قام وكافح وناضل وتاجر وسافر وسعى وكد وجد واجتهد وهؤلاء أصحابه عليه السلام كان من بينهم الغنى الذى أمكنه لوفرة ماله أن يجيش جيشا و يجرد حملة عسكرية من ماله الخاص كما حصل من عثمان رضى الله عنه وما حصل على ذلك الا بالكسب والعمل وحسبك ماقاموا به من الاعمال الجليلة والفتوحات العظيمة وما أظهروا فى ذلك من الجد والنشاط حتى مدوا ظلال العمران وشيدوا الممالك وبلغوا فى مدة ثمانين سنة من الملك وسعة السلطان وامتداد دائرة النفوذ مالم تبلغه أعظم دولة فى العالم

واليك أوامر الله تعالى وأحكامه فى كتابه الكريم تنبئك عما أمر الله به من الجد والنشاط فى العمل وما نهى عنه من العجز والبطالة والكسل

﴿ قال الله تعالى فى الحث على العمل وما علمه لنبيه داود وسليمان عليهما السلام من صنعة الحدادة وعمل الدروع وصنعة البناية وعمل التماثيل والصور والقصاع وصب النحاس وعمل القدور الكبيرة منه بواسطة الجن وأمر بالشكر على تعليمه هذه الصنائع ﴾

١٠ سبأ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَاجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ١١ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ١٢ وَلِسُلَيْمَانَ

سورة	آية

عليها دعامة سعادة الأمم البشرية وحياتهم القومية - ولذلك جاء الاسلام وقرر فيما قرر من مبادى السعادة الدنيوية الموصلة للسعادة الاخروية وجوب العمل والكسب والسعي والكد والجد والنشاط وترك العجز والكسل والخمول والتقاعد وعدم النشاط فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان الله يحب المؤمن المحترف) أى المتكلف فى طلب المعاش بنحو صناعة أو زراعة أو تجارة لان قعود الرجل فارغا أو شغله بما لا يعنيه مذموم ومن لا عمل له لا أجر له ومن ترك الاسباب دار الفلك بنصيب غيره ومن جد وجد ولكل مجتهد نصيب والاحاديث الدالة على العمل والكسب والحاثة عليهما والمرغبة فيهما كثيرة فنها قوله عليه الصلاة والسلام (اعمل لدنياك كانك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كانك تموت غدا) وقوله عليه السلام (من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد فى سبيل الله ومن طلب الدنيا حلالا فى عفاف كان فى درجة الشهداء) اذا علمت ذلك وعلمت أن الشرع كما حث على الجد والنشاط فى العمل للحياة الاخرى كذلك حث على الجد فى العمل للحياة الدنيا لانها دار حرب وهيجاء والقائم فيها يغلب القاعد ويستعبده ويسلبه جميع حقوق حياته كما هو مشاهد اليوم من أحوال الامم ولان المال من أكبر مقومات الحياة ومن أعظم دعائم الارتقاء لها ولا يمكن تحصيله الا بالسعي والعمل ولان الدنيا مزرعة الآخرة ولا يمكن الوصول اليها الامن طريقها علمت أن ما يقوله بعض الحمقى ممن لا خلاق لهم المثبطين للهمم من أن الرزق مقسوم وأن السعي لا يجلب رزقا ليس للعبد وأن البطالة والكسل لا تحرمه رزقا هو له فان ذلك وان كان هو الحقيقة والواجب اعتقاده الا أن هذا المثبط الاحمق كيف لا يعلم أن السعي مقسوم سبق به علم الله أيضا وهل قسم الله الرزق وعطل أسباب تحصيله وهل جعل فى تركيب بنية الانسان استعدادا لطلبه ومنحه الامل ليثبطه عن العمل كلا فان ماجاءت به الشريعة الاسلامية ويقتضيه العقل السليم يناقض ذلك

والبك

آية	سورة

غيره من بقية الاعضاء

وهو فى كل ذلك لايمكنه أن يقوم بتأدية هذه المطالب وتلك الحقوق الا اذا استخدم قواه العقلية ومداركه العالية فى سبيل ترقيه عن المرتبة الحيوانية الى المرتبة الكاملة الانسانية وذلك انما يكون اذا استعمل تلك القوى فيما هو مستعد له بطريق الفطرة وفيما هو مخلوق لاجله من الدأب على العمل والسعى وراء تتبع أسرار الكون وما أودعه الله فيه من الكنوز ذخيرة للانسان يكتشفها بقوة العقل ويصل اليها بالمثابرة على العمل فيزرع ويستثمر ويخترع ويبتدع ويتفيأ ظلال العمران ويستمد مادة الحياة الطيبة من خلال المتاعب والمشاق التى يتكبدها فى سبيل الحصول على ثمرة هذه الحياة وبدون استخدام تلك القوى لا يمكنه أن يؤدى مطلبا واحدا فضلا عن كل المطالب

ولا يتم له استخدام تلك القوى ولايتسنى له الوصول الى مايرمى اليه غرضه من هذه الحياة بواسطة العمل الابنبذ الاوهام وكل مايقعده عن العمل ويدعوه الى الركون الى العجز والكسل وأن يكون له من نفسه باعث على العمل وميل اليه وبدون ذلك لايجنى من عمله سوى الحرمان والضياع ولا يتم له ذلك أيضا الا اذا وضع كل عمل فى وقته الذى يصح أن يعمل فيه ودبر وقته كتدبير غذائه وشربه ونومه فيصرف بكرته فى كذا وضحوته فى كذا وغدوته فى كذا مراعيا فى ذلك حالة معاشه وصحته وحقوق أعماله

فاذا أدى هذه المطالب واستخدم قواه العقلية فى الحصول عليها ونبذ الاوهام واشتغل بما يناسبه من الاعمال ووضع كل عمل فيما يصح أن يعمل فيه ودبر وقته بالحكمة كان ممن كملت سعادته وانبعثت به روح الحياة فى الامة

وعلى هذا فيجب أن يكون العمل من القواعد المهمة المدّنة لافراد النوع البشرى والحافظة للامم حياتها واستقلالها ومن المبادى التى تأسست

سورة	آية

عليه في طريق التبليغ والدعوة من الشدائد خصوصا وقد بعث الى أعظم ملك على وجه الارض اذاك وأجبرهم وأشدهم كفرا وعنادا وأطغاهم وأبلغهم تمردا — وأن ييسر له ويسهل عليه ما أمره به من تبليغ الرسالة الى فرعون بتسهيل الاسباب ورفع الموانع وأن يحل عقدة من لسانه وكانت به من أثر جمرة ألقاها في فيه وهو صغير ليفقهوا قوله ويفهموا كلامه عند تبليغ الرسالة وأن يجعل له وزيرا ومعينا يعاونه في تحمل أعباء ما كلف به عليه السلام من قبل ربه ويعتصم برأيه ويلتجئ اليه في أمره ويكون من أهله وهو أخوه هرون وانما اختار أن يكون من أهله لانه أشد عونا وأكثر تناصرا وتعاضدا له من غيره وقد بين عليه السلام ثمرة هذا التعاون وما ينتج عنه من الفوائد والمنافع بقوله (اشدد به أزرى وأشركه فى أمرى) أى أمر الرسالة والدعوة الى ما أمر أن يدعو اليه كما بين أن ذلك من النعم الكبرى والمنن العظمى التى يجب فى مقابلتها الشكر بتنزيهه جل شأنه عما لا يليق به من الصفات والافعال واتصافه بما يليق به من صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال وهذا الذى أشار له الله تعالى بقوله (كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا) أى عالما بأحوالنا وبما دعوناك به مما يصلحنا ويفيدنا فى تحقيق ما كلفتنا به من اقامة معالم الرسالة وقد أجاب الله سؤله عليه السلام كما أفاده بقوله (قد أوتيت سؤلك ياموسى) والله أعلم

حب العمل وفضيلة الاجتهاد

اعلم أن كل انسان فى هذه الحياة مطالب بأن يعمل إما لنفسه ليحيا حياة طيبة ويعيش عيشة راضية وإما لاهله وعشيرته وبلده وأهل وطنه ليتم بينه وبينهم تبادل المنفعة والمشاركة فى كل عمل يحفظ لهم ناموس وحدتهم وإما لمن يأتى بعد ليهئ لهم مايتخذونه أساسا يشيدون عليه بناء هيئتهم فاذا قصر فى مطلب من هذه المطالب كان عضوا فى جسم الهيئة الاجتماعية فاسدا يجب قطعه خشية سريان العدوى منه الى

غيره

سورة	آية	

فيمنحهم الخير ويكفيهم الضير شأن الراضى مع المرضى عنه - فمن جمع التعاون بقسميه فقد كملت سعادته وطابت حياته وهنئت معيشته وبعد أن أمر جل شأنه بالتعاون على فعل الخير وترك الشر والضير نهى عن التعاون على الاثم وهو ترك ماأمر الله بفعله والعدوان وهو التعدى على الناس بما فيه ظلم فان فى التعاون على ذلك مفاسد كثيرة ومنكرات فظيعة - ثم توعد من خالف ذلك وتعاون على ظلم الناس وعدم مراعاة حرمتهم ولم يبال بما أمر الله به فتركه ولا بما نهى عنه ففعله بالعذاب الاليم والعقاب الشديد فقال (واتقوا الله ان الله شديد العقاب) والله أعلم

﴿وقال تبارك اسمه فيما حكاه عن نبيه موسى عليه السلام من طلب وزير له ومعين مبينا مايترتب على ذلك من الفوائد والمنافع﴾

طه ٢٥

قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ٢٦ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ٢٧ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ٢٨ يَفْقَهُوا قَوْلِي ٢٩ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ٣٠ هَارُونَ أَخِي ٣١ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ٣٢ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ٣٣ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ٣٤ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ٣٥ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا

﴿ماترشد اليه هذه الآيات الكريمات﴾

ترشد هذه الآيات الكريمات الى سؤال موسى عليه السلام ربه أن يجعل أخاه هرون معينا له فى تبليغ رسالته وذلك عند ما أمره ربه بالذهاب الى فرعون وقال له اذهب الى فرعون انه طغى فتنسم عليه السلام من الامر بذلك والتعليل بالعلة المذكورة أنه كلف أمرا عظيما وخطبا جسيما لايتحمله الا ذو جأش ثابت وصدر فسيح فطلب من ربه أن يشرح صدره ويجعله حليما حمولا يستقبل ما عسى أن يرد

سورة	آية	
		أودعه فى التعاون وجعله أساس العمران يستلزم معرفة حقائق الاشياء خيرها وشرها حتى يكون ذلك سببا فى جلب الاول ودفع الثانى وكانت معرفة ذلك لا يمكن أن يتوصل اليها الانسان باستقلاله مهما قوى ادراكه ونما فكره فأرسل الله جل شأنه الرسل ليبينوا للناس طرق الخير وما عليه نظام حياتهم وتقويم ما اعوج من أعمالهم وما به ينتظم فى الحياة الدنيا شأنهم والى ذلك وردت الاشارة فى قوله تعالى (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) ثم من بعدهم الخلفاء ثم الملوك ولما كانوا لا يمكنهم القيام بجميع مصالح العباد بأنفسهم وجب أن يكون لهم بازاء كل حاجة أعوان يتعاونون فى جلب المنفعة للامة ودفع المضرة عنها وبذلك استقام العالم وانتظم الكون وعمرت البلاد وسعدت العباد
		﴿ولما اشتمل عليه التعاون من الخير وتكفل به من المصالح حث الله عليه وبالغ فى التمسك به والاعتصام بحبله فقال﴾
المائدة	٣	وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْاِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللّٰهَ اِنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ
		﴿ماترشد اليه هذه الآية الكريمة﴾
		ترشد هذه الآية الكريمة الى أهم الامور وأجدرها بالعناية وأحقها بالرعاية وهو التعاون على فعل الخيرات وهو البر وترك المنهيات وهو التقوى لما فى ذلك من الخير الكثير والأجر الكبير ومايترتب عليه من الفوائد والمنافع التى تعود على الناس بالخير والسعادة فبالتعاون على فعل الخيرات يتبادلون المنافع ويقضى البعض للبعض مالا يمكنه الحصول عليه - وبالتعاون على ترك المنهيات يرضى الله عنهم

فيمنعهم

سورة	آية	
		الموت ومن يفعل منكم غير ذلك ويفر أمامهم فقد باء ورجع بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ـ مالم يكن فراره أمامهم للتحرف للقتال والميل من جانب الى جانب فى المعركة ليوهم أنه منهزم فيتبعه العدو فيكر عليه ويتمكن من الوقيعة به وهذا من خدع الحرب ومكايده فلا بأس به أو للتحيز والانضمام الى فئة أخرى من المسلمين غير الفئة المقابلة للعدو ليكون الكل يدا واحدة على العدو فيكون ذلك أدعى لنصرهم وخذلان عدوهم لان يد الله مع الجماعة

التعـاون على الخير والمسـاعدة فى فعله

النعاون وفق الله المسلمين اليه قوام الامم وملاكها وعليه مدار نظامها وحياتها وهو أمر فطرى فى الانسان اذ لا يمكنه أن يقوم بمفرده بسائر وظائف الحياة البشرية فهو مضطر الى الاجتماع بطبيعته ولما كان الاجتماع لا يخلو من المنازعات المفضية الى تغالب القوى المتنازعة وتكالبها فى ميدان الحياة كانت الحاجة ماسة ولا بد الى منع ذلك التغالب ومن أهم الوسائط فى منعه وأعظم الوسائل فى دفعه التعاون والتناصر والتآلف والتضافر ـ فبالتعاون يدفع عوادى الطبيعة ويتقى خطر الوحدة ويتسابق فى ميدان الوجود فيدعوه ذلك الى المثابرة على العمل فيزرع ويستثمر ويعمر ويخترع ويبتدع ويتفيأ ظلال العمران ويستمد مادة الحياة الطيبة من خلال المتاعب والمشاق التى يتكبدها بمقتضى حب التزاحم الطبيعى ولولا التعاون لثبطت همته وقعدت به عزيمته حيث يعتقد من نفسه العجز عن مطاردة العوادى ولا يقدر بمفرده على اتقاء مخاطر الحياة البشرية فيكتفى من العيش بنزره ومن الحياة بقدر ما تقتضيه الطبيعة وهذا مناف للحكمة الالهية التى أودع الله من أجلها فى الانسان هذه الجوهرة النفيسة التى بها يمكنه أن يستجلى حقائق الأمور ويستخرج بها كنوز الاسرار ولما علم الله جل شأنه أن هذا السر المكنون الذى

سورة	آية	
		النفس والنفيس فى كل مايعود عليه بالعزة والقوة والمنعة الى غير ذلك وفى ذلك من الحث على اقامة الدين واظهار شعائره والعمل بما جاء به وامتثال ماأمر به وترك مانهى عنه مالايخفى
		﴿ وقال جل شأنه فى الحث على الثبات وقوة الجأش وذم الجزع مع بيان مايترتب عليه من غضب الله والخلود فى النار ﴾
الانفال	١٥	يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ١٦ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ الَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا الَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ
		﴿ ماترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان ﴾
		ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الى ماأمر الله به المؤمنين من الثبات وقت مقاتلة الاعداء ومانهى عنه من الفرار أمامهم فان ذلك داعية الطمع فيهم وتقوية لعدوهم عليهم مالم يكن ذلك لقصد خديعة أو مكيدة كان يفر أمام العدو ليريه أنه قد خاف منه فيتبعه ثم يكر عليه فيقتله فهذا لابأس به ومثله مالو فر أمامه ليتحيز وينضم الى فئة أخرى وجماعة آخرين من المسلمين يعاونهم ويعاونونه فهذا لابأس به أيضا أما من فر أمام العدو لغير هذين الامرين كجبن ونحوه فقد رجع بغضب من الله وكان جزاؤه جهنم يأوى اليها ويدخل فيها وهذا ماأفاده الله تعالى بقوله (ياأيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الامتحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) أى ياأيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا فى القتال فلا تولوهم الادبار ولا تنهزموا أمامهم ولا تعطوهم ظهوركم بل قاتلوهم بثبات عظيم وجأش ثابت لايهاب

الموت

سورة	آية	

الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم) أى ان تركتم نصره فان الله ناصره ومؤيده وكافيه وحافظه كما تولى نصره وقت أن أخرجه الذين كفروا من مكة مهاجرا الى المدينة هو وصاحبه أبو بكر الصديق رضى الله عنه وذلك عام الهجرة لما هم المشركون بقتله عليه الصلاة والسلام أوحبسه أونفيه فلجأ الى غار ثور وهو جبل بقرب مكة بينه وبينها مسيرة ساعة وخرج المشركون يقتفون أثرهما حتى وصلوا الى غار ثور فلما بصربهم أبو بكر حزن حزنا شديدا فرقا على النبى صلى الله عليه وسلم وقال اذا أنامت فأنا رجل واحد واذا مت أنت هلكت الامة والدين فأخذ صلى الله عليه وسلم بما أو تيه من قوة اليقين وكمال الايمان وشدة ثقته بالله تعالى يسكن روعه ويشجعه ويثبته ويقول له لاتحزن ان الله معنا أى ومن كان الله معه فلن يغلب ومن لايغلب يحق له أن لايحزن فما أعظم هذا الثبات وما أمكن هذه القوة فى الدين ولقد كافأه الله تعالى على هذا الثبات العظيم وعلى ثقته به بان أنزل عليه سكينته وتأييده ونصره وأيده بالملائكة فى الغار يحرسونه ويسكنون روعه ويصرفون أبصار الكفار عنه وجعل كلمة الذين كفروا وهى الشرك السفلى أى المغلوبة المقهورة وجعل كلمة الله وهى لا اله الا الله هى العليا أى الغالبة القاهرة والله عزيز أى فى انتقامه وانتصاره منيع الجناب لايضام من لاذ به واعتمد عليه ووثق به حكيم فى أقواله وأفعاله لايفعل الا مافيه الحكمة والصواب

ثم اعلم أن الخطاب فى قوله تعالى الاتنصروه يحتمل أن يكون لقوم مخصوصين وهم الذين كانوا فى مدته صلى الله عليه وسلم أولهم ولمن بعدهم الى يوم القيامة والمراد اذًا بنصرته صلى الله عليه وسلم نصرة دينه وتكون بأشياء كثيرة منها السعى فى تقوية دعائمه وارتفاع شأنه واعلاء كلمته ونشر التعليمات التى جاء بها ليتعلمها الناس ويفقهوها ويعملوا بها على الوجه المطلوب ومنها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وبذل

سورة	آية	
		ما الذى دهانى وما هى الا رحمة رحمه الله بها) فاذا اكتسب العبد بهذا الوجه وهذه الشروط كان متوكلا حقيقة وعلى الله الاتكال والاعتماد فى كل حال
		(وقال جل ثناؤه فيما بينه لنا من ثبات نبيه صلى الله عليه وسلم وقت الشدة والاعتماد عليه تعالى فى مواطن الخوف لنقتدى به ونتبع سنته وطريقته ونهتدى بهديه فان به الاسوة الحسنة وفى الاقتداء به الخير الكثير صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم)
التوبة	٤١	الَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّٰهُ اذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِىَ اثْنَيْنِ اذْ هُمَا فِى الْغَارِ اذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ انَّ اللّٰهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللّٰهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّٰهِ هِىَ الْعُلْيَا وَاللّٰهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
		(ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة)
		ترشد هذه الآية الكريمة الى ما منح الله به نبيه صلى الله عليه وسلم من قوة الثبات وقت الملمات ونزول الشدائد وحصول الحادثات ليكون لنا من وراء قصصه ما كان عليه نبيه صلى الله عليه وسلم من الاخلاق الفاضلة والصفات الكاملة ما فيه الأسوة الحسنة والقدوة المستحسنة فانه صلى الله عليه وسلم أفضل من تؤسى به فى أقواله وأفعاله وقد بين ذلك جل شأنه حاكيا ما حصل بينه صلى الله عليه وسلم وبين صاحبه الصديق حينما كانا فى الغار من المحاورة وما أظهره صلى الله عليه وسلم من الثبات العظيم حيث قال (الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة

سورة	آية	

اليه وهو على الله تعالى لاينافى الاخذ فى الاسباب والسعى فى الاكتساب بل يكون بمراعاتها مفوضا الامر الى الله تعالى ولاعبرة بما يهجس به بعض الحمقى ممن لاخلاق لهم حيث يقولون ان التوكل هو ترك التكسب وعدم السعى والاخذ فى الاسباب والجلوس فى البيوت كالمقعدين والعجائز فان ذلك غاية الجهل ونهاية الخبل والدليل على أن الكسب لاينافى التوكل أن الصديق رضى الله عنه لما بويع بالخلافة أصبح وقد أخذ الاثواب والذراع بيده ودخل السوق ينادى حتى كره ذلك منه المسلمون وقالوا كيف ذلك وقد أقمت لخلافة النبوة فقال لاتشغلونى عن عيالى فانى ان أضعهم كنت لما سواهم أضيع حتى فرضوا له قوت أهل بيت من المسلمين فلما رضوا بذلك رأى أن مساعدتهم وتطييب قلوبهم واستغراق الوقت بمصالح المسلمين أولى ولا يصح أن يقال لم يكن الصديق فى مقام التوكل ومن أولى بهذا المقام منه فدل على أنه كان متوكلا ولكن لاباعتبار ترك الكسب والسعى بل باعتبار قطع الالتفات الى قوته وكفايته والعلم بأن الله تعالى هو ميسر الاكساب ومدبر الاسباب وبشروط كان يراعيها فى طريق الكسب مع الاكتفاء بقدر الحاجة حتى لايشتغل بالزائد عن عبادة الله تعالى والنظر فى مصالح العباد والخلاصة أن المكتسب اذا راعى آداب الكسب وأخلص نيته بأن لايقصد به الاستكثار الذى يعوقه عن طاعة الله تعالى ولم يكن اعتماده على بضاعته وكفايته كان متوكلا وعلامة عدم اتكاله على البضاعة والكفاية أنه ان سرقت بضاعته أوخسرت تجارته أوتعوق عن أمر من أموره كان راضيا ولم تبطل طمأنينته واعتماده على أن الله تعالى لايفعل به الا مافيه صلاحه فربما كان فى اهلاك بضاعته خيرله فى دينه وفى ابقائها فساد دينه كما فى الخبر (ان العبد ليهتم من الليل بأمر من أمور التجارة مما لو فعله لكان فيه هلاكه فينظر الله تعالى اليه من فوق عرشه فيصرفه عنه فيصبح كئيبا حزينا يتطير بجاره وابن عمه من سبقنى

سورة	آية	
		المدلهم (الثانى) ذكر الله تعالى فى مواطن الخوف بدعائه وطلب الاستغاثة به والمعونة منه فان فى ذلك من الدلالة على كمال الايمان وقوة اليقين وثبات الجأش مالا يخفى لاسيما فى هذه الحالة التى ترجف لها القلوب وتزيغ عندها الابصار فلن يحرم من الله إذن المعونة والنصر والظفر لانه جل شأنه ولى من انتصر به ومعين من استعانه ومقويه وناصره على أعدائه ولذا يقول جل شأنه (لعلكم تفلحون) أى لعلكم ان قابلتم العدو بقلب ثابت وجأش قوى وذكرتم الله تعالى وطلبتم منه المعونة واستنصرتم به تفلحون وتظفرون بمرادكم على عدوكم تولانا الله برحمته وأعاننا من فضله ورزقنا المثوبة من كرمه وحلمه انه سميع الدعاء كثير العطاء
		﴿ وقال جل ثناؤه فى الحث على الثبات وقوة العزيمة فى الامر وعدم التردد فى امضائه عند العزم على فعله ﴾
آل عمران	١٥٩	فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ
		﴿ ما يستفاد من هذه الآية الكريمة ﴾
		يستفاد من هذه الآية الكريمة الحث على الثبات فى الامر وقوة العزيمة فيه وعدم التردد فى امضائه عند العزم على فعله مع الاعتماد على الله تعالى فى انفاذه وامضائه والوثوق به وتفويض الامر فى تخيير ما فيه المصلحة له لانه جل شأنه هو الاعلم بالاصلح ولذا يقول جل شأنه (فاذا عزمت فتوكل على الله) أى فاذا قصدت امضاء أمر وصممت العزيمة عليه فافعله مع تفويض الامر لله تعالى والاعتماد عليه فيه ليكون ذلك أنجح لطلبتك وأتم فى نوال مقصودك وأبلغ فى نجح مقصدك وتمام مرغوبك لانه جل شأنه يحب من توكل عليه ووثق به وفوض الامور اليه فينصره ويرشده الى ما هو خير له كما تقتضيه المحبة وأصل التوكل اظهار العجز والاعتماد على الغير والاكتفاء به فى فعل ما يحتاج

سورة	آية	
		تأسست عليها سعادة الأمم حث الله تعالى عليه وبالغ فى الوصية به فقال
الانفال	٤٦	يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون

(ما يؤخذ من هذه الآية الكريمة)

يؤخذ من هذه الآية الكريمة بيان ماعلم الله به عباده المؤمنين من آداب لقاء العدو وقت اشتباك القتال وطرق الشجاعة عند مواجهة الاعداء وبيان الوسائل التى يكون بها الظفر والنصر على العدو فبين أن من أهمها أمرين (الاول الثبات) وهو مقابلة الاعداء بجأش ثابت لايهاب الموت ولايؤثر فيه الوهم ولايختلجه الخوف ولاتزعزعه الاراجيف ولا ركض الخيل ولا قراع السيوف ولا اشتباك الكتائب وذلك انما يكون اذا كان القلب ثابت الايمان عظيم الثقة بالله تعالى قوى الركون الى جانب الله معتقدا أنه لايكون موت حيث كتب الله الحياة ولا تكون حياة حيث كتب الله الموت عملا بقوله تعالى (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فاذا وصل ايمانه وشدة يقينه وقوة وثوقه بالله جل شأنه الى هذا الحد من اليقين لاجرم كان ذلك من أكبر دواعى الثبات الذى هو من أعظم أركان الظفر والنصر على العدو أما اذا كان ضعيف الايمان فتنفذ فى قلبه المخاوف وتحيط به احاطة السوار بالمعصم فتنحل عرى عزيمته ويضعف قلبه ويجبن لبه وينهد ركن عظيم من قوته فاذا تحرك أى حركة تنسم منه العدو الخوف والضعف وفتور العزيمة فيتجدد طمعه فيه وتقوى آماله فى الظفر به فيزيده ذلك قوة على قوته وثباتا على ثباته ويجدد من عزيمته بقدر ما نقص من هذه بسبب الفتور الذى نشأ من ضعف الايمان فيكون عونا له على نفسه بعد أن كان عونا عليه وحين ذاك تكون الطامة الكبرى والخطب

سورة	آية

ووجهته فى كل عمل يعمله كان السعد قائده والنجاح رائده والفلاح قرينه والعز خدينه ومن استفزته الاهواء وطوحت به الحوادث فاشتغل كل يوم بعمل وكد غير حكيم واجتهد غير عليم فلاشك أنه لايجنى غير الشقاء والعناء بدون ثمرة تعود عليه ولافائدة ترجع اليه

ولوأنى تدرجت بك الى ذكر الاشخاص وأعمالهم والامم وأحوالهم وما ينتجه عمل كل بقدر درجة الثبات فيه وعدمه لرأيت أن الثبات من أهم دعائم النجاح التى تأسست عليها سعادة الامم والافراد وأن عدمه من أكبر دواعى الانحطاط والذل والهوان والحرمان والشقاوة والخسران

فترى الشخص يقاسى من الاعمال أشقها وأتعبها وأقساها غير مريح بالا ولامدرك مآلا ومع ذلك تراه لايجنى من عمله الاثمر الشقاء وماعناه من العناء وترى الآخر يكتفى بالنزر ويقنع بالقليل من السعى ولايتكلف المؤنة ولا يتحمل المشاق فى عمله ومع ذلك تراه ارتقى عقلا وسعد حظا وجنى من ثمار عمله أطيبها وألذها فهو أهنؤ عيشا وطاب نفسا ذلك بان الاول درج فى عمله الى الطيش والخفة وعدم الثبات فيه فكد غير حكيم وجد غير عليم فكانت النتيجة حرمانه والعاقبة خسرانه وأن الثانى شرع فى عمله بالحكمة ودبر أوقات عمله متخذا الوسائل الموصلة اليه عاملا فيه بمقتضى البواعث لان مالاباعث عليه لاتتوجه الهمة اليه ولاتقبل النفس عليه مستصحبا الدأب والصبر فى كل عمله فهو وان عمل قليلا فقد أحكم عمله واحتاط وتدبر فى الاسباب ووضعها حيث تصلح أن توضع فمثل هذا لابد أن يجنى من عمله ثمر السعادة والراحة

والأمم فى ذلك كالافراد سواء بسواء فمن تمسك منهم بعروة الثبات فى أى عمل يعمله وتدبر فيه قبل الخوض فيه والهجوم عليه فقد استمسك بالعروة الوثقى التى لاانفصام لها وكان النجاح قرينه والفلاح رائده والسعد حليفه

(ولما كان الثبات فى العمل وقوة العزيمة فيه من أجل مايوصل الامة الى سعادتها الحقيقية وقانونا للنجاح فى سائر الاعمال ومن أعظم الدعائم التى

آية	سورة

عليه من المضرة الاتسام برذيلة الشح والبخل المترتب عليهما حصول الشر والضر كما قال تعالى (ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) وعلى مجانبتهما النجاح والفلاح المشار له بقوله تعالى (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) - والتفريط فى الاكل يترتب عليه ضعف البنية ونحول الجسم وعدم قدرته على أداء ما نيط به من التكاليف دينية كالعبادات وباقى المأمورات أودنيوية كالسعى على الرزق وغيره وهكذا جميع الاشياء فان التفريط فيها مضر

ولما علم جل شأنه أن فى كل من الافراط والتفريط مضرة أمر بالاعتدال فى سائر الاحوال فقال (وابتغ بين ذلك سبيلا) أى اطلب طريقا وسطا بين الافراط فى الجهر بالقراءة وبين التفريط فى المخافتة والاسرار بها فان الركون الى احدى الحالتين مضر

الثبات فى الاعمال وقوة العزيمة فيها

اعلم أن الثبات فى الاعمال يكون بالدأب والمثابرة عليها ومقابلة الاهوال والمشقات والصعوبات التى تعرض له فى أثناء سعيه وراء النتيجة المقصودة له من تلك الاعمال بقلب ثابت وعزيمة صادقة حتى يتحصل عليها وينال أمنيته منها فاذا عرض له ما يظن معه صعوبة الوصول الى النتيجة المطلوبة له فلا يكون ذلك حائلا دون الاستمرار فى العمل فانه لا صعب مع الاجتهاد وتوجه النفس والرغبة فى ذلك الشئ المطلوب مع تدقيق النظر والفكر والتؤدة فى العمل وتخير الوقت المناسب والحالة المناسبة وعدم الميل الى جانب الافراط فانه ممل ومتعب ولا الى جانب التفريط لعدم نجاح العمل معه فيعمل بمقدار ما ينبغى فى الزمن الذى ينبغى فى الحالة التى تنبغى

فمن لازم الثبات بهذه الكيفية وجعله أساسا له فى سائر أعماله

سورة	آية	
		موجبات الدوام وخير العمل المستديم ولو قليلا ولذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى) والله أعلم
		﴿ وقال تبارك وتعالى فى الحث على اتباع الجادة المثلى والطريقة الوسطى وسلوك السبيل الوسط بين الافراط والتفريط ﴾
الاسرى	١١٠	وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا
		﴿ مايؤخذ من هذه الآية الكريمة ﴾
		يؤخذ من هذه الآية الكريمة ومن الآيات المتقدمة الحث على الاعتدال فى سائر الاحوال واستعمال الحد الوسط فى كل شئ فلا يمال الى الافراط لما فيه من المضرة وهى فى كل شئ بحسبه فهى فى رفع الصوت بالقراءة فى الصلاة كما هو موضوع النهى فى الآية الكريمة منافاة الخشوع الذى هو روح الصلاة والتشويش على غيره كما قال تعالى (واغضض من صوتك ان أنكر الاصوات لصوت الحمير) وظاهره العموم لافرق فيه بين الصلاة وغيرها — وهى فى المال مثلا مايترتب عليه من نفاده وحرمان صاحبه من التمتع به وفقره وذله واحتياجه وغير ذلك من المضار — وهى فى الاكل مايترتب عليه من التخمة فى المعدة التى هى منشأ جميع الامراض الجسمانية غالبا وهكذا فى جميع الاشياء فان الافراط فيها مضر وكذا لايمال الى التفريط لما فيه أيضا من المضرة وهى كذلك فى كل شئ بحسبه فهى فى المخافتة بالقراءة فى الصلاة عدم سماع المأمومين ان كان اماما كما هو موضوع النهى فى الآية الكريمة فيحرمون من الاخذ بما فيها من الاحكام والعمل بها وفى ذلك تضييع لخير كثير ولذا يقول جل شأنه لنبيه صلى الله عليه وسلم (ولا تخافت بها) أى بقراءتك فى الصلاة حتى لايسمعها المأمومون الذين وراءك — والتفريط فى صرف المال يترتب

عليه

آية	سورة

يستفاد من هذه الآية الكريمة أن من أخص صفات الكمال التى يمدح بها الانسان و يحمدعليها و يجزى عليهاالجزاء الاوفى فى الآخرة و يدخل بسببها الجنة وتتلقاه فيها الملائكة بالتحية والبشر والتهنئة والسلام الاقتصاد فى المعيشة والتدبير فيها وعدم الاسراف والتبذير ومجانبة الشح والتقتير وهذا الذى أفاده الله تعالى بقوله (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) أى والذين اذا أنفقوا لم يكونوا مبذرين فى انفاقهم فيصرفون فوق الحاجة والضرورة ولا بخلاء فيمنعون أنفسهم وأهليهم وغيرهم ممن لهم الحق فى أموالهم من التمتع بها مع ادخارهم لها من غير منفعة بها بل كان انفاقهم بين الاسراف والتقتير قواما ووسطا جزاؤهم عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار يدخلون فيها متمتعين متلذذين كما أخبر الله تعالى بذلك عنهم بعد فى آخر الآية بقوله (أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما)

وهذا من أكبر التدبيرات الالهية وأعظم الحكم السماوية التى من الله بها على عباده المؤمنين وأرشدهم اليها فانه ما قامت لأى أمة قائمة بل ولا لأى فرد الا بهذا التدبير الالهى ومن حاد عنه وقع فى مهواة الفقر وساءت حاله سواء فى ذلك الأمم والعائلات والافراد كما هو مشاهد ولذا حث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وبالغ فيه مبينا أنه حسن فى جميع الاحوال حيث قال (ما أحسن القصد فى الغنى وما أحسن القصد فى الفقر وما أحسن القصد فى العبادة) يريد صلى الله عليه وسلم الاقتصاد فى هذه الاشياء الثلاثة فلا يتعدى القدر اللازم منها أما فى الغنى فلان تعديه مجلبة الفساد وداعية الدمار والخراب كما علمت وأما فى الفقر فلان فى تعديه ضم مصيبة الى مصيبة وفى الاقتصاد وحسن التدبير فى حال الفقر تحصيل ثروة وزيادة نمو وأما فى العبادة فلان الاسراف فيها داعية الملل والملل داعية الترك والكسل فكان الاقتصاد فيها من أكبر

سورة	آية	

ولما نهى جل شأنه عن الاسراف والتبذير وحذر منهما وبالغ فى التشنيع على من تكبهما أخذ يبين الادب لمن سئل عن شئ ولم يكن موجودا عنده كيف يقول للسائل وكيف يرده فقال (واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا) أى اذا سألك سائل وخصوصا اذا كان من أقربائك وليس عندك ذلك الشئ الذى سأله وأعرضت عنه لذلك فقل له قولا سهلا لينا وعده وعدا جميلا رحمة له وتطييبا لقلبه

ثم كرّ جل شأنه الى الادب فى الانفاق فقال (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) فأمر جل ذكره بالاقتصاد فى العيش واتخاذ السبيل الوسط بين الاسراف والتقتير ونهى عن البخل والتبذير ممثلا حالة الاول بحال من كانت يده مغلولة الى عنقه مضمومة اليه مجموعة معه فى الغل بحيث لا يستطيع التصرف بها وحالة الثانى بحال من يبسط يده بسطا بحيث لا يتعلق بها شئ مما تقبض الايدى عليه مبينا ما ينتج عن البخل من المذمة واللوم وعن الاسراف والتبذير من الحسرة والندامة حيث لا يجد شيأ ينفقه

وما أحسن ما أرشد جل شأنه اليه عباده فانه أرشدهم الى ما عليه مدار حياتهم وبه ملاك أمرهم وتمام مجدهم وفخرهم فشكرا له على ما علم وأرشد اليه وأحسن به وتفضل وأنعم وتكرم

﴿وقال جل ذكره فى سياق مدح عباده الصالحين وبيان أوصافهم الممدوحة مما فيه حث على الاقتصاد ونهى عن الاسراف والتبذير والبخل والتقتير﴾

الفرقان ٦٧ وَالَّذِينَ اِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا

﴿ما يستفاد من هذه الآية الكريمة﴾

يستفاد

سورة	آية	
الاسرى	٢٦	وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ٢٧ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ٢٨ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا ٢٩ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا

﴿ ما ترشد اليه هذه الآيات الكريمات ﴾

ترشد هذه الآيات الى ماعلمنا الله اياه من حسن التدبير فى المعيشة والاقتصاد فيها الذى هو من أهم المبادئ التى تأسست عليها دعائم سعادة الامم الدنيوية وحياتهم القومية — ونهانا عنه من التبذير وصرف المال فيما لاينبغى وانفاقه على وجه الاسراف وذلك لما يترتب عليه من المفاسد الكبرى والمصائب العظمى من الفقر بعد الغنى والذل بعد العز والتحقير بعد التعظيم والاهانة بعد التكريم فكم بيوت خربت وكم أمم شقيت وكم ممالك اضمحلت وكم مصالح عطلت بسبب الاسراف والتبذير وصرف الاموال فى غير موضعها الذى يجب أن تصرف فيه

لذلك مثل الله جل شأنه المبذرين بأشنع مثال وأقبحه فجعلهم اخوان الشياطين حيث قال (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) أى أمثالهم فى التبذير والسرف وترك طاعة الله تعالى وارتكاب معصيته وهذا غاية فى المذمة لانه لاشر من الشيطان — ولما كان الشيطان كثير الكفران جحودا للنعمة عظيم التمرد على الحق ومع كفره لايعمل الاشرا ولا يأمر الا بعمل الشر ولا يوسوس الابما لاخير فيه عقب الله المماثلة بينه وبين المبذر بقوله (وكان الشيطان لربه كفورا) أى أن المبذر مماثل للشيطان وكل مماثل للشيطان له حكم الشيطان وكل شيطان كفور فالمبذر كذلك

سورة	آية

وأيضا فالمال من أكبر النعم على الانسان التى يجب عليه شكرها آناء الليل وأطراف النهار ومن الشكر أن يصرفه فى مصارفه الجيدة التى بينها له الشرع فلو أسرف فيه وبذر وصرفه فى غير موضعه فقد أخل بشكر هذه النعمة ومن أخل بشكر نعم الله تعالى فقد تعرض لسخط الله وغضبه ومن غضب الله عليه خلعه لباس نعمائه وحرمه من جزيل عطائه وأيضا فان المال لم يخلق عبثا وانما خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات الخلق وذلك يكون بصرفه فى مظانه وعدم امساكه فاذا أمسك ولم ينفقه أو أنفقه ولكن فى غير موضعه الذى يجب أن ينفق فيه فقد أبطل الحكمة التى من أجلها خلقه الله تعالى لانه فى الحالة الاولى حبس المنفعة به وعطل مصالح العباد فيه ولذلك كان جزاؤه النار يكوى بها على جبهته وجنبيه وظهره كما أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) ولانه فى الحالة الثانية ضيع المنفعة منه حيث وضعه فى غير موضعه واستعمله فى غير ما اليه خلق بسوء تصرفه وحمقه فكان جزاؤه لذلك عند الله العقاب الاليم والعذاب الشديد كما أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله (ان الذين ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون) هذا وقد تبين مما تقدم أن الواجب استعماله هو الحد الوسط فى الانفاق فلا يسرف ولا يصرف فوق الحاجة لان ذلك داعية الفقر والدمار ولا يقتر دون الحاجة لان ذلك يوجب الذم واللوم والعار

﴿ وقد نهى جل شأنه عن الاسراف والتبذير كما نهى عن البخل والتقتير وبين ما يترتب على كل منهما من المضار ويلحق صاحبهما من العار وحث على الاقتصاد والاخذ بالحكمة فى الانفاق فقال ﴾

آية	سورة

منه فوق الحاجة وصرف منه فوق القدر اللازم الواجب صرفه منه كان ذلك سببا فى ضعف الامم واضمحلالها ووقوعها فى مهاوى الذل والاحتقار وليس ذلك قاصرا على الأمم فقط بل الأمم والشعوب والقبائل والعائلات والافراد فى ذلك سواء وفى المشاهدة أكبر دليل ولا ينبئك مثل خبير فكم من مسرف رأيناه قل بعد الكثرة وذل بعد العزة وافتقر بعد الغنى وأهين بعد التعظيم وقل اعتباره وكثر احتقاره وذهبت هيبته وانحطت قيمته وكما أن الاسراف والتبذير ووضع المال فى غير موضعه موجب للدمار والخراب كذلك البخل والتقتير مجلبة لكل شر وداعية الى كل ضر قال الله تعالى (ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة) فالواجب اذن استعمال الحد الوسط والاخذ بطرف فى الافراط والتفريط فى التصرف فى الاموال وهذا هو المعنى بالاقتصاد وذلك يكون بامساك المال حيث يجب الامساك وبذله حيث يجب البذل ولا يكون ذلك الا حيث يعرف المقدار الواجب بذله والمقدار الواجب امساكه فالقدر الواجب بذله قسمان واجب بالشرع وواجب بالمروءة والعادة فالواجب بالشرع كالزكاة والنفقة على العيال والاقارب الذين لهم حق النفقة والواجب بالمروءة هو ترك المضايقة والاقتصاد فى المحقرات سواء كان ذلك بالنسبة لنفسه كان يلبس أو يأكل أو يشرب أو يركب مالا يحسن بمثله أن يلبسه أو يأكله أو يشربه أو يركبه على وفرة ماله وهكذا من أمثال ذلك أو لغيره كان يضيق على أهله وأقاربه ومماليكه فيمنحهم درهما حيث يستحقون عشرة فان ذلك كله مستقبح واستقباحه يختلف باختلاف الاحوال والاشخاص فمن كثر ماله يستقبح منه مالا يستقبح من الفقير من المضايقة ويستقبح من الرجل المضايقة مع أهله وأقاربه وزوجته وصديقه مالا يستقبح مع غيرهم ويستقبح مع الجار مالا يستقبح مع البعيد وهكذا فمن أدى واجب الشرع وواجب المروءة اللائقة به فقد أخذ من الاقتصاد بما كله ومن الاعتبار باجله

سورة	آية	
الرعد	١٢	انَّ اللهَ لا يُغيِّرُ ما بِقومٍ حتّى يُغيِّروا ما بأنفسِهم واذا أرادَ اللهُ بقومٍ سوءًا فلا مردَّ له وما لهم من دونه من والٍ

(مايستفاد من هذه الآية الكريمة)

يستفاد من هذه الآية الكريمة أن الله جلت قدرته وعلت كلمته قد جرت سنته فى خلقه أن جعل الطاعة عنوان رضاه وعلامة توفيقه للعبد وحسن عنايته به ورعايته اياه والمعصية عنوان سخطه وغضبه فمن عبد الله وأطاعه رضى عنه ومن رضى عنه أسبغ عليه من نعمه الوافره وأفاض عليه من بحور كرمه الزاخره ومن بدل الطاعة بالمعصية والاحسان بالكفران وغير الحالة الجميلة بالحالة القبيحة فقد باء بسخط الله وغضبه فيسلبه نعمته ويحل به نقمته ولاراد لذلك ولا ممانع ولامدافع لانه جل شأنه اذا أراد بقوم سوأ فلا مرد له ومالهم من غيره وال وناصر يتولى أمرهم فيدفع عنهم ماينزله الله سبحانه بهم من العقوبات

ولايخفى مافى ذلك من الردع والزجر للمتهالكين فى المعاصى الدائبين على الفجور وملازمة الجور وانذارهم بغضب الله تعالى عليهم وحلول الوقيعة بهم اذا غيروا وبدلوا ففعلوا بدل الطاعة معصية وبدل الخير شرا وبدل النافع الضار اللهم حول حالنا الى أحسن حال والطف بنا فيما نزل من الأهوال. انك سميع الدعاء واسع العطاء آمين

الاقتصاد وما يترتب عليه من الاسعاد

اعلم أن حاجة الامم الى المال كحاجة الجسم الى الغذاء فكما أن الغذاء حياة الجسم وقوامه فكذلك المال حياة الأمم ولا قوام لها الا به وكما أن الغذاء اذا كثر فى الجسم عن الحاجة واستعمل منه فوق القدر اللازم كان مضرا به وسببا فى ضعفه واضمحلاله فكذلك المال اذا استعمل

منه

سورة	آية	
		وأجله فى العيون وأعظمه فى الانظار
		﴿ وقال تبارك اسمه فى أن عدم الاستقامة سبب الدمار والهلاك ﴾
الاسرى	١٦	وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا
		﴿ مايستفاد من هذه الآية الكريمة ﴾
		يستفاد من هذه الآية الكريمة أن عدم الاستقامة ومخالفة الله تعالى فى أوامره ونواهيه والتهالك على الفسق واتباع الشهوات والترف فى المأكل والمشرب والملبس فوق الحاجة من أكبر دواعى الدمار وأعظم موجبات الخراب والهلاك سنة الله فى عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا وقد اقتضت ارادته العليه وحكمته الالهيه وهو الحكيم فيما يفعل العليم بحقائق الاشياء وأسرارها أنه اذا أراد أن يهلك قوما أفاض النعمة على رؤسائهم وعظمائهم ووسع لهم فى الرزق فطغوا وبغوا وتمكنت الشهوة فى نفوسهم وقادتهم الى حيث تشاء من الاهواء والموبقات ففسقوا فى الارض وتمردوا وأخذوا يعثون فى الأرض بالفساد ويعصون الله ماأمرهم ولا يبالون بفعل منكر ولاقبيح فيغضب الله عليهم بسبب ذلك فيحق عليهم القول ويحيق بهم العذاب الشديد والعقاب الاليم ويهلكهم الله تعالى ويخرب منازلهم فتصبح خاوية على عروشها ذلك بأنهم ظلموا أنفسهم ونابذوا الله بمعصيته وجاهروه بنبذ طاعته وتركوا الاستقامة وراءهم ظهريا وماظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون
		﴿ وقال جل ذكره فى بيان أن الله لايغير مابقوم من النعمة والعافية حتى يتركوا الاستقامة ويبدلوا الطاعة بالمعصية ﴾

سورة	آية	
		ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى فتؤمنه الملائكة من هول ذلك اليوم العظيم وتبشره بالجنة التى وعد بها على ألسن الرسل الكرام وفيها من جميع ما تختاره النفوس وتشتهيه وتقر به العيون وترتضيه ومهما طلب من أى شئ فيها وجده حاضرا بين يديه كل ذلك بفعله الله تعالى ضيافة وعطاء وانعاما منه على عبده جزاء استقامته وملازمة طاعته وعبادته فما أجزل هذا الخير وما أحسن مايوصل اليه رزقنا الله الاستقامه ومنحنا من واسع فضله جزيل العطاء وحسن الكرامه آمين
		(وقال جل ثناؤه فى بيان أن الاستقامة تجلب الخير وتوسع الرزق)
الجن	١٦	وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَاءً غَدَقًا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ
		(ماترشد اليه هذه الآية الكريمة)
		ترشد هذه الآية الكريمة الى بيان ماأعده الله للمتقين ومنحهم اياه من واسع فضله وجزيل عطائه من الخير الجامع والرزق الواسع جزاء استقامتهم على طريقة الاسلام وطاعتهم لله تعالى واخلاصهم له فى العبادة وهذا ماأفاده الله تعالى بقوله (وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا) أى كثيرا وهو كناية عن توسعة الرزق لهم وقوله جل شأنه (لنفتنهم فيه) معناه نختبرهم حتى نعلم كيف شكرهم على تلك النعم ولقد حث جل شأنه على الاستقامة ورغب فيها و بين أنها مدرة للرزق موسعة له فى غير ما آية من كتابه العزيز فمن ذلك قوله تعالى (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض) ومنه أيضا قوله تعالى (ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم فما أحسن الاستقامة وأجلبها للخير وأدرها للرزق وما أحسن من يتصف بها

وأجمله

سورة	آية	
		﴿وقد أثنى الله على المستقيمين وبالغ فى اكرامهم ومنحهم أعظم مايكون لديه وقت الفزع الاكبر من الامن وعدم الخوف والسرور برؤيتهم ما أعده لهم من النعيم الدائم والخير القائم فقال﴾
فصلت	٣٠	إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ٣١ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ
		﴿ما ترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان﴾
		ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الى أعظم الامور قدرا وأجلها فخرا وذكرا وأعظمها مثوبة لديه تعالى وأجرا ألا وهو الاستقامة على طاعة الله تعالى والوقوف عند حدوده والارتباط بحفظ مواثيقه وعهوده والائتمار بأوامره والاجتناب لنواهيه ومحارمه حتى لايراه حيث نهاه ولا يفقده حيث أمره فان الله جلت قدرته وعلت كلمته قدمنح صاحبها من الخير أكثره ومن الاجر والثواب أعظمه وأكبره فتنزل عليه الملائكة فى حال حياته عند حلول الملمات به وتراكم الاهوال عليه بما يشرح صدره ويدفع عنه الخوف والحزن وعند الموت تقول له لاتخف مما قدمت عليه من أمر الآخرة ولا تحزن على ماخلفت فى الحياة الدنيا من ولد وأهل ومال فانا نخلفك فيه وفى القبر تؤمنه مما فيه من الاهوال وتؤنسه فيه من الوحشة وتؤمنه حين يبعث مما يشاهده من الهول الجسيم والخطب العظيم الذى تشيب له الولدان ويفر المرء فيه من الاصحاب والخلان وتذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل

سورة	آية	

عنها فأشهدوهم أنتم على استمراركم على الاسلام الذى شرعه الله لكم وذروهم وما يعملون

وقد دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الدعوة فقد أرسل الى هرقل ملك الروم كتابا يدعوه فيه الى الاسلام وهو (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم الاريسيين ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون)

الاستقامة

الاستقامة وفقك الله اليها هى الاعتدال فى جميع الامور من الاقوال والافعال والمحافظة على جميع الاحوال التى تكون بها النفس على أفضل حالة وأكملها فلا يظهر منها قبيح ولا يتوجه اليها ذم ولا لوم وذلك انما يكون بالمحافظة على الشرع الشريف والتمسك بالدين والوقوف عند حدوده مع التخلق بالاخلاق الفاضلة والصفات الكاملة كاجتناب المحارم والتعفف عن المآثم ولين الجانب وحسن الاخلاق والصدق وانجاز الوعد والوفاء بالعهد وبذل النصيحة لخلق الله تعالى والشفقة عليهم وأداء الامانة لمن ائتمنه منهم وكف اليد واللسان عن أذيتهم لافرق فى ذلك بين صغيرهم وكبيرهم واصلاح ذات بينهم وكتمان السر وقبول العذر وبذل الشفاعة والعفة والورع والنزاهة وكظم الغيظ الى غير ذلك من كل شئ يحمل على صلاح الدنيا والدين ويبعث على شرف المحيا والممات

ولعمر الحق انها لمن أفضل الخصال وأجل الخلال فبها كمال المروءة وتمام الايمان وبها تكتسب الفضائل وتسلب الرذائل وتحمد السيرة وتحسن السريرة وتعمر البلاد وترتاح العباد وتنمو بها الاموال وتحسن بها الاحوال ولو لم يكن لها من الحسن الا اسمها لكفاها

(وقد

سورة	آية	
		غـير جائز
		وبعد أن نهى جل شأنه عن التفرق فى الدين والاختلاف فيه بين مايترتب على ذلك الاختلاف ومايحيق بصاحبه من النكال ويحل به من الوبال وعظيم العذاب وشديد العقاب فقال (وأولئك لهم عذاب عظيم) ولا يخفى مافى ذلك من عظيم الزجر للمؤمنين عن التفرق والاختلاف
		﴿وقال جل ثناؤه فى الحث على الاتحاد والائتلاف تحت جامعة الدين﴾
آل عمران	٦٤	قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ
		﴿ماتشير اليه هذه الآية الكريمة﴾
		تشير هذه الآية الكريمة الى ماأمر الله به نبيه عليه الصلاة والسلام أن يدعو أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى اليه ويقبلوا عليه وذلك من اجتماعهم واتفاقهم واتحادهم مع المسلمين على جملة مفيدة بحيث يستوى الكل فى اعتقادها والعمل بها وتلك الجملة هى أن لا يعبدوا الا الله ولا يشركوا به شيأ لا وثنا ولا صليبا ولا صنما ولا نارا ولا غير ذلك مما يعتقدون أنه شريك لله تعالى وأن لا يطيع بعضهم بعضا فى معصية الله تعالى فان فعلوا ذلك وقبلوا هذه الدعوة التى هى دعوة جميع الرسل كما قال الله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون) وقال تعالى (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) ووحدوا الله تعالى وأخلصوا له فى العبادة فقد فازوا بالسعادة ومحوا رضوان الله عليهم وان تولوا وأعرضوا

سورة	آية	
		﴿ وقال جل ثناؤه فى النهى عن التفرق والاختلاف مبينا مايترتب على ذلك من العذاب العظيم والعقاب الشديد الاليم ﴾
آل عمران	١٠٥	وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ
		﴿ ماترشد اليه هذه الآية الكريمة ﴾
		ترشد هذه الآية الكريمة الى النهى عن التفرق والاختلاف فى أمر الدين وفيما جاء به الشرع المتين من بعد مجيء الآيات البينات واقامة الحجج الظاهرات كما تفرقت الامم الماضية واختلفوا فى أمر دينهم وقد أشار الى ذلك التفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال (افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار الاملة واحدة فقيل له ما الواحدة قال ما أنا عليه اليوم وأصحابى) ثم اعلم أن الاختلاف والتفرق ان كان فى أصول الدين فهو ضلال وسبب كل فساد لانه اذا كان الاصل موضوع الخلاف فكيف يمكن الرجوع اليه عند التنازع والله تعالى يقول (فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول) وان كان فى الرأى فان كان يترتب عليه تضييع مصالح دينية أو دنيوية فهو ضلال أيضا لقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ وأبى موسى لما بعثهما الى اليمن (تطاوعا ولا تختلفا) وان لم يترتب عليه شئ من ذلك فلاشئ فيه وان كان فى الفروع كالاختلاف فى الحلال والحرام ونحوهما فما كان منه مبناه اختلاف الآراء فى الاستنباط من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مع تحرى الحق والصدق فى النية فهو جائز وما كان مبناه الهوى وحب المحمدة والسمعة والشهرة لاغير فهو محظور

غير

آية	سورة
٦٣	الانفال

هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

(ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة)

ترشد هذه الآية الكريمة الى رفعة مقام النبى صلى الله عليه وسلم وجلالة قدره وعلو مكانته عند الله تعالى حيث أيده على عدوه بنصره وبالمؤمنين والمراد بهم المهاجرون والانصار ومنحه من الآيات الباهرة والمعجزات الفاخرة اذ ألف بين قلوب من بعث اليهم بما أوجد بينهم من التحابب والتوادد مع ماجبلوا عليه من الحمية والعصبية والانطواء على الضغينة والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا بتوفيقه تعالى كنفس واحدة واجتمعت كلمتهم وصاروا جميعا كنانة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذابين عنه بقوس واحدة ولا يقدر على مثل ذلك الا من يملك القلوب فهو يقلبها كيف شاء ويصنع فيها ماأراد ولذا يقول الله عليه الصلاة والسلام (لو أنفقت مافى الارض جميعا ماألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) أى أن ما كان بينهم من العداوة والعصبية قد تمكن فى قلوبهم الى حد صار لا يمكن دفعه بحال من الاحوال ولو أنفق الطالب فى دفعه ومنعه جميع مافى الارض من نفائس الاموال لما أمكنه ذلك لان أمرهم فى ذلك قد تعاظم جدا ولكن الله ببديع صنعه وعظيم قدرته التى بها يصرف القلوب كيف شاء ويقلبها كيفما أراد يقدر على ذلك وهو هين عليه لانه عزيز قوى لا يستعصى عليه شئ بل الكل فى قبضته وتحت أمره ونهيه حكيم يعلم ما يليق تعلق الارادة به فيوجده بمقتضى حكمته ومن آثار عزته وقوته تصرفه فى قلوبهم حسب ارادته ومشيئته ومن آثار حكمته تدبير أمورهم على وجه أحدث فيهم التوادد والتحابب

سورة	آية

وجد فى قلوبهم فبعد أن كانوا عونا عليه صاروا عونا له ومن الغريب أنه على أنفسهم فما أحسن ما أرشد الله اليه عباده ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم أكثر الناس ائتمارا بهذا الامر الالهى وأحرص الناس على العمل به وأعظمهم ثباتا عند اللقاء ومقاتلة الاعداء ففتحوا بذلك الاقاليم العديدة شرقا وغربا فى مدة يسيرة مع قلة عددهم وعددهم بالنسبة الى جيوش سائر الأقاليم من الروم والفرس والترك والصقالبة والبربر والحبوش وأصناف السودان والقبط وطوائف بنى آدم فهدوا الجميع حتى علت كلمة الله وظهر دينه على سائر الاديان وامتدت الممالك الاسلامية فى مشارق الارض ومغاربها فى أقل من ثلاثين سنة وذلك كله بفضل الاتحاد والألفة وعدم الاختلاف والتنازع فكان الواحد منهم لايهمه الا الحق والحق واحد لايتعدد فكانت أغراضهم واحدة ومقاصدهم واحدة وقلوبهم واحدة وكلمتهم واحدة وجامعتهم واحدة وهى جامعة الدين والحق رضى الله عنهم وأرضاهم وحشرنا فى زمرتهم انه كريم وهاب ولما كان عدم التنازع والفشل ليس كافيا فى قمع العدو والنصرة عليه بل لابد معه من اصطحاب جميل الصبر نبه الله جل شأنه على وجوب اصطحابه مع ذلك فقال (واصبروا ان الله مع الصابرين) أى معينهم وناصرهم ثم اعلم أن القتال ليس بشرط فان التنازع والاختلاف فى كل شئ مجلبة الفساد وداعية الدمار فكم شاهدنا من عائلات كبيرة كانت فى رغد من العيش وبيوت كثيرة كانت آهلة بأهلها حتى اذا دبت فيهم عقارب التنازع وسرى سمه فى قلوبهم وأخذ منهم الشيطان مأخذه تفرقوا شذر مذر وأصبحت بيوتهم خاوية على عروشها وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون

(وقال جل ذكره ممتنا على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بأنه أيده على عدوه ونصره عليهم بمعونة المؤمنين الذين ألف بين قلوبهم وجمعها على الايمان به وطاعته ومناصرته وموازرته)

سورة	آية	
		فقال (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا) وهذا الخطاب فى النظم الكريم للانصار رضوان الله عليهم وذلك أنه كان بينهم حروب كثيرة فى الجاهلية وعداوة شديدة وضغائن وأحقاد طال بسببها قتالهم ولم يكن بينهم وبين الوقوع فى النار الا أن يموتوا كفارا فلما جاء الاسلام ودخل فيه من دخل منهم صاروا اخوانا متحابين متواصلين متعاونين يحب أحدهم لاخيه مايحب لنفسه وذلك من أكبر النعم وأعظم المنن ولذا أمرهم جل ذكره بتذكرها ليكون ذلك داعيا لشكره على احسانه اليهم وهذا ماأفاده الله تعالى بقوله (وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون)
		﴿ وقال جل ثناؤه فى بيان أن التنازع والتفرق فى الكلمة والرأى سبب الضعف والخذلان والفشل فى جميع الازمان ﴾
الانفال	٤٧	وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ
		﴿ ماترشد اليه هذه الآية الكريمة ﴾
		ترشد هذه الآية الكريمة الى ما نهى الله عنه عباده المؤمنين عند مقاتلة الاعداء من التنازع والاختلاف فى الكلمة والرأى مبينا لهم المضار التى تنتج عن ذلك من الفشل والخذلان وتمكن العدو من الوقيعة بهم والنصر عليهم وذلك لان اختلافهم فى الرأى يحل من عزائمهم ويضعف من قوتهم ويثبط من هممهم فاذا حل عليهم العدو قابلوه بقلوب خائرة وعزائم فاترة وهمم كليلة وقوة ضئيلة فينال منهم العدو مالا يمكن أن ينساله مع الاتحاد ولانهم بتنازعهم وتخاذلهم وضعف همتهم قد أضافوا الى العدو قوة بقدر الفتور الذى حصل فى عزائمهم والضعف الذى

سورة	آية	
		(فقال جل شأنه فى سياق الامتنان على عبيده وتعداد النعم عليهم بكونه ألف بين قلوبهم وجمع شتات شملهم ووحد جامعتهم)
آل عمران	١٠٣	وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ
		(ماتشير اليه هذه الآية الكريمة)
		تشير هذه الآية الكريمة الى فضل الاتحاد وعظيم المنة به على العباد وما تفضل به الله عليهم من عظيم المنة وجزيل النعمة حيث جمع قلوبهم بعد الشتات ووحد كلمتهم بعد الافتراق ومنحهم التحابب والتوادد بعد التباغض والتحاسد وصاروا اخوانا أحباء بعد أن كانوا أخصاما ألداء وذكرهم بجليل آلائه وجزيل نعمائه ليشكروه على ماتفضل به وتكرم وأحسن وأنعم وقد أمرهم جل شأنه بالاعتصام بحبله والتمسك بدينه والعمل بما فيه والنزول عند حكمه والاجتماع على نصرته والذب عن حوزته والتفانى فى اعلاء كلمته ونهاهم عن التفرق فيه وعدم الائتلاف والسعى فيما يجلب الشقاق والاختلاف فقال (واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا) أى تمسكوا بدينه واعملوا بما فيه مجتمعين على ذلك ولاتفرقوا عن الحق الذى أمرتم بالاعتصام به ثم أخذ جل شأنه يذكرهم نعمته عليهم بأنهم كانوا أعداء مختلفين يقتل بعضهم بعضا و ينهب بعضهم بعضا لايهنأ لهم عيش ولا تصفو لهم حياة فألف بين قلوبهم فصاروا بعد هذه الافعال الشنيعة والاعمال القبيحة اخوانا أحباء مجتمعين مؤتلفين متحابين يساعد بعضهم بعضا ويود أحدهم لأخيه مايود لنفسه

فقال

آية	سورة

وقد مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم الاتحاد باعظم مثال وشخصه
بأعظم تشخيص فقال (مثل المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتواصلهم كمثل
الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر)
ثم اعلم أنه ليس كل اجتماع ينشأ عنه ألفة واتحاد ومحبة ومودة ممدوحا
الا اجتماعا يكون فيه فوائد دينية وأعمال مرضية كالاجتماع فى
الصلوات وطلب العلم والذكر وغيرها من الاجتماعات الخيرية - أما
الاجتماع للفسق واللهو وغيرهما من أنواع المنكر فهذا لا فائدة فيه
الا الاثم على أنه قلما يأتى مثل هذه الاجتماعات بفائدة تذكر فكم من
متحابين كانت محبتهما نتيجة اجتماع من مثل هذه الاجتماعات لم يلبثا فى
مودتهما ومحبتهما وتآلفهما وتوادهما الا ريثما افترقا وتباغضا لانه ليس
لهذا الاتحاد أصل ثابت ينبنى عليه فهو أسرع شئ الى الزوال وأقربه الى
الاضمحلال ولذا كان من الواجب اختبار الصاحب قبل صحبته فقد قال
صلى الله عليه وسلم (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)
واختباره يكون بالنظر فيه فان كان مستجمعا لصفات الكمال مستوفيا
لانواع البر والخير وجبت صحبته وتعينت مودته امكن الاهتداء به عند
الضلالة والاسترشاد به عند الحيرة وأن يكون عنده دين يرشده الى فعل
الخيرات وما فيه نفع له ولصاحبه ويؤثره به على نفسه وان كان غير
ذلك وجبت مباغضته وتعينت مجانبته * وما أحسن ما قال بعض الفضلاء
لابنه يوصيه يابنىّ اذا عرضت لك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب
من اذا خدمته صانك وان صحبته زانك وان قعدت بك مؤنة مانك
واصحب من اذا مددت يدك بخير مدّها وان رأى منك حسنة عدها
وان رأى سيئة سدها واصحب من اذا سألته أعطاك وان سكت
ابتداك وان نزلت بك نازلة واساك فان لم تجده فلا تصاحب الا نفسك
ولما للاتحاد من عظيم المنفعة وجليل الفائدة حث الله عليه فى مواضع
كثيرة من القرآن الكريم

سوره	آيه	
		وائتلاف القلوب المتباغضة وكم بالاتحاد عمرت بلاد وسادت عباد وقضيت مصالح وانتشر عمران وأسست ممالك وحصل تناصر ووجد تضافر وقوى ضعيف وتغلبت ممالك وسهلت مسالك واستحكم وداد وتمكن اسعاد وأمنت غوائل وكثر تواصل وصفت ضمائر وحسنت سرائر وقويت شوكه وتمت نعمه وأزيلت نقمه وحصلت رحمه الى غير ذلك مما لايمكن عده ولا حصره وحده ـ علم ذلك الشارع الحكيم العليم بمصالح العباد وماتكون فيه سعادتهم وصلاح حالهم واستكمال شؤنهم فحث على الاتحاد والالفة وبين مايترتب على ذلك من جليل المنافع وعظيم الفوائد ولم يكتف بذلك حتى بث الاجتماع الذى هو أعظم الوسائل وأمتن الاسباب فيه وجعله مطلوبا فى أغلب العبادات فشرع الجمعة والجماعات والعيدين والحج ليكون من وراء ذلك اجتماع المسلمين كلهم فى يوم واحد فى ساعة واحدة يؤم الكل غرضا واحدا يتبادلون فيه أنواع التحية ويتصافحون ويتعانقون ويبث أحدهم شكواه للآخر ويستشيره فى جميع مهامه التى تحتاج لمشاركة فى الفكر والرأى ليرشده الى أرشد أموره وأمثلها ويعلم بعضهم بعضا أمر دينهم ويتصدق الغنى منهم على الفقير ويحسن اليه بما يسد جوعته ويستر عورته ولا غرض للشارع الحكيم من ذلك كله الا أن يرشد عباده كيف يتحدون ويجتمعون ويتعاونون ويستجلب بعضهم محبة أخيه اليه فيكون له عونا عند الحاجة ومساعدا وقت الضرورة وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه حتى كان أحدهم يرث الآخر دون قراباته وذوى رحمه وبذلك كانت نصرتهم على عدوهم مع قلة عددهم وعددهم وكثرتهما عنده فدوخوا البلاد وفتحوا الفتوحات ومصروا الامصار ومدوا ظلال العمران وشيدوا مدنا وسهلوا مسالك وجابوا البلاد شرقا وغربا وشمالا وجنوبا كل ذلك كان باعتصامهم بحبل الاتحاد وارتباط قلوبهم بجامعة الدين

آية	سورة

التي خلقهم بها من نفس واحدة وهي آدم عليه السلام وخلق منها زوجها وهي حواء عليها السلام وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ونشرهم في أقطار العالم على اختلاف أصنافهم وأوصافهم وألوانهم ولغاتهم ولا شك أن خلقه تعالى بهذه الكيفية من أقوى الدواعي الى الاتقاء من موجبات نقمته ومن أتم الزواجر عن كفران نعمته فقوله تعالى الذي خلقكم من نفس واحدة في قوة العلة للامر بالتقوى فكأنه قال يا أيها الناس اتقون لاني خلقتكم من نفس واحدة الآية (الامر الثاني) الحث على صلة الرحم وبرها وعدم قطعها وهذا الذي أفاده الله تعالى بقوله (واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام) أي واتقوا الله الذي يسأل بعضكم بعضا به وذلك يكون بطاعتكم اياه واتقوا قطع مودة الارحام فان قطعها من أكبر الكبائر وصلتها باب لكل خير فتزيد في العمر وتبارك في الرزق ولذا وصل جل شأنه تقوى الرحم بتقواه

وما أحسن ما ذكر الله من دواعي الحنو والعطف والشفقة والرحمة بالاقارب واستمالة القلوب اليهم حتى يصلوهم ولا يقطعوهم حيث ذكر جل شأنه أن أصل الخلق من أب واحد وأم واحدة فان في ذلك من موجبات الاحتراز عن الاخلال بمراعاة حقوق الاخوة مالا يخفى وقوله تعالى (ان الله كان عليكم رقيبا) أي مطلعا وعليما فيعلم من امتثل أمره بتقواه وصلة الرحم ومن لم يمتثل فيجازي كلا بما يستحق والله أعلم

الاتحاد والاخاء وما يترتب عليهما من المودة والولاء

اعلم أن الاتحاد وارتباط القلوب ببعضها وتضافرها على أمر واحد واجتماعها على كلمة واحدة من أعظم أسباب السعادة وأقوى دواعي المودة والمحبة فيه اجتماع الشعوب المتفرقة وتوحيد المقاصد المتباينة

سورة	آية	
		من غيرهم وذلك منه جل شأنه حث على انتفاعهم ووصول الخير لهم وصلتهم ولعل حكمة ذلك والله أعلم أن الاقرباء أدخل فى التناصر والتعاون من غيرهم فلذلك كانوا أولى ببعضهم من غيرهم فى التمتع بما يتركه المتوفى من الاموال وكان من الحكمة والعدل أن يكون من هو أدخل فى التناصر وأشد ارتباطا وأمس رحما وأقرب قرابة من الميت صاحب الحظ الاكبر والنصيب الاوفر من ماله أكثر من غيره فترى الابن مثلا يحجب غيره من الاقرباء الاباعد ويمنعهم من الميراث لانه أكثر نصرة لأبيه وأعظم شفقة عليه وأشد تعاونا له من غيره من الاقارب — فما أبعد نظر الشريعة الغراء وأعلقها بالمصلحة للعباد ولا عجب فانه جل شأنه عليم بكل شئ لا يخفى عليه شئ من الاشياء كائنا ما كان ومن ذلك مصالح العباد ومضارهم فيشرع لهم مافيه مصلحة لهم ومنفعة ويعفو عما فيه مفسدة لهم ومضرة ومن ذلك التوارث بمقتضى القرابة دون التوارث بمقتضى الايمان والاخوة فى الدين والله يعلم وأنتم لاتعلمون
		(وقال تبارك اسمه فى الحث على صلة الرحم وبرها والنهى عن حرمانها وقطعها قارنا ذلك بالامر بتقواه)
النساء	١	يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا
		(ماتشتمل عليه هذه الآية الكريمة)
		تشتمل هذه الآية الكريمة على أمرين (الاول) ماأرشد الله اليه خلقه من الامر بتقواه وهى عبادته وحده لاشريك له منها لهم على قدرته

التى

سوره	آيه	
		ونقضه عدم العمل به وقطع الرحم التى أمر الله بها أن توصل والفساد فى الارض بارتكاب كل معصية يتعدى ضررها ويطير فى الآفاق شررها وانما استحق هؤلاء الناس العقوبة لانهم أهملوا العقل عن النظر ولم يقتنصوا المعرفة المفيدة للحياة الابدية والمسرة السرمدية فاشتروا النقض بالوفاء والقطيعة بالصلة والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب فضاع منهم رأس المال والربح وحصل لهم الضرر الجسيم وهذا هو الخسران العظيم ولذلك يقول الله تعالى (أولئك هم الخاسرون) أى الناقصون أنفسهم حظوظها من رحمة الله بمعصيتهم له كما يخسر الرجل فى تجارته بان يوضع من رأس ماله فى بيعه فكذلك هؤلاء الناس الذين اتصفوا بهذه الاوصاف القبيحة قد خسروا بحرمان الله تعالى اهم من رحمته التى خلقها لعباده فى القيامة أحوج ما كانوا الى رحمته
		﴿وقال تبارك اسمه فى الحث على صلة الرحم وبيان أن ذوى القرابات فى ايصال الخيرات لبعضهم أولى من غيرهم ممن ليس بينهم وبينهم قرابة﴾
الانفال	٧٥	وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ
		﴿ما يستفاد من هذه الآية الكريمة﴾
		يستفاد من هذه الآية الكريمة بيان حقوق الاقرباء بعضهم على بعض وأنهم أولى من غيرهم فى تأدية هذه الحقوق لهم فمن ذلك أنهم يرثونهم دون غيرهم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بين أصحابه فكان المهاجرى يرث الانصارى دون قراباته وذوى رحمه للاخوة التى عقدها بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية لتخصيص الاقرباء بالميراث دون غيرهم من الاجانب لانهم أولى ببعضهم

سورة	آية	
		والانكسار والنفقة والتصدق على الفقراء والمساكين فى السر والجهر فان هؤلاء الناس الذين اتصفوا بهذه الاوصاف قد أعد الله لهم من الجزاء الاوفى والثواب الموفى مابينه بقوله (أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها) ولتكمل لهم أنواع المسره وتتم لهم أسباب السعادة والمبره أدخل معهم فيها من أحبائهم من يصلح منهم لدخولها وذلك من الآباء والازواج والذريات وبعد دخولهم فيها تدخل عليهم الملائكة من كل باب يهنؤنهم بالدخول ويقولون سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ثم أردف ذلك ببيان ماأعده من العذاب الاليم والطرد من رحمته لمن نقض عهد الله بعد أن استوثقه وأكده عليه وقطع الرحم التى أمر الله بها أن توصل وسعى فى الارض بالفساد فقال (أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار) أى دار السوء وذلك بما اشتملت عليه من الاهوال والمشقات ومناقشة الحساب
		﴿وقال جل ثناؤه فى النهى عن قطع الرحم مع بيان مايترتب على ذلك من العقاب الشديد والعذاب الاليم والخسران المبين﴾
البقره	٢٧	الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَاأَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ
		﴿ماترشد اليه هذه الآية الكريمة﴾
		ترشد هذه الآية الكريمة الى بيان ماأعده الله تعالى من النكال الشديد والعذاب الاليم والخسران المبين لمن اتصفوا بهذه الاوصاف الرذيلة وتخلقوا بهذه الاخلاق القبيحة وهى نقض العهد بعد ماأخذ الله عليهم الميثاق به وهو كل ماأمر الله به ونهى عنه فى كتبه أو على ألسن رسله الكرام

ونقضه

سورة	آية	
		(وقد حث جل شأنه على صلة الرحم ورغب فيها وحذر من قطعها وأعد الجنة لمن وصلها والنار لمن قطعها فقال)
الرعد	٢٢	الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ٢٣ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ٢٤ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ٢٥ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ٢٦ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ٢٧ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ
		(ما ترشد اليه هذه الآيات الكريمات)
		ترشد الى بيان ما أعده الله تعالى من الخير العميم والثواب الجزيل الجسيم لمن اتصفوا بهذه الصفات الحميدة وتخلقوا بهذه الاخلاق الجليلة وهى الوفاء بالعهد وعدم نقض الميثاق وصلة الرحم التى أمر الله بها أن توصل مع مراقبة جانب الله تعالى والخشية من عقابه على قطعها والخوف من سوء الحساب فى السؤال عنها والصبر عند حلول النوائب وإقام الصلاة على وجهها المطلوب شرعا من الخضوع والخشوع

النعمة ويستحكم الوداد ويتمكن الاسعاد ولما اشتملت عليه من هذه الثمار اليانعه والفوائد النافعه حث الشرع عليها وبالغ فى التمسك بها حتى جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم سببا فى ادرار الرزق وسعته وفاتحة الخير وزيادته فقال عليه الصلاة والسلام (ان أعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم حتى ان أهل البيت ليكونون فجارا فتنمو أموالهم و يكثر عددهم اذا وصلوا أرحامهم) وقال عليه الصلاة والسلام (من سره أن يمدّ له فى عمره ويوسع له فى رزقه فليتق الله وليصل رحمه) وسأل معاوية عمر بن الخطاب رضى الله عنهما عن المروءة فقال هى تقوى الله وصلة الرحم * وقال رجل لابنه فى بعض وصاياه يابنى لاتقطع القريب وان أساء فان المرء لايأكل لحمه وان جاع * وقال بعض الحكماء من وصل رحمه وصله الله ورحمه ومن قطعها قطعه الله وحرمه * ومن الحكم المنثورة صلوا الارحام بالحقوق ولا تجفوها بالعقوق وما أحسن ماقال بعض الشعراء

انى ليمنعنى من قطع ذى رحم * رأى أصيل وعقل غير ذى وصم
ان لان لنت وان دبت عقاربه * ملأت كفيه من صفح ومن كرم

ولو أنى استقصيت بك الكلام على صلة الرحم وما ورد فى الترغيب فيها من الشرع ومن أقوال الحكماء والعلماء والادباء لأطلت عليك بشئ ربما يكون لك فى بعضه غنى عن كله

ولعل حكمة حث الشارع عليها والتشديد فى أمرها والترغيب فيها والتحذير من قطعها ومجانبة ذلك جهد الاستطاعة أن أقارب الرجل هم أكثر الناس بعد أبويه له تناصرا وأكثرهم رغبة فى الخير له وأشدهم شفقة عليه وأعظمهم محبة له بهم يعلو بين الانام قدره ويعظم فخره ويرتفع ذكره وهم أكثر الناس به اختلاطا فاذا قطعهم تنغص عيشه وكثر شره وقل خيره ولانهم أبعاض أبويه ومنهما نشؤا أو اختلطوا معهما فى نسب فكل هذه حقوق تحتم على الشخص أن يصلهم بقدر جهده واستطاعته

آية	سورة

مايؤهله لان يعرف أحوال نفسه ويمكنه أن يقوم بجميع مصالحه حتى اذا وصل الى هذه الحالة أعتقه وقد جعل الشارع لذلك أسبابا كثيرة منها الكفارات وغيرها

وما أحسن ماوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم على الارقاء والخدم فانه صلى الله عليه وسلم جعل يوصى أمته فى مرض موته ويقول الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم وجعل يرددها حتى مايفيض بها لسانه وقال صلى الله عليه وسلم (للمملوك طعامه وكسوته ولا يكلف من العمل مالا يطيق) وقال صلى الله عليه وسلم (اذا أتى أحدكم خادمه بطعام فليقعده معه فليأكل فان كان الطعام مشفوها قليلا فليضع فى يده أكلة أوأكلتين) وقال عليه الصلاة والسلام (اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل مالا يطيقون فما أحببتم فأمسكوا وما كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله فان الله ملككم اياهم ولوشاء لملكهم اياكم) والاحاديث فى الوصاية بالرقيق والخدم كثيرة وقوله تعالى (ان الله لايحب من كان مختالا فخورا) أى مختالا فى نفسه معجبا متكبرا فخورا على الناس يرى أنه خير منهم فهو فى نفسه كبير وهو عند الله حقير وعند الناس بغيض والله أعلم

صلة الرحم

رحم الانسان أقاربه وصلتهم أن يطعمهم من جوع ويؤمنهم من خوف ويقضى عنهم دينا ويفرج عنهم غما ويقوم بما يحتاجون اليه ويتودد اليهم بالزيارة والهدايا والطيب من القول والبشاشة عند اللقاء والمبادرة بالسلام ورد ضالتهم والمحافظة على فعل كل مايجلب محبتهم اليه وهى من أفضل الخصال وأجمل الخلال فبها يكثر التواصل والتوادد وتؤمن الغوائل ويزول التباغض والتحاسد وتستمال القلوب وتلتئم الشعوب وتغفر الذنوب وتصفو الضمائر وتحسن السرائر وتنتظر الرحمة وتستدام

سورة	آية

اليهم بالزيارة والهدايا والطيب من القول ان كانوا أغنياء والاحسان الى اليتامى والمساكين بالنظر فى مصالحهم والقيام بأودهم وكل مايحتاجون اليه - وحسن الجوار سواء كان الجار ملاصقا أو غير ملاصق وخصوصا اذا انضم الى الجوار القرابة فيكون له حقان حق الجوار وحق القرابة وحسنه يكون بالاحسان الى جاره والتصدق عليه ان كان محتاجا والتودد اليه بالزيارة و المبادرة برد السلام والمساعدة له فى كل مايحتاجه فلا يمنع عنه ماعون البيت وأثاثه اذا احتاج الى الشئ منه كالقدوم والنار والماجور والجفنة والقدر وغير ذلك - وحسن الصحبة وهو المراد بقوله تعالى والصاحب بالجنب أى الذى كانت صحبته بسبب مرافقته بالجنب سواء كان ذلك بجلوسه بجنبه فى طلب علم أو تعلم صناعة أو مباشرة تجارة أو مرافقة فى سفر أو قعوده بجنبه فى مسجد أو مجلس أو غير ذلك وحسن الصحبة معه بأن يكون له فى النوائب ويؤثره بالرغائب وينشر حسنته ويطوى سيئته ويكتم سره ويستر عيبه واذا سأله أعطاه واذا سكت وكان محتاجا ابتداه وان نزلت به نازلة واساه - ومواساة ابن السبيل وهو المسافر وتكون بسد عوزه واعانته بما يوصله الى محل أوبته - والشفقة والرحمة بالارقاء والعبيد والاحسان اليهم لان الرقيق ضعيف الحيلة أسير فى أيدى الناس ويكون ذلك بتربيته وتعليمه وعدم تكليفه من العمل مالا يطيق وأن يكسوه ويطعمه مما يلبس ويأكل حتى اذا آنس فيه النباهة والمعرفة والقدرة على أن يملك زمام نفسه بنفسه ويعرف أن يتصرف فى معيشته باستقلاله أعتقه فان ذلك هو المقصود من الاسترقاق ولذا ترى الشارع كثيرا مارغب فى عتق العبيد حتى جعله فى الكفارات عما يرتكبه الانسان من الخطا فى يمينه أو قتله أو صومه وليس المقصود من الاسترقاق الاستعباد المطلق لان العبد أخو سيده ومتمتع بسائر الحقوق البشرية والمميزات الانسانية بل المقصد الاسمى منه أن العبد اذا وجد عند سيده كان ذلك داعية لتعلمه واكتسابه من أخلاق سيده وحسن آدابه وكمال معرفته

سورة	آية	
		وبين غرضه مسافة تحتاج الى المؤنة والزاد فيعطى ما يبلغه الى مقصده وخصوصا اذا كان سفره لطلب العلم أو الارشاد وتعليم الناس أمر دينهم أو للجهاد لاعلاء كلمة الله تعالى فان ذلك تجب النفقة عليه بقدر ما يوصله الى المحل الذى يقصده ـ فانظر الى هذا الترتيب الحسن العجيب فى بيان كيفية الانفاق وما يجب أن يصرف الانسان ماله فيه من وجوه الخير والبر وما أحسن تعقيب ذلك بعبارة تفيد الترغيب والحث على الانفاق بلطف وذلك قوله تعالى (وما تفعلوا من خير فان الله به عليم) أى مهما صدر منكم من فعل معروف فان الله تعالى يعلمه ويجازيكم عليه أوفر الجزاء لانه لا يظلم أحدا مثقال ذرة ولا شك أن من أيقن بالخلاف جاد بالعطية
		﴿ وقال جل ثناؤه فى الحث على بر الوالدين والاحسان اليهما والحنو والشفقة عليهما قارنا ذلك بتوحيده وعبادته مما يدل على تأكد حقهما والاعتناء بشأنهما ﴾
النساء	٣٥	وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْأً وَبِالْوَالِدَيْنِ احْسَانًا وَبِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِى الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ انَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا
		﴿ ما تفيده هذه الآية الكريمة ﴾
		لقد جمعت هذه الآية الكريمة من صنوف البر وأنواع الخير وحسن المعاملة مع الله والناس ما لو عملت به وتخلقت به لكنت من أسعد السعداء وأنبل النبلاء فمن ذلك توحيد الله تعالى وحسن عبادته وبر الوالدين بالاحسان اليهما والحنو عليهما وصلة الرحم بمد يد المساعدة لهم ان كانوا فقراء والتودد

سورة	آية
البقرة	٢١٤

يَسْـئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُـلْ مَا أَنْفَقْـتُمْ مِنْ خَـيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْـرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِـينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ

﴿ماترشد اليه هذه الآية الكريمة﴾

ترشد هذه الآية الكريمة الى بر الوالدين والاحسان اليهما وان أفضل شئ يتصدق به الانسان و يحسن به ويفعله من المعروف والخير والبر والصدقة هو ما كان للوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وقد بين الله ذلك عند ماسأل المؤمنون النبي عليه الصلاة والسلام كيف ينفقون أموالهم وعلى من يصرفونها فقال (قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل) أى اصرفوها فى هذه الوجوه وذلك لان الوالدين هما السبب فى وجوده حتى أمكنه أن يكتسب هذا المال وينفقه فهما أولى بصرف المال اليهما وأجدر بالتصدق عليهما من غيرهما لان فى ذلك برهما واستجلاب رضاهما ومنعهما من التكفف وذل السؤال وماأقبح من يرى نفسه فى غنى وسعة ويتلذذ بأنواع المآكل والمشارب وأبواه لايصيبهما من ذلك شئ بل ربما باتا بالجوع فما أقل مروأته وأخس نفسه وأقبح تربيته ــ ثم من بعدهما الاقربون لانهم أبعاض الوالدين ولان الانسان لايمكنه أن يسع جميع الفقراء بصدقته واحسانه ولا أن يقوم بمصالحهم فتقديم القرابة أولى من غيرهم ــ ثم من بعدهم اليتامى فانهم أحوج الناس وأولاهم بالعطاء والاحسان اليهم بعد الوالدين والاقربين لانهم لا كسب لهم وليس لهم من يتكفل بمصالحهم ــ ثم من بعدهم المساكين المحتاجون الذين لايجدون من يقوم بكفايتهم فهم أولى بالتصدق بعد من ذكر لان فيه منعهم من ذل السؤال والتكفف ــ ثم من بعدهم ابن السبيل والمراد به المسافر الذى فرغ زاده وقلت مؤنته و بينه

وبين

سورة	آية	

مدة ليست بالقليلة ولذا كان لها من البر ثلثاه ثم قال جل شأنه (أن اشكرلى ولوالديك الىّ المصير) أى وصيناه بشكرنا وشكر والديه ومن قام باداء هذا الشكر جاز يناه أوفر الجزاء لان المصير والمرجع الينا وما أعظم هذه العناية من الله جل شأنه بالوالدين حيث قرن شكرهما بشكره ان فى هذا لبلاغا لقوم عابدين

وقد حدّ جل شأنه الحد الذى تجب طاعتهما ومتابعتهما فيه بأنه مالم يكن فيه معصية الله تعالى فان أمراه بمعصية الله تعالى أونهياه عن طاعته فلاحرج فى مخالفتهما ولاتعد حينئذ عقوقا اذ لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق الا أنه مع ذلك لايصح له أن يقطعهما ويمنع الاحسان اليهما بل يصنع المعروف معهما وهذا الذى أفاده الله تعالى بقوله (وان جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلاتطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا) أى وان حرصا كل الحرص على أن تتابعهما على دينهما وتشرك بى فلا تطعهما ولاتقبل منهما ذلك ولا يمنعك ذلك من أن تصاحبهما فى الدنيا بالمعروف والاحسان اليهما والتصدق عليهما ثم أمر جل شأنه بعد الفراغ من الوصية ببر الوالدين باتباع سبيل من رجع اليه من عباده الصالحين بالتوبة فقال (واتبع سبيل من أناب الى) أى اتبع أيها المكلف دين من أقبل الى طاعتى من عبادى الصالحين بالتوبة والاخلاص وهو النبى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ثم الىّ مرجعكم جميعا فى الآخرة فأنبئكم وأخبركم بالذى كنتم تعملونه من خير أوشر فأجازى كل عامل بما عمل ـ اللهم اجعلنا ممن أحسنت عملهم وتقبلته منهم وجعلته خالصا لوجهك انك سميع الدعاء واسع العطاء آمين

﴿وقال جل شأنه فى الحث على بر الوالدين بالانفاق عليهما وأن أفضل الصدقات وأعظم القربات التى يتقرب بها العبد الى ربه هو ما كان للوالدين ثم لمن يليهما ممن ذكرهم الله تعالى فى الآية بعد وهى﴾

سورة	آية	
		لطاعتك المخلصين فى توحيدك ثم بعد ذلك كله بين جزاء من اتصفوا بهذه الاوصاف فبروا وأنابوا الى الله تعالى فقال (أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ماعملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فى أصحاب الجنة) فبين جل شأنه أن جزاءهم عنده أن يقبل ماعملوه من الاعمال الصالحة وأن يتجاوز عن سيئاتهم فلا يعاقبهم عليها وأن يدخلهم الجنة حسبما وعدهم الله تعالى وعده الصادق الذى وعدهم به على لسان رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام
		﴿ وقال تعالت آلاؤه فى الحث على بر الوالدين وخصوصا الام واتباعهما فى كل ماأمرابه مالم يكن فيه معصية الله تعالى ﴾
لقمان	١٤	وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ١٥ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
		﴿ مايؤخذ من هاتين الآيتين الكريمتين ﴾
		يؤخذ منهما وجوب بر الوالدين والاحسان اليهما والحنو عليهما وخصوصا الام لانها تعبت فى تربيته وتحملت المتاعب والمشقات فى ذلك وقاست الشدائد فى سهرها عليه آناء الليل وأطراف النهار حتى استولى عليها بسبب ذلك الوهن والضعف وهذا الذى أشار له الله تعالى بقوله (حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين) أي حملته فى بطنها وهى تزداد كل يوم ضعفا على ضعف مما تقاسيه من ألم الحمل وألم الطلق وألم الولادة والتعب الذى تقاسيه مدة تربيته وارضاعه بعد وضعه وهى عامان وهى

مدة

سورة	آية	

أن وصى بالوالدين وأمر بالاحسان اليهما والحنو عليهما ذكر ماتناله الام من التعب والمشقات وقاسته من الاوصاب والآلام فى حال حمله من الوحم والغثيان والثقل والكرب وغيرذلك مما تلاقيه الحوامل مدة الحمل وفى حال وضعه من الطلق وشدته فقال (حملته أمه كرها ووضعته كرها) أى بمشقة وتعب زائدين ثم أردف ذلك ببيان ماتقاسيه الام من الآلام من حين الوضع الى الفصال أى الفطام من تعهده بالنظافة وازالة ماعليه من الاوساخ والادران وكدرها لتكدره وفرحها لفرحه وسهرها عليه الليالى الطوال وغير ذلك مما يفيد أن حق الأم آكد من حق الاب واضعا ذلك فى قالب بيان مدة الحمل والرضاع فقال (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) أى وحيث كانت هذه المدة الطويلة ظرفا لما تقاسيه الام من الآلام وتكبده من المشقات والمتاعب فى الولد حقها عليه فى بره لها آكد من حق أبيه فى ذلك عليه

ومن هذه الآية الكريمة والتى فى البقرة وهى قوله تبارك وتعالى (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) يؤخذ أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لان الحولين الكاملين اللذين هما مدة الرضاعة أربعة وعشرون شهرا فيكون الباقى وهو ستة أشهر مدة الحمل وهو بيان لاقله هذا وبعد أن وصى جل شأنه ببر الوالدين والاحسان اليهما وبيان مااختصت به الام من الفضل والمزية وزيادة رعاية الحقوق على الاب أخذ يبين أن من تدرج فى النمو وأخذ يترعرع وينمو ويكبر حتى بلغ استحكام قوته وعقله وغاية شبابه واستوائه وذلك يكون ببلوغه الاربعين من عمره كان عليه أن يجدد التوبة والانابة الى الله تعالى ويكثر من هذه الدعوات الصالحات التى علمها الله تعالى له بقوله (حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى) أى ألهمنى ووفقنى (أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى فى ذريتى) أى اجعلهم صالحين متمكنين فى الصلاح (انى تبت اليك وانى من المسلمين) أى المستسلمين المنقادين

سورة	آية	
		وولادته وتربيته وحضانته وغيرها أكثر من أبيه ولذلك يقول صلى الله عليه وسلم (بر الوالدة على الولد ضعفان) ويقول (دعوة الوالدة أسرع اجابة قيل يارسول الله ولم ذاك قال هى أرحم من الاب ودعوة الرحم لاتسقط) والله ورسوله أعلم
		﴿ وقال تبارك اسمه فى الحث على بر الوالدين وماأعده مثوبة لذلك من قبول العمل الصالح والتجاوز عن السيئات وادخال الجنة ﴾
الاحقاف	١٥	وَوَصَّيْنَا الْاِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ اِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى اِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي اِنِّي تُبْتُ اِلَيْكَ وَاِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ١٦ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ
		﴿ ماترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان ﴾
		ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الى بيان ماأمر الله به الانسان من بر الوالدين والاحسان اليهما والحنو عليهما وخصوصا أمه لانها تعبت فيه وتكبدت من المشقات والمتاعب فى حمله ووضعه ورضاعه مالم يشاركها الأب فى شئ منه ولذلك كان حقها أوكد من حقه و برها أوجب من بره والى ذلك الاشارة بقوله تعالى (ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته أمه كرها و وضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) فانه جل شأنه بعد

أن

سورة	آية

أحق بالمجاملة وحسن التلطف لانهما يظنان أنهما عالة عليه فكل كلمة تصدر منه ولو صغيرة يتأثران منها وتنكسر قلوبهما من أجل ذلك ولذا خص الله سبحانه وتعالى حالة الكبر بالذكر فى قوله (إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولاتنهرهما وقل لهما قولا كريما) أى ان كبرا وهما فى كنفك وكفالتك فلا يصح أن تقول لهما أىّ قول يكدر خاطرهما ويجلب غضبهما حتى التأفف الذى هو أدنى مراتب القول السيئ مما لايصح أن يصدر منك نحوهما اذا حصل منهما مالا يلائمك ولا يعجبك بل الواجب عليك بدل ذلك أن تعاملهما بالحسنى وتقول لهما القول اللين الطيب الحسن مع الادب والتوقير والتعظيم والاحترام والاحتشام وأن تخفض لهما جناح الذل وتتواضع وتتذلل لهما بجميع أنواع التذلل والمسكنة لانهما صارا أفقر الناس اليك بعد أن كنت أفقر الناس اليهما واحتياج المرء الى من كان محتاجا اليه غاية الضراعة والذل والمسكنة فكانا لذلك أولى بشدة الرحمة والشفقة وزيادة التعطف عليهما ثم ختم جل شأنه التوصية عليهما والحث على برهما والاحسان بهما بطلب الدعاء لهما من الله أن يرحمهما برحمته الباقية الدائمة فقال (وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا) كأنه تعالى يقول له لاتكتف برحمتك التى لاتدوم ولكن اطلب من الله الرحمة الدائمة وقل رب ارحمهما رحمة مثل رحمتهما وتربيتهما إياى وأنا صغير

ثم اعلم أن بر الوالدين لايختص بكونهما حيين بل يكون بعد الموت أيضا ويكون بالصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما واكرام صديقهما وصلة الرحم التى لاتوصل الا بهما وذلك أن رجلا جاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله هل بقى علىّ من بر أبوىّ شئ أبرهما به بعد وفاتهما قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما واكرام صديقهما وصلة الرحم التى لاتوصل الا بهما

ولئن تأكد بر الوالدين فهو فى حق الأم أوكد لانها تعبت فى حمله

سورة	آية	
الاسرا	٢٣	وَقَضَى رَبُّكَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٤ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا

﴿ما ترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان﴾

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الى أهم الامور وأولاها بالعناية وأجدرها بالرعاية وأقربها لرضا الله تعالى وأبعدها من سخطه ومقته ألا وهو بر الوالدين الذى جمع من الخير أكمله ومن الاحسان أجله ومن المروءة أرفعها ومن الخيرات أنفعها وكفى به فضلا وشرفا أن قرنه الله بتوحيده وعبادته وبالغ فى التوصية به مبالغة تقشعر لها جلود أهل العقوق وتحمل ذوى العقول على تأدية الواجب لهما من الحقوق فأمر جل شأنه بالاحسان اليهما وقرنه بتوحيده وعبادته فى قوله (وقضى ربك أن لا تعبدوا الا إياه وبالوالدين احسانا) أى أمر أمرا جازما وحكم حكما قاطعا بتوحيده وعبادته و بر الوالدين والاحسان بهما وفى هذا الاقتران من الدلالة على تأكد حقهما والعناية بشأنهما مالا يخفى ثم شدد فى الامر بمراعاتهما حتى لم يرخص فى أدنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومع أحوال لا يكاد يصبر الانسان معها فاذا حصل منهما أى شئ يكرهه فلا يصح له أن يتكلم معهما باى كلام يكون من ورائه تضررهما وتكدر خاطرهما بل الواجب عليه فى هذه الحالة أن يقول لهما قولا لينا جميلا سهلا أحسن ما يمكن التعبير به من لطف القول وكرامته مع حسن التأدب والحياء والاحتشام وخصوصا اذا كانا كبيرين فانهما فى هذه الحالة

أحق

آية	سورة

واستجاب غضبهما فقد قابل الحسنة بالسيئة والاحسان بالكفران والخير بالشر والطاعة بالمعصية فان أباه هو الذى رباه صغيرا وأجهد نفسه فى تحصيل ماينفقه عليه فى ملبسه ومأكله ومشربه وجميع لوازمه والقيام بأوده الى حد عرف فيه حقوق نفسه وأمكنه فيه أن يكتسب ولولاه لمات جوعا لانه لايقدر على شئ من ذلك فى حال صغره وأما أمه فقد تحملت فيه المشقات العظيمة والاتعاب الخطيرة فى مدة حمله وولادته ورضاعه وتنقيته من القاذورات والاوساخ والادران وسهرت لاجله الليالى الطوال وتكدرت لكدره وفرحت لفرحه الى غير ذلك من الأعنات التى لاتحصى والاتعاب والمشقات التى لاتستقصى

ومنها أن ينفق عليهما اذا كبرا لانهما السبب فى حياته وتربيته وكفالته الى هذا الحد الذى أمكنه فيه أن يكتسب فهذا الكسب ثمرة غرسهما وليس من الادب والمروءة أن يغرس الانسان غرسا ثم يُحرم من جنى غرسه على أنه مهما أنفق عليهما فلا ينفق بعض ماأنفقاه عليه مع وجود الفرق بين الانفاقين فانهما كانا ينفقان عليه ويتمنيان بقاءه وهو ينفق عليهما ويتمنى فراقهما

ومنها أن يجلس بحضرتهما فى غاية الادب والسكون والدعة فلا يضحك ولا يلعب كما يضحك ويلعب السفهاء ولكن ضحكه ولعبه على وضع لايخل بالادب ولايمد رجليه ولايرفع صوته فوق صوتهما ولا بحضرتهما ولايمشى أمامهما الا لحاجة ولايسبقهما بالكلام فى المجلس واذا أقبلا عليه أو أحدهما وهو فى مجلس قام ليوسع لهما حتى يجلسا ان كان فى المكان ضيق وبالجملة فيفعل جميع الوسائل التى تكون سببا فى مرضاتهما وزوال مايكدرهما

﴿وقد بين لنا الله جل شأنه فى كتابه العزيز بعض مايلزم لهما من الآداب والحقوق فقال﴾

سورة	آية

(ماتفيده هذه الآية الكريمة)

تفيد هذه الآية الكريمة نفى الحرج والضيق عن الاعمى والاعرج والمريض أن يأكلوا مع غيرهم من الاصحاء الذين ليس بهم عاهة تهذيبا لنفوس الاصحاء وجبرا لخاطر ذوى العاهات وتفيد أيضا أنه لاحرج على المؤمنين أن يأكلوا من بيوت أقاربهم كآبائهم وأمهاتهم واخوانهم وأخواتهم وأعمامهم وعماتهم وأخوالهم وخالاتهم أو البيوت التى يملكون التصرف فيها باذن من أصحابها كالوكلاء والخزان فانهم يملكون التصرف فى بيت من أذن لهم بدخول بيته وأعطاهم مفتاحه أو بيوت الاصدقاء والاصحاب والاحباء فلا جناح فى الاكل منها بشرط أن يعلم أن ذلك لايشق عليهم ولايكرهونه. ثم أشار جل شأنه الى بيان حكم آخر وهو جواز أكل الانسان منفردا أومعه غيره فقال (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أوأشتاتا) أى مجتمعين أومتفرقين وذلك لان بعض العرب كان يتحرج أن يأكل وحده حتى يجد من يأكل معه فرخص الله لهم فى أن يأكل الرجل وحده أومع الجماعة والله أعلم

أدب الولد مع والديه

اعلم أن أبا الانسان وأمه لهما عليه حقوق لابد من أدائها وواجبات لابد من قضائها فمن تلك الحقوق وتلك الواجبات مقابلتهما بكل مايمكنه من البر والاحسان واستعمال الادب معهما وأن يمتثل أوامرهما خصوصا فيما يتعلق بأحواله الشخصية التى تعود عليه بالمنفعة كأوامرهما المتعلقة بالادب وحسن السلوك ومكارم الاخلاق وحسن المعاشرة مع الخلق والنظافة والعفة والامانة وغير ذلك من الكمالات وحميد الاخلاق وجميل الصفات وأن يجتنب نواهيهما وكل مايؤذيهما أويكدر خاطرهما أويجلب غضبهما من قول أو فعل فان أجهد نفسه فى فعل كل مايرضيهما كان له الحظ الاوفر من الفضل والنصيب الاكبر من الثواب وان لم يفعل ذلك

واستجلب

سورة	آية	
		بعض بالباطل والحرام ولا تدلوا بها أى ولا تلقوا بحكومتها والخصومة فيها الى الحكام لتأكلوا بهذا التحاكم والرفع اليهم جملة من أموال الناس بالاثم أى بسبب ما يوجب الاثم كشهادة الزور واليمين الكاذبة وأنتم تعلمون أن ذلك باطل ليس من الحق فى شئ وفى هذه الآية دليل على أن حكم الحاكم لا يحلل الحرام ولا يحرم الحلال فمن حكم له القاضى بشئ مستندا فى حكمه الى شهادة زور أو يمين كاذبة فلا يحل له أكله فان ذلك من أكل أموال الناس بالباطل وكذا اذا ارتشى الحاكم فحكم له بغير الحق فانه من أكل أموال الناس بالباطل كما يرشد الى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (إنكم تختصمون الىّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه بشئ فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار)
		﴿ وقال تبارك اسمه فى بيان ما أباح الاكل فيه من بيوت الاقرباء والاصدقاء والبيوت التى يملك التصرف فيها باذن من أربابها والاكل مجتمعين أو مفترقين ﴾
النور	٦١	لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا

سورة	آية	
		فتزهق أرواح وتخرب بيوت وتتيتم أطفال ففيه قلب لموضوع المعاملات لان المعاملات ماشرعت الا لقطع المنازعات ومنع الخصومات و بالجملة لولم يكن فى التعامل بالربا الاضياع المروءة وفقد صنائع المعروف وذهاب الحياء من المقرض والمستقرض والخزى فى الدنيا والآخرة لكفى والله باسرار شريعته عليم
		(وقال جل وعز فى النهى عن أكل أموال الناس بالباطل من كل مالم يبح الشرع أخذه من مالكه مع الاسراع بالخصومة عند الحاكم فى تلك الاموال واقامة الحجج الباطلة سواء كانت بقوة العارضة وشدة الذكاء أو شهادة الزور أونحو ذلك مما يترتب عليه أخذ الاموال من أربابها بدون حق)
البقرة	١٨٧	وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ
		(ماتشير اليه هذه الآية الكريمة)
		تشير هذه الآية الكريمة الى مابينه الله تعالى لعباده المؤمنين وأرشدهم اليه من الوقوف عند ماحده لهم الشرع من عدم أكل أموال الناس بالباطل وأخذها منهم بدون استحقاق ولو برضا المالك نفسه كثمن الخمر وحلوان الكاهن وأجرة المغنى والقمار والرشوة فى الحكم والخيانة فى الوديعة والامانة والاكل بطريق التعدى والنهب والغصب وغيرها مما لم يبح الشرع أخذه فان ذلك حرام ومثله مايؤخذ بالخصومة عند الحاكم فيخاصم الرجل أخاه فى ماله ويقيم الحجة على ذلك فيحكم الحاكم له به لما أقامه من الحجة الباطلة سواء كان ذلك بقوة عارضته أو شهادة الزور أو اليمين الكاذبة وهو يعتقد أنه ليس له فيه أدنى حق فان ذلك حرام أيضا وقد نهى الله عن كل ذلك بقوله (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام) أى ولا يأكل بعضكم مال

بعض

سورة	آية	

عظمته فى قلبه عند مايقترف ذنبا من الذنوب فيرجع عنه ويندم على فعله ومن كان كذلك فقد أحاطت الخطيئة بقلبه حتى لم تدع منفذا للايمان فكان جزاءه لذلك الخلود فى النار ولذا قال جل شأنه (فأولئك أصحاب النارهم فيها خالدون) - وقد بين جل شأنه مايترتب على الربا من الدمار والخراب فقال (يمحق الله الربا ويربى الصدقات) أى يذهب بركته ويهلك المال الذى يدخل فيه وهذا أمر مشاهد فلا تكاد ترى أحدا من الناس يتعامل بالربا الا وقد أصبح لايملك شيأ حتى بيته الذى يسكنه ويأوى اليه بل ثوبه الذى يلبسه ولذا قد ورد النهى عن الربا فى غير ما آية من القرآن الكريم فقال تعالى (ياأيها الذين آمنوا لاتأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون) وقال جل شأنه (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله) وقال عز وجل (وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله)

ولعل حكمة التغليظ والتشديد من الله جل شأنه فى حرمة الربا والتعامل به أن المقترضين بهذا النوع هم المحتاجون المضطرون وكثيرا مالا يجدون الوفاء عند حلول الاجل فيصير أضعافا مضاعفة لايمكن التخلص منه أبدا ولا يزال يتضاعف حتى يستغرق ماعند المدين من الاموال فتؤخذ منه قسرا عنه فيصبح فقيرا معدما بعد أن كان عنده شئ من اليسار وهذا باب واسع لجلب الدمار والخراب على الناس فلذا سد جل شأنه هذا الباب بتحريم الربا

وأيضا اذا جرت العادة بنماء الاموال وزيادتها على هذا الوجه أفضى ذلك الى اهمال الزراعات والصناعات التى هى أصول المكاسب ففى التعامل به مصادرة لما شرع الله لعباده من المكاسب وماحث عليه من السعى وراء تحصيلها ولا يخفى مافى ذلك من تعطيل المصالح

وأيضا الربا مظنة مناقشات عظيمة وخصومات كبيرة ربما أدت الى القتال

سورة	آية

حال صرعه وتخبط الشيطان له وذلك في قوله (الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) والمراد بالاكل مايعم التعامل به من أخذ واعطاء لاخصوص الاكل المعلوم

وانما جوزوا بذلك لاعتراضهم على أحكام الله تعالى في شرعه حيث قالوا انما البيع مثل الربا أى هو نظيره فلم حرم هذا وأبيح ذاك فرد الله تعالى عليهم بقوله (وأحل الله البيع وحرم الربا) أى هو العالم بحقائق الأمور ومصالح العباد فيبيح ما كان فيه المنفعة لهم وينهى عما كان فيه المضرة عليهم فليس لكم أن تقولوا لم حرم الله هذا وأباح ذاك لان ذلك فعل الحكيم العليم الذى لايفعل فعلا عبثا على أنهم قد أخطؤا في القياس ووقعوا في التفرقة بينهما في الالتباس لان من باع ثوبا يساوى درهما بدرهمين فقد جعل الثوب مقابلا لدرهمين فلا شئ منهما الا وهو في مقابلة شئ من الثوب ولا كذلك الربا لان من باع درهما بدرهمين فقد أخذ الدرهم الزائد بغير عوض ولا يمكن جعل الامهال عوضا اذ الامهال ليس بمال حتى يكون في مقابلة المال وهو من الظلم البين والغبن الفاحش ثم بين جل شأنه أن من انتهى عن المعاملة بالربا بعد علمه بحكم الشرع فيه فلا مؤاخذة عليه فيما كان يتعامل به من الربا قبل ذلك وأن من لم ينته عن المعاملة به بعد علمه بتحريم الشرع له والنهى عنه فقد اجترأ على الله تعالى واستحق منه من العقوبة أقساها ومن الشدة أقصاها فقال (فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) أى فمن بلغه نهى الله عن الربا فانتهى فله ما سلف من المعاملة لايؤاخذ عليه وأمره الى الله فيجازيه على انتهائه ان كان عن قبول وصدق نية ويحكم في شأنه يوم القيامة بما شاء ومن عاد الى فعل الربا بعد بلوغه نهى الله عنه فقد اجترأ على الله تعالى ونابذه بمعصيته وجاهره بمخالفته ولم يكترث بنهيه ولا يكون ذلك الا ممن لم يكن في قلبه مثقال ذرة من الايمان بها يراقب ربه ويخاف عقابه ويتمثل

عظمته

سورة	آية	
		هذا وبعد أن منع جل شأنه أكل هذه الاربعة وبين أنه حرام أخذ يبين أن ذلك مقيد بعدم الضرورة والحاجة أما عند الضرورة والحاجة بأن خاف التلف على نفسه ولم يجد مايسد به رمقه غير أحد هذه الاربعة فلا حرج فى ذلك ولا اثم على فاعله فقال (فمن اضطر غير باغ ولاعاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم) أى فمن اضطرته الحاجة والضرورة الى أكل واحد من هذه الاربعة التى حرمها الله تعالى فلا اثم عليه ولا حرج فى أكله بشرط أن لايحمله على أكله الا الضرورة لا الشهوة وهو معنى غير باغ وأن لايتناول منه الا مايدفع الضرورة فيتناول مافوقها هو العادى فانه جل شأنه غفور لمن تاب اليه من عباده رحيم بهم حيث أحل لهم الحرام عند الاضطرار والله بسر كلامه عليم .
		(ومما حرم الله أكله وحذر من تعاطيه كل مال ينتجه الربا وفى ذلك يقول)
البقرة	٢٠٤	الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ٢٠٥ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ
		(ماترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان)
		ترشدها تان الآيتان الكريمتان الى حرمة الربا والتشنيع على آكله والمتعامل به وشدة النكير والتغليظ على فاعله وكل من كان له مدخل فيه ككاتب عقد الوثيقة به والشاهد عليه وغيرهما حتى أخبر الله عنهم يوم خروجهم من قبورهم وقيامهم الى بعثهم ونشورهم بأنهم يقومون منها كما يقوم المصروع

سورة	آية	
		على النصب وأن تستقسموا بالازلام ذلكم فسق الآية) وأما الدم فلانه نيء غير ناضج وهو ما اتفقت الحكماء على حصول الضرر منه وقد استثنى من تحريم الميتة والدم ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم في قوله (أحلت لنا ميتتان ودمان فاما الميتتان فالحوت والجراد وأما الدمان فالكبد والطحال) وحكمة الحل والله أعلم أن الحوت والجراد ليس فيهما دم مسفوح فلذلك لم يشرع فيهما الذبح وأما الكبد والطحال فانهما ليسا دما في الواقع ونفس الأمر وانما هما عضوان من أعضاء البهيمة لكنهما يشبهان الدم فأزال صلى الله عليه وسلم الشبهة منهما وأما لحم الخنزير فقد ثبت بواسطة النظارات المعظمة أن بين أجزاء جسمه ووسط أليافه ديدانا لاحصر لها وقد دلت التجربة على أنها لاتموت ولو بعد نضجه واستوائه فآكله مع ما فيه من هذه الديدان مما يلحق بالجسم أضرارا بليغة وأمراضا رديئة ومن ذلك ما يتولد عنه مما يسميه الحكماء (بالدودة الوحيدة) وهي حيوان يوجد في المعدة على شكل الضفيرة من السعف لايهنأ لصاحبها طعام ولا شراب وتلتقم كل ما يدخل في جوفه واذا جاع قليلا تحركت وأخذت تموج في بطنه ذات اليمين وذات الشمال حتى لايشك في أنه سيموت من شدة ما يعتريه من الاوصاب والالآم ـ وأما تحريم ما أهل به لغير الله فلان الذبح بغير اسم الله تعالى شرك به فاقتضت الحكمة الالهية أن ينهى عن هذا الاشراك ثم يؤكد التحريم بالنهي عن تناول ما ذبح له ليكون ذلك مانعا عن ذلك الفعل فيكون فيه منع الاشراك بعدم تعاطي أسبابه ـ وأيضا فان الله تعالى لما أباح لنا الحيوانات التي هي مثلنا في الحياة وجعل لنا اليد الطولى عليها كان من الواجب اذن أن لانغفل عن هذه النعمة عند اخراج أرواحها وذلك انما يكون اذا ذكر اسم الله تعالى عليها ـ وأيضا فان الذبح للطاغوت والوثن وغيرهما من أقبح القبائح وقبح الفعال يسري في المفعول به ولذا حرم أكله لقبحه

هذا

سورة	آية	

عليهم من ذلك الا الميتة وهى التى تموت حتف أنفها من غير تذكية سواء كانت منخنقة أوموقوذة أو مترديه أو نطيحة أو عدا عليها السبع وقد خصص هذا العموم بغير ميتة البحر بقوله تعالى فى آية أخرى أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم (والدم) والمراد به الدم المسفوح لقوله تعالى فى آية أخرى (قل لا أجد فيما أوحى الىّ محرما على طاعم يطعمه الاأن يكون ميتة أودما مسفوحا أولحم خنزير) الآية (ولحم الخنزير) سواء ذكى أومات حتف أنفه من غير تذكية (وما أهل به لغير الله) أى ذكر عليه اسم غيرالله تعالى ومثله مايقع من بعض جهلاء مصر من الذبح عندقبور موتاهم عنددفنهم فان ذلك يحرم أكله ولايجوز تعاطيه لانه مما أهل به لغير الله تعالى ولافرق بينه وبين الذابح للوثن ومثله مايذرونه لسيدنا الحسين ولسيدى أحمد البدوى وغيرهما من المشايخ والاولياء والصالحين فيذبحونه لهم فان ذلك المذبوح حرام لايجوز أكله بحال لانه أهل به لغير الله حتى قال بعض العلماء ان الذبح لهؤلاء وأمثالهم كفر كما تقدم التنبيه على ذلك وهو مما عمت به البلوى وعظمت به المصيبة لان عامة الناس فى ذلك واقعون ولحله وجوازه معتقدون فلا حول ولاقوة الابالله

وانما حرم الشارع أكل هذه الاربعة لان الدم قداحتقن فيها وشمل جميع أجزائها وانتشر فى سائر الجسم مع مافيه من الموادالسمية التى حدثت فيه عند انقلابه وتغيره من حالته الاصلية الى الحالة التى يرى فيها أسود قاتما — ولما كان من الضرورى تمييزالميتة من غيرها ضبط ذلك بما قصد ازهاق روحه للاكل فجر ذلك الى تحريم المتردية وهى التى تسقط من الاعلى الى الاسفل والنطيحة وهى التى قتلت نطحا بالقرون والمنخنقة وهى التى تخنق فتموت والموقوذة وهى التى تقتل بغير محدد كالعصا والحجر ونحوهما وما أكل السبع وبقى منه بقية فانها كلها خبائث مؤذية ويحرم أكلها كما قال تعالى (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الاماذكيتم وماذبح

سورة	آية	
		من خالف أمر الله فأسرف فيهما ولم يقتصر على استعمال القدر الواجب استعماله منهما فقال (انه لا يحب المسرفين) أى يبغضهم وناهيك بغضب الله تعالى وعدم رضاه فانه داعية الهلاك وسبب كل المصائب وأى عاقل يجرأ على أن يُغضب الله تعالى فى مقابلة مرضاة نفسه باتباعها فى شهوة هى سبب هلاكه وداعية لأسقامه وآلامه اللهم أعنا على أنفسنا باستعمالها فى كل ما تحب وترضى انك سميع الدعاء كثير العطاء
		﴿وقال جل ثناؤه فى بيان ما أحل الله أكله من الطعام وهو الحلال الطيب الطاهر وما حرمه منه من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله وما أباح تناوله مع كونه محرما لضرورة والاحتياج اليه مع عدم وجود غيره﴾
البقرة	١٧٢	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ١٧٣ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
		﴿ما ترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان﴾
		ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الى ما بينه الله تعالى لعباده المؤمنين وأمرهم به من الاكل مما رزقهم على شرط أن يكون حلالا طيبا وأن يشكروه على هدايتهم لذلك وتبيينه معالم دينهم وارشادهم لما يحل أكله وما لا يحل لان ذلك من المنن العظمى والنعم الكبرى التى يجب الشكر لمسديها ان كانوا يخصونه بالعبادة ولما امتن عليهم برزقه وأرشدهم الى الاكل من طيبه ذكر أنه لم يحرم

عليهم

سورة	آية	
الاعراف	٣٠	وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ

﴿ماترشد اليه هذه الآية الكريمة﴾

ترشد هذه الآية الكريمة الى ماعلمنا الله اياه من الطب وأرشدنا اليه من الحكمة وهدانا اليه مما تصح به أبداننا وتقوى به أجسامنا وتطيب به معيشتنا وتهنأ به حياتنا من عدم الافراط فى الاكل والشرب والاسراف فيهما لان كثرة الاكل والشرب تفسد المعدة وتطفئ نارها وتضعف الجسم وتكثر الارياح فى البطن وتصفر اللون وتضيق النفس وبذلك يضعف الفكر ويخمد الذهن وينحط الادراك واذا حجب القلب عن الادراك ومنع الذهن عن الحركة فى المعقولات خسر صاحبه بابا كبيرا من العبادات لان غاية المقصود من العبادات انما هو الفكر الموصل الى المعرفة والاستبصار بحقائق الحق وكثرة الاكل كما علمت مانعة منه ولهذا قال لقمان لابنه يابنى اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة

ولكثرة الاكل غير ذلك من المضار منها أنها تهيج الشهوات التى هى منشأ جميع المعاصى فلا يكاد الانسان يملك نفسه ويكبح زمامها ويقودها الى مافيه صلاحها

فلهذه المضار نهى الشارع الحكيم عن الافراط فى الاكل والشرب والاسراف فيهما وقد بينت السنة حد السرف المنهى عنه فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان من السرف أن تأكل كل ماشتهيت) كما بينت القدر اللازم والمقدار الواجب استعماله منهما فقد قال صلى الله عليه وسلم (ماملأ ابن آدم وعاءا شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان فاعلا لامحالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) هذا وبعد أن نهى جل شأنه عن الاسراف فى الاكل والشرب أخذ يتوعد ويهدد

سورة	آية	
		والآيات القرآنية الواردة فى ذم الكذب والكذابين ومالهم من العذاب الاليم والعقاب الشديد فى الآخرة كثيرة لاتكاد تحصى وفيما ذكرما يغنى عن الاطالة والله ولى التوفيق

الادب فى الاكل والشرب

اعلم أن من أهم الامور وآكدها الاعتناء بتربية النشء أى الاطفال الصغار وتعويدهم على التخلق بالكمالات فى حال نشأتهم لان الصبى عند مايولد يكون ساذجا خاليا عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل مانقش له ومائل الى كل مايمال به اليه فان عوّد على الخير وعمله نشأ عليه وسعد فى الدنيا والآخرة وشاركه فى ثوابه أبواه و كل معلم له ومؤدب وان عوّد على الشر وأهمل اهمال البهائم شقى وهلك وكان الوزر فى رقبة القيم عليه والمتولى أمره وقد قال الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا) واذا كان الاب يصونه عن نار الدنيا فلأن يصونه عن نار الآخرة أولى ـ وصيانته بان يؤدبه ويهذبه ويعلمه مكارم الاخلاق ومحاسن الصفات وحيث ان أول مايغلب عليه من الصفات شره الطعام فينبغى أن يؤدبه فيه مثل أن لايكثر من الطعام ولايسرف فيه فان الله سبحانه وتعالى يبغض من يفعل ذلك وأن يقبح عنده كثرة الاكل بان يشبه كل من يكثر الاكل بالبهائم ويذم بين يديه كل من يكثر الاكل من أمثاله وأن لايطعمه الا حلالا طيبا طاهرا من ربا أوغصب أو سرقة ويبين له الحلال منه وطرق تحصيله والحرام منه ويباعده عنه ويبين له المواضع التى أباح الله له الاكل منها من بيوت أقاربه كأبيه وأمه وأخيه وأخته وعمه وعمته وخاله وخالته أو صديقه ويبين له آداب الاكل منفردا أو مع غيره قبل الاكل وبعده وقد بين الله جل شأنه هذه الآداب على أحسن وجه وأكمله

(قال تبارك اسمه فى النهى عن كثرة الاكل والشرب والاسراف فيهما وبغضه لذلك)

وكلوا

سورة	آية	
		به الى أخبث المسالك لانه يريد أن ينفع فيضر فطاعة مثل هذا لانتيجة لها سوى الضرر وأن الهماز وهو العياب الطعان لاتؤمن غوائله فهو اليوم له وفي غد عليه فضلا عن أنه بطاعته يعد شريكا له في هذه المنقصة وهذه الرذيلة لانه لايعيب غيره ولايطعن عليه الا لزمانة في مروءته وخسة في أصله ولؤم في طبعه وأن المشاء بالنميم وهو النقال للحديث من قوم الى آخرين ليفسد بينهم لاهم له الا الايقاع بين الناس والافساد بينهم والقاء بذور للشقاق والخصومات فيما بينهم وايغار الصدور فتولد الشرور ومثل هذا تجب مجانبته وتحرم طاعته وتعاف مجالسته لان صحبته غرور وطاعته ضرر ومجالسته خطر فكثيرا ماهلك وأهلك وأراق الدماء وسفك وما حمد أيا سلك وأن المناع للخير وهو البخيل الممسك يمنع أحوج مايكون اليه صاحبه ومثل هذا لاخير في صحبته وطاعته وأن المعتدى وهو المتجاوز الحد في الظلم لايؤمن شره ولايؤمل خيره فهو أولى بالاجتناب وأحرى بنبذ طاعته سدا للباب وأن الاثيم وهو كثير الاثم والمعصية لم يبال بالمجاهرة بمعصية خالقه ولم يخش من جلاله وعظمته فلا يبالى أن يجاهر صاحبه بأذيته وينابذه بعداوته ومثل هذا يجب نبذ طاعته وتجنب مخالطته والله بسر كلامه عليم
		(وقال جل ثناؤه في النهى عن الكذب في القول وقت المحادثة)
يونس	٦٩	قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ
		(ماترشد اليه هذه الآية الكريمة)
		ترشد هذه الآية الكريمة الى قبح الكذب وذم فاعله وذلك بما أخبر الله تعالى به عن الكذابين من عدم الفلاح والنجاح وكفى بأى صفة ذما أن تكون نتيجتها عدم الفلاح والنجاح

سورة	آية	
		فانه تواب على من تاب اليه رحيم لمن رجع اليه والتوبة من الغيبة تكون باقلاعه عنها والعزم على أن لايعود اليها وأن يثنى على من اغتابه فى المجالس التى كان يذمه فيها حتى يذهب ماكان فى قلبه من الحقد والضغينة والبغض ونحوه والله أعلم
		﴿وقال جل شأنه فى النهى عن النميمة ونقل الحديث من قوم الى آخرين على وجه السعاية والافساد فيما بينهم﴾
ن	١٠	وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ١١ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ١٢ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ
		﴿ما يؤخذ من هذه الآيات الكريمات﴾
		يؤخذ من هذه الآيات حرمة صحبة من لاخلاق لهم من الناس ومجانبة المجالسة والمحادثة معهم وعدم طاعتهم فى كل مايقولون وهم الذين بينهم الله تعالى فى قوله (ولاتطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم) فهذه سبعة أوصاف كلها مثالب ومعايب نهى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عن طاعة المتصفين بها وهو تعليم لنا وارشاد لما يجب أن نتخلق به من الاخلاق الفاضلة والصفات الكاملة و نتركه من الاخلاق الفاسدة والصفات الكاسدة ووجه النهى والله أعلم أن الحلاف وهو كثير الحلف سواء فى الحق أوفى الباطل قلما يتحرى الصدق فى أيمانه فهو عرضة على الدوام للكذب والخطا فيها فضلا عما له من الجراءة على الله تعالى وعلى أسمائه ومثل هذا تجب مجانبته وتحرم مخالطته ولذا جعله جل شأنه فاتحة المثالب ومقدمة المعايب وأن طاعة المهين وهو حقير الرأى والتدبير ربما أوردته المهالك وجرت

سورة	آية	

وأصعب الاحوال وأسوء الاخلاق ولذا ترى الله جلت قدرته شبهها بأكل لحم الانسان وذلك هو الامر القبيح الذى تنفر منه الطباع وتمجه الاسماع ولم يقف جل شأنه عند هذا الحد من التشبيه والتشنيع بل جعل هذا الانسان الذى شبهت الغيبة بأكل لحمه ميتا وذلك أعظم فظاعة وأقبح شناعة وسماعه أشد وخزا فى النفوس من الوخز بالدسر فضلا عن فعله لهذا قال جل شأنه (ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) أى وحيث كرهتم أكل لحم الانسان وهو ميت فاكرهوا الغيبة لان عقوبتها أشد وقد حد الغيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ماسئل عنها فقال (هى ذكرك أخاك بما يكره قيل أفرأيت ان كان فى أخى ماأقول فقال صلى الله عليه وسلم ان كان فيه ماتقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ماتقول فقد بهته) وقال عليه الصلاة والسلام (يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه لاتغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه فى بيته) وقال عمر رضى الله تعالى عنه (اذا فسد الزمان فتحفظوا من الناس بسوء الظن) فمن الحق على كل مسلم أن لايقيم عذر مغتاب وان قال حقا ولا يساعده وان قصد بغيبته صدقا فان ذلك من سوء الادب وقلة الحفيظة وعدم المروءة لان المغتاب الصادق قد أظهر قبيحا كان مستورا وهتك سترا كان مسدولا وفضح سرا كان مكتوما وأحل أمرا محرما فما رعى ذمة ولاحفظ حرمة وفى منثور الحكم اللئيم اذا غاب عاب واذا حضر اغتاب

وبالجملة فلو لم يكن فى الغيبة من المذام والقبائح الاماشبهها الله به من أكل لحم الانسان الميت لكفى فى ذمها وقبحها وبعد أن نهى الله جل شأنه عن الغيبة ومثلها بأقبح مثال وأشنعه عقبها بالامر بالتقوى والترغيب فى التوبة فقال (واتقوا الله ان الله تواب رحيم) أى اتقوه فيما أمركم به ونهاكم عنه وراقبوه فى ذلك واخشوه وتوبوا اليه مما فرط منكم

سورة	آية	
		سائر الناس ليجمع بين طرفى الاحسان الفعلى والقولى فقال (وقولوا للناس حسنا) أى كلموهم كلاما طيبا عند محادثتكم لهم ومخاطبتكم اياهم ولينوا لهم جانبا وليكن حديثكم معهم هينا لينا وسطا ليس بالغليظ المرتفع فيمج ولا بالمنخفض بحيث يكلف المستمع طلب اعادته ويدخل فى ذلك كل حسن من القول سواء كان أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر
		﴿وقال جل ذكره فى الحث على خفض الصوت عند المحادثة لان فى رفعه تشويشا على المستمع وأذى له﴾
لقمان	١٩	وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ اِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ
		﴿ماترشد اليه هذه الآية الكريمة﴾
		ترشد هذه الآية الكريمة الى ما أوصى به لقمان عليه السلام ابنه من الوصايا النافعة وحثه عليه من الادب فى المحادثة وأمره به من التلطف فى القول واللين فيه وعدم تكلف رفع الصوت به فان الجهر بالصوت بأكثر من الحاجة يؤذى السامع ويضر به ولذا أبلغ من القباحة والشناعة والبشاعة والكراهة أن يشبه رافعوه بالحمير وهو بصوت الحمير ولا جرم أن فى تشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير وتمثيل أصواتهم بالنهيق تنبيها على أن رفع الصوت غاية فى الكراهة ونهاية فى القباحة
		﴿وقال تبارك اسمه فى النهى عن الغيبة﴾
الحجرات	١٢	وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللّٰهَ اِنَّ اللّٰهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ
		﴿ماتفيده هذه الآية الكريمة﴾
		تفيد هذه الآية الكريمة حرمة الغيبة وبشاعتها وأنها من أخبث الاقوال

واصعب

سورة	آية	
		وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا

(ماتفيده هذه الآية الكريمة)

تفيد هذه الآية الكريمة بيان ماأمرالله به بنى اسرائيل وأوجب عليهم أن يؤدوه من الحقوق والآداب نحوه جل شأنه ونحو عباده وأخذ عليهم العهود والمواثيق بذلك فأعظم هذه الحقوق وأولاها بالرعاية أن يعبدوه ولا يشركوا به شيأ لانه هو الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه فى جميع الاوقات والحالات فهو المستحق أن يوحدوه ولا يشركوا به شيأ من مخلوقاته — ثم يليه حق الوالدين وهو برّهما وحسن معاشرتهما والتواضع لهما والرحمة بهما والنزول عند أمرهما فيما لايخالف أمر الله تعالى ويوصل اليهما مايحتاجان اليه ولا يؤذيهما وان كانا كافرين وبالجملة يفعل كل مايرضيهما ولايؤذيهما — ولعناية الله تعالى ببر الوالدين وأداء مايجب لهما من الحقوق قرن ذلك باعظم الأشياء لديه وهو عبادته وحده لاشريك له وذلك فى غير هذا الموضع من القرآن كثير فمنه قوله تعالى (أن اشكرلى ولوالديك الىّ المصير) وقوله (وقضى ربك أن لاتعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا) الى غير ذلك من الآيات

ثم من بعده حق اليتامى وهم الذين مات آباؤهم وهم صغار وحقهم أن يتولى تربيتهم ويحسن تأديبهم ويكفل مصالحهم ويسعى فى صالحهم وبالجملة يجلب لهم كل خير ويدفع عنهم كل شر وضير

ثم من بعده حق المساكين وهم الذين لايجدون مايقوم بكفايتهم وحقهم أن يقوم بمساعدتهم بما تتم به كفايتهم وتزول به ضرورتهم ويكفيهم مؤنة ذل السؤال ولا يلجئهم الى تكفف الناس ثم بعد أن أمرهم جل شأنه بالاحسان بالفعل على الوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وأخذ عليهم العهود والمواثيق بذلك أمرهم بالاحسان بالقول مع

سورة	آية	
		تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَلَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ

(ماترشد اليه هذه الآية الكريمة)

ترشد هذه الآية الكريمة الى بيان تأديب الله تعالى عباده المؤمنين وتعليمهم الادب معه ومع رسوله صلى الله عليه وسلم وقت التشريع حيث نهاهم عن أن يسألوا عن تحريم مالم يحرم أو ايجاب مالم يجب من التكاليف التى تشتهى نفوسهم الوقوف عليها ولم ترد على لسان الشارع صلى الله عليه وسلم مع أنهم لوسألوا عنها كان سؤالهم ناشئا عن استعداد فيهم لقبولها فتضرب عليهم موافاة لاستعدادهم ثم يضعفون بعد ذلك عن القيام بها فيحل بهم غضب الله وهذا مايفيده قوله تعالى (وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكم) فأدب المرء بالنسبة لله سبحانه وتعالى هو أن يسكت عما ترك الله ذكره لانه جل شأنه هو العالم بالمصالح والمحيط علمه بكل شئ ولوعلم أن فى ذكر هذه الاشياء خيرا كثيرا لذكرها وقد أفاد الله ذلك بقوله (عفا الله عنها والله غفور حليم) أى عفا عن هذه الاشياء بعدم ذكرها فليس لكم أن تسألوا عنها بل اسكتوا عنها كما ترك هو سبحانه ذكرها فهو جل شأنه غفور حليم لايعاجل من عصاه بالعقوبة لكثرة مغفرته وسعة حلمه والله أعلم

(وقال جل ثناؤه فى الحث على التكلم مع الناس بالحسنى واللين والرفق ومجانبة الفظاظة فى القول والغلظة فى الحديث آخذا العهود والمواثيق من بنى اسرائيل على ذلك)

سورة	آية	
البقرة	٨٣	وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ

وقولوا

سورة | آية

نقول للناس حسنا وأمرنا بالاعراض عن يتكلمون بمنكر حتى يخوضوا فى حديث غيره ونهى عن الغيبة والنميمة والكذب وعن التكلم فيما لا يعنى ولا يفيد من القول الى غير ذلك مما أمر به ونهى عنه

﴿ فمن ذلك ما أمر به جل شأنه من الملاطفة فى القول والمجاملة فى الحديث ومجانبة الخشونة فيه لما يترتب على ذلك من ايغار الصدور وتولد الاحقاد وغرس العداوة والبغضاء وهو قوله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴾

الاسرا ٥٣ وَقُلْ لِعِبَادِى يَقُولُوا الَّتِى هِىَ أَحْسَنُ اِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ
بَيْنَهُمْ اِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْاِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا

﴿ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة﴾

ترشد هذه الآية الكريمة الى ما علمنا الله اياه من حسن الأدب فى المحادثة والمخاطبة فقد أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباده المؤمنين أن يقولوا فى مخاطباتهم ومحاوراتهم ومحادثاتهم الكلمة الطيبة والمراد الكلام الحسن الذى لا خشونة فيه فانهم ان لم يفعلوا ذلك نزغ الشيطان بينهم وألقى بينهم العداوة والبغضاء لانه العدو الالد للانسان يتربص به الدوائر ويترقب له الفرص فى حصول الشحناء بين بعض أفراده فالعاقل كل العاقل من لم يجعل للشيطان حظا من قلبه حتى يملكه من غرضه وينيله أمنيته ويحقق له رغبته والا كان قد أسلم نفسه لعدوه يفعل فيها كيف يشاء وهو لعمرى فعل غير حكيم

﴿ وقال تعالى فى النهى عن التكلم فيما لا يعنى والسؤال عما لا يعود على السائل منه أدنى فائدة بل ربما ساءه وأضر به ﴾

المائدة ١٠٤ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ اِنْ تُبْدَ لَكُمْ

سورة	آية

ووقوف صاحبه به عند الحدود والآداب التى أتى بها الشرع وعلمه إياها فى محادثاته ومخاطباته فلا يطلقه الا فيما ينفعه فى الدنيا والآخرة ويكفه عن كل مايخشى غائلته فى عاجله وآجله وذلك بان يعقله الاعن حق يوضحه أو باطل يدحضه أو حكمة ينشرها أو نعمة يذكرها ولا يتكلم به الا بقدر الحاجة والضرورة وأن يقتصر فى التكلم به على مايفخم بجته ويبلغ حاجته وأن لايغالب أحدا على كلامه واذا سئل غيره فلا يجيب عنه واذا حدث بحديث فلا ينازعه ولايقتحم عليه فيه ولا يريه أنه عالم به وأن يكلم كل انسان بما يليق به فلا يخاطب السوقة بكلام الملوك ولا الملوك بكلام السوقة وأن لا يتكلم الا اذا دعا داع الى الكلام فان مالا داعى له هذيان وأن يجتنب فى محادثته ثلاثة أشياء وهى أعظم الاشياء خطرا على الانسان وأبغضها لله وأقبحها عند الناس وهى الكذب والغيبة والنميمة وأن لايتجاوز فى مدح ولا يسرف فى ذم لان السلامة من الكذب فى المدح والذم متعذرة وأن لايتكلم الافيما يعنيه وأن يضع الكلام فى موضعه لان لكل مقام مقالا وأن يجتنب فى حديثه كل ما يكدر مخاطبه وأن لا يرفع صوته فوق صوت من هو أكبر منه فان ذلك كله مما ندب اليه الشرع وسلمه سليم الطبع فان لاحظ المتكلم فى حديثه هذه الاعتبارات السابقة وألزم نفسه رعايتها فى كل أحواله كان ممن كملت سعادته وتحققت نجابته وعظم قدره وكثر فخره وانتشر ذكره وكمل عقله فان عقل المرء مخبوء تحت لسانه بمصداق قوله عليه الصلاة والسلام (لسان العاقل من وراء قلبه فاذا أراد الكلام رجع الى قلبه فاذا كان له تكلم وان كان عليه أمسك وقلب الجاهل من وراء لسانه يتكلم بكل ما يعرض له)

وقد أرشدنا الله سبحانه وتعالى الى السبيل التى نسلكها لنتوصل منها الى معرفة هذه الآداب اللسانية فأمر بغض الصوت عند التكلم وبأن

آية	سورة

محفوفة بشئ من الحفاوة والاحتفال بأمره والاعتناء بشأنه ومن ذلك أن ينهض مسرعا فى التوسعة حث جل شأنه على النهوض بسرعة للتوسعة فى المجلس للقادم فقال (واذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) أى واذا قيل لكم انهضوا للتوسعة فى المجلس للقادمين عليكم فانهضوا وأسرعوا ولاتتثبطوا فانكم ان فعلتم ذلك يرفع الله الذين آمنوا منكم فى الدنيا والآخرة درجات عظيمة جزاء امتثالهم لامر الله تعالى فى قيامهم من مجالسهم وتوسعتهم لاخوانهم ويرفع الذين أوتوا العلم منهم خاصة درجات أعظم وأرفع لانهم انما يفعلون مايؤمرون به عن بينة وقوة يقين

وانما خص جل شأنه أولى العلم مع دخولهم فى عموم الذين آمنوا لانه لما علم جل شأنه أن أهل العلم بمكانة بها يستوجبون عند أنفسهم وعند الناس ارتفاع مجالسهم خصهم بالذكر عند الجزاء ليسهل عليهم ترك مالهم من الرفعة فى المجلس تواضعا لله عز وجل وفى الآية مما يدل على فضل العلم والعلماء على غيرهم مالا يخفى

وان لم تفعلوه بان كرهتم أن تتأدبوا بآداب الله واستعظمتم أن توسعوا مجالسكم للقادمين عليكم حسبما أمركم ربكم فان الله بما تعملون خبير لا تخفى عليه خافية من أعمالكم من خير أوشر فيجازيكم بالخير خيرا وبالشر شرا والله يتولى هدانا أجمعين

الأدب فى المحادثة

اعلم أن أعصى الاعضاء على الانسان اللسان فانه لا تعب فى اطلاقه ولا مؤنة فى تحريكه ولذا ترى أغلب الخلق قد تساهل فى الاحتراز عن آفاته وغوائله والحذر من مصايده وحبائله فأوردهم المهالك وجرّ بهم الى المصائب وما كب الناس فى النار على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم فاللسان خطره عظيم ولانجاة من خطره الا بالجامه بلجام الشرع

سورة	آية

به من حسن المعاملة والمجاملة ورعاية الادب فى حق بعضهم فمن ذلك اذا كان جماعة فى مجلس وقدم عليهم آخر أو جماعة أخرى وفى المكان ضيق فعلى الجالسين أن يوسعوا للقادمين مسرعين فى ذلك سواء كان المجلس مجلس ذكر أو تعليم أو صلاة جماعة أو جمعة أو غيرذلك من مجالس الخير لان ذلك يكون سببا للتوادد والتوافق والتحابب ونبذ التباغض والتحاسد وهذا ماأفاده الله تعالى بقوله (ياأيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا) وقد وعد جل شأنه من تأدب بهذا الادب الكامل وتخلق بهذا الخلق الفاضل أن يجازيه من جنس عمله فيوسع عليه فى رزقه وصدره وقبره وفى منزله وفى الجنة وهو ماأفاده الله تعالى بقوله (فافسحوا يفسح الله لكم) هذا ما أمر الله به من التوسعة فى المجالس وأما القيام منه للقادم فقد جوزه بعض العلماء اذا كان لعظيم لقوله عليه الصلاة والسلام (قوموا الى سيدكم) ومنهم من منعه لقوله عليه الصلاة والسلام (من أحب أن يتمثل له الناس قياما فليتبوء مقعده من النار) ومنهم من فصل فقال يجوز عند القدوم من سفر وللحاكم فى محل ولايته كما دل عليه قصة سعد بن معاذ فانه لما استقدمه النبى صلى الله عليه وسلم حاكما فى بنى قريظة فرآه مقبلا قال للمسلمين من قومه وقبيلته (قوموا الى سيدكم) وذلك ليكون أنفذ لحكمه وأدعى لتوقيره وتمثل عظمته فى قلوبهم وفى غير ذلك لا يجوز فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم لايقومون للنبى صلى الله عليه وسلم اذا قدم عليهم ولم يكن أحد أحب اليهم ولا أمكن هيبة فى قلوبهم منه وذلك لما كانوا يعلمون من كراهته لذلك أما القادم نفسه فليس له أن يقيم أحدا من مجلسه ليجلس مكانه فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لايقيم الرجل الرجل من مجلسه ولكن تفسحوا وتوسعوا) ولما كان الغرض من التوسعة فى المجلس للقادم غرس بذر المودة والمحبة فى قلوب المؤمنين بعضهم مع بعض ولايكون ذلك الا حيث كانت التوسعة

سوره	آيه	
		أهلها والمراد بهم الاحرار الكبار الذين أمروا بالاستئذان من غير استثناء وقوله جل شأنه (كذلك يبين الله لكم آياته) أى الدالة على ما فيه نفعكم وصلاحكم (والله عليم) بأمور خلقه فيما بين من الاحكام (حكيم) فيما دبر وشرع من مصالح العباد فشرع لكم ما فيه صلاحكم معاشا ومعادا
		الادب فى المجالسة
		هو أن يوسع لجليسه اذا أقبل عليه ولا يضيق عليه وأن يجلس بين يديه بغاية الادب والسكينة والوقار اذا كان أكبر منه سنا أو علما وخصوصا اذا كان أباه أو شيخه وأن يرحب به ويقبل عليه اذا حدثه ولا يمد رجليه بين يدى جليسه ولا يضع رجلا على أخرى بحضرة من هو أكبر منه ان كان ذلك يغضبه ولا يبصق ولا يتمخط الا فى منديل مواريا وجهه عن جليسه واذا تثاءب فلا يصحب التثاؤب بصوت بل يضع يده على فمه فان مخالفة ذلك مما يستقذره الناس
		﴿ والى أكمل هذه الآداب وأجلها وأحسن هذه الاخلاق وأفضلها أشار الله تعالى بقوله ﴾
المجادله	١١	يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِى الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللّٰهُ لَكُمْ وَاِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللّٰهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
		﴿ ماتفيده هذه الآية الكريمة ﴾
		تفيد هذه الآية الكريمة بيان ماأدب الله به عباده المؤمنين وأمرهم

سورة	آية

المحظورات وأقطع المنكرات لانه كثيرا ما كان سببا فى حصول مفاسد يأباها أولو النفوس الأبية والاخلاق الطاهرة الزكية
(الثانى) وقت القيلولة عندما يتجرد الانسان من ثيابه من شدة حر الظهيرة وذلك عند انتصاف النهار فان الدخول فى هذا الوقت مجلبة الفساد وداعية الاطلاع على مالا يحل الاطلاع عليه لانه ربما كان أهل البيت بحالة يكره أن يراهم عليها أحد من الناس أياما كانت حالته
(الثالث) الوقت بعد صلاة العشاء لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة والخلوة بالاهل والا لتحاف بثياب النوم — فهذه هى الاوقات الثلاثة التى حظر الشارع دخول الخدم والاطفال على مخدوميهم وآبائهم الا باذن وأشار جل شأنه الى علة الحظر وسبب المنع بقوله (ثلاث عورات لكم) أى هذه الاوقات الثلاثة هى التى تكون فيها العورة
وبعد أن بين جل شأنه أوقات الحظر والمنع من الدخول الا باذن أخذ يبين أوقات الاباحة التى يحل للخدم والاطفال أن يدخلوا على مخدوميهم وآبائهم فيها بغير استئذان فقال (ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض) أى اذا دخلوا فى أى وقت غير هذه الاوقات الثلاثة فلا جناح عليكم ولا اثم فى تمكينكم اياهم من الدخول عليكم ولا عليهم أيضا اذا رأوا شيأ لانه كان عن اذن ولانهم طوافون عليكم فى الخدمة وقضاء حوائجكم الضرورية ولوازمكم المنزلية ويغتفر فى الطوافين بحكم الضرورة مالا يغتفر فى غيرهم
ثم أخذ جل شأنه يبين حكم الصبى اذا بلغ بعد بيان حكمه وهو صبى فقال (واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم) يعنى أن الاطفال منكم الذين كانوا لا يستأذنون الا فى العورات الثلاث فقط اذا بلغوا الحلم وجب عليهم أن يستأذنوا فى جميع الاوقات عند ارادة الدخول على آبائهم أو أمهاتهم كما استأذن الذين من قبلهم وهم الذين قيل لهم لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على

سورة	آية	
		لم يبلغوا الحلم عند ارادة الدخول على مخدوميهم أوآبائهم فى ثلاثة أوقات من الليل والنهار ووجوب استئذان الاطفال اذا بلغوا الحلم فى جميع الاوقات ﴾
النور	٥٨	يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ٥٩ واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم
		﴿ ماترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان ﴾
		ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الى بيان ماأمرالله به المؤمنين والمؤمنات من وجوب استئذان خدمهم وما ملكت أيمانهم من العبيد والاماء وأطفالهم الذين لم يبلغوا الحلم عند ارادة الدخول عليهم فى ثلاثة أوقات الوقت (الاول) من قبل صلاة الفجر لان الناس حين ذاك يكونون نياما وربمانام الرجل أوالمرأة على حالة لايحب أن يطلع عليه أحدفيها فاذادخل أحدمن ذكروا بغير استئذان فى هذاالوقت كان ذلك داعية الاطلاع على مالاينبغى الاطلاع عليه وقدعمت البلوى بعموم هذا الامر فلا تكادترى خادما يحجب عن مخدومه أومخدومته فى أى وقت من الاوقات وخصوصافى العائلات الكبيرة بدعوى عدم الاكتراث بهم وهو لعمر الحق من أكبر

سورة	آية	
		(وقال تبارك اسمه في بيان أنه اذا دخل أحد في أي بيت له أو لغيره فعليه أن يسلم على أهل ذلك البيت)
النور	٦١	فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ
		(ماترشد اليه هذه الآية الكريمة)
		ترشد هذه الآية الكريمة الى بيان ماأدبنا الله به من الآداب الشرعية والاخلاق الطاهرة الزكية من أنه اذا دخل أحدنا بيته أوبيت غيره سلم على أهل ذلك المنزل الموجودين فيه غير أنه اذا دخل بيت غيره أصحب السلام بالاستئذان كما في الآية المتقدمة سواء كانت هذه البيوت مسكونة أوغير مسكونة فان كانت مسكونة سلم على أهلها واستأذن عليهم ان كانت للغير فان كانت له فلا حاجة للاستئذان وان كانت غير مسكونة سلم على نفسه بأن يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وفي حكمها المساجد وهذا ماأفاده الله تعالى بقوله (فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عندالله مباركة طيبة) أي فاذا دخلتم أي بيت سواء كان لكم أولغيركم كما يقتضيه العموم في الآية فسلموا على أنفسكم أي على أهله الذين هم بمنزلة أنفسكم أو على أنفسكم حقيقة ان لم تكن مسكونة تحية من عند الله أي ثابتة بأمره تعالى مشروعة من لدنه عز وجل مباركة أي كثيرة البركة والخير دائمتهما طيبة لان بها تطيب نفس المستمع وفي وصف التحية بأنها من عند الله وأنها مباركة وأنها طيبة ترغيب فيها وحث على فعلها حسب أمره جل شأنه والله أعلم
		(وقال جل وعز في وجوب استئذان المماليك والخدم والاطفال الذين

سورة	آية

وحوانيتهم التى فى الاسواق فانها معـدة لان يدخلها كل واحـد يريد الشراء فمثل هذه لابأس من الدخول فيها بغير اسـتئذان وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله (ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ماتبدون وما تكتمون)

وانما نهى جـل شأنه عن الدخول فى بيوت الغير بغـير اسـتئذان من صاحبها لانه لايخفى أن لكل انسان فى بيته تصرفات وأعمالا وأحوالا لايحب أن يطلـع عليها أخص النـاس به وأحبهم لديه وأعظمهم صحبة وأقواهم رابطة ومودة له وأقربهم قرابة منه بل ولاأبوه ولاأخوه ولابنوه اذا كانوا متباعدين عنـه ومنفصـلين فى المعيشـة منه فاذا دخـل بغير استئذان كان ذلك داعية الاطلاع على مالا يحب الاطلاع عليه فيكون ذلك سبب النفرة وداعية الريبـة وربما طلق زوجته بسـبب ذلك وخرب بيته فتعطلت مصالحه الداخليـة وفســد حاله ولحـق به أعظم الضرر ـ ولان من فى البيت من النساء اذا أمن دخول أحد عليهن ربما كشفن مالا يحل كشفه لقريب فضلا عن غريب فاذا دخل بغير استئذان كان ذلك داعية الاطلاع على عوراتهن وهو ماتأباه المروءة ـ ولان فى الدخول بغير استئذان تصرفا فى ملك الغير وهو ممنوع فلهذا كله نهت الشريعة الغراء عن الدخول فى بيوت الغـير بغير اذن من صاحبها ـ وعليه اذا استأذن وقيـل له من أنت أن لايقتصر فى الجـواب على قوله أنا لان ذلك نهى عنه رسول الله صـلى الله عليه وسلم ففى الصحيحين وغـيرهما عن جابر بن عبد الله قال (استأذنت على النبى صلى الله عليه وسلم فقال من هـذا فقلت أنا فقـال النبى صلى الله عليه وسلم أنا أنا كأنه كره ذلك) وليعلم صاحب البيت من هو حـتى يرى اذا كان له رغبـة فى دخوله أو مقابلته أولا يرى ذلك ولايكون ذلك مع عدم التصريح باسمه ولان الاقتصار على قوله أنا لم يحصـل به المقصـود من التعريف مع عـدم التصريح بالاستئذان المأمور به فى الآية والله أعلم

سورة	آية
النور	٢٨

يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى
تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم
تذكرون ٢٩ فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى
يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى
لكم والله بما تعملون عليم ٣٠ ليس عليكم جناح أن
تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم
ما تبدون وما تكتمون

﴿ ما ترشد اليه هذه الآيات الكريمات ﴾

ترشد هذه الآيات الى بيان ما أدب الله به عباده المؤمنين اذا زار أحدهم الآخر فبين جل شأنه أنه لا يصح لأى شخص أن يدخل فى بيت غير بيته الابعد أن يسلم على أهله ويستأذن منهم فى الدخول فيقول السلام عليكم ءأدخل فان لم يجد أحدا فى البيت أووجد وقال له ارجع فليرجع من غير معاودة استئذان مرة أخرى وعليه بعد ذلك أن ينصرف ولا ينتظر طرفة عين فان ذلك خير له وأفضل لما فيه من سلامة الصدر والبعد عن الريبة والفرار من المنكر وهذا ماأفاده الله تعالى بقوله (يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم) وهذا اذا كانت البيوت معدة لسكنى أناس مخصوصين أما اذا كانت معدة ليدخل فيها كل من له حاجة تقصدمنها كالفنادق التى فى الطرق يأوى اليها المسافرون للمبيت فيها وغيرهم. وبيوت التجار

وحوانيتهم

سوره	آية	

فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا) وقال صلى الله عليه وسلم (المؤمن آلف مألوف ولاخير فيمن لا يألف ولا يؤلف وخير الناس أنفعهم للناس) وقال صلوات الله وتسليماته عليه (مثل المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتواصلهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر) وبث فيما شرعته من العبادات كل الوسائل التى بها تزداد هذه الرابطة وتقوى هذه الجامعة فشرعت الحج والجمعة والجماعات والعيدين الى غير ذلك مما به تقوى روابط الاجتماع الذى هو من مقتضيات الفطرة الاصلية والخلقة الجبلية

ولما كانت الزيارة وتودد الناس الى بعضهم لتبادل المنافع العمومية فيما بينهم التى هى من ضروريات معايشهم وللافادة والاستفادة من أقوى أسباب المحبة وأمتن روابط المودة وأقوى العوامل فى التئام شمل الاخاء ودوام المودة بين المحبين والاصدقاء كان من المستحسن بيان مالها من الآداب والشروط حتى تأتى بالفائدة المقصودة اذ كثيرا ما تكون الزيارة سببا فى تفرق الاصدقاء ونبذ الصحبة بين المتصاحبين اذا فقد شرط من شروطها أو اختل أدب من آدابها كان يدخل الزائر فى بيت المزور من غير اذنه أو يدخل باذنه ولكن يشخص ببصره نحو نوافذ البيت وأبوابه لعله يرى من أهله ما يقضى به شهوة عينيه فيكون ذلك سببا فى حصول النفرة والشقاق بينه وبين صاحب البيت الى غير ذلك مما يخالف الآداب ويرمى بصاحبه فى مهواة العذاب لذلك جاء القرآن الكريم وهو المعلم الاول والمرشد الاكبر ببيان آداب الزيارة وما يجب أن يكون عليه صاحبها من الآداب والكمالات

(فمن ذلك عدم الدخول فى بيت أحد الا بعد الاستئذان منه بالدخول مالم يكن بيتا غير مسكون فيه متاع له فله أن يدخله بدون استئذان وقد بين الله ذلك بقوله)

سورة	آية	
النور	٢٢	وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

(ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة)

ترشد هذه الآية الكريمة الى وجوب صلة الرحم والاقرباء مهما اقترفوا من الذنب ولا يكن مافعلوه سببا فى أن يأتلى أولو الفضل والسعة أى يحلفوا أن يمنعوهم ما كانوا يحسنون به عليهم وليكن ديدنهم معهم العفو عن ذنبهم الذى أذنبوه وجناياتهم التى اقترفوها والصفح عن تائبهم بالاغضاء عنه والاغماض عن جنايته فان ذلك سبب لعفو الله تعالى ومغفرته كما قال تعالى مرغبا فى الصفح والعفو حاثا عليهما (وليعفوا وليصفحوا الا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم)

هذا والآيات القرآنية الدالة على محاسن الآداب ومكارم الاخلاق كثيرة لاتكاد تحصى وقد اقتصرنا منها على هذا النزر اليسير ليقاس على الشاهد الغائب والله ولى التوفيق ومنه الرشد والسداد

الادب فى الزيارة

اعلم أن الانسان خلق مدنيا بالطبع لايمكن أن يعيش منفردا بل لابد له من مخالطة أبناء جنسه والمعاملة معهم والتودد لهم ولذا كان جل هم الشريعة الغراء السعى وراء كل مافيه تقوية هذه الجامعة وتعضيد هذه الرابطة فقررت فيما قررت من أسباب السعادة مبادئ الاخاء الاسلامى تحت جامعة الدين فقال تعالى (انما المؤمنون اخوة) وقال جل شأنه (واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا) وقال جل ثناؤه فى سياق الامتنان على عبيده وتعداد النعم عليهم (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء

آية	سورة

يجد من يقوم له بما كان يقوم له به أبوه ولم يحث جل شأنه على الوصاية وحسن العناية به لاشك ينشأ على الاخلاق الفاسدة والطباع الرذيلة لان النفس بطبيعتها ميالة الى الشرور مطبوعة على الفجور فاذا لم تجد وازعا يكبح زمامها ويحول دون تنفيذ كل رغباتها لاسيما فى الصغر تحكمت فيها الشهوات وتمكنت فيها الرذائل والمنكرات فينشأ صاحبها على ذلك فاسد الاخلاق مرذول الطباع منقادا لأهوائه البهيمية عبدا لشهواته الدنية وبذلك يكون كلا على الهيئة الاجتماعية بل وعلى نفسه وعائلته فلعل هذا والله أعلم سر عناية الرب جل شأنه بالوصاية على اليتيم والترغيب فى حسن كفالته

وحسن المعاملة مع السائل يكون اما باجابة ماسأله والنصح والاخلاص له فى الجواب مع عدم التكبر والتجبر والفحش فى القول واظهار الفضل عليه ان كان سائلا عن علم — واما باعطائه سؤله أو رده برحمة ولين وتعطف وتلطف ان كان محتاجا ويسأل مابه يسد رمقه و يزيل عوزه ولا يصح أن يقابل السائل الذى هذه حالته بالفظاظة والغلظة والكبر من المسؤل فان فى ذلك من قلة المروءة وخسة الطبع مالايخفى — على أنه لا يحسن بعاقل أن يتقلب فى نعمة ولايرى من الشكر على هذه النعمة التى جعلته مسؤلا وغيره سائلا وعزيزا وغيره ذليلا يتكفف الناس و يسألهم هذا يمنعه وهذا يمنعه أن يمنع أخاه المؤمن وهو يسأله مما منحه الله من العلم أو المال مع أنه لاينقصه شيأ فان لم يمنعه ماسأله من العلم أو المال مع عدم تأثيره فى ماليته فذلك من زمانة فى مروءته وخسة فى طبعه والله أسأل أن يرشدنا الى العمل بالكتاب والسنة والتخلق بأخلاقه انه سميع الدعاء كثير العطاء

﴿ وقال جل ذكره يحث على حسن المعاملة مع الناس بالعفو عن مذنبهم والصفح عن تائبهم ﴾

سورة	آية	
		(والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الارض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار) جعلنا الله ممن وفى بعهده ووصل ما أمر بصلته وخشى عقابه وترك محارمه ابتغاء مرضاته وأقام صلاته وأنفق من فضله وأحسن معاملته آمين
		(وقال تبارك وتعالى يعلم نبيه صلى الله عليه وسلم لطف المعاملة وحسن المصانعة مع اليتامى الاذلاء والفقراء الضعفاء ولنا فيه صلى الله عليه وسلم الاسوة الحسنة والقدوة المستحسنة)
الضحى	٩	فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ١٠ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ١١ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ
		(ما يؤخذ من هذه الآيات الكريمات)
		يؤخذ منها وجوب حسن المعاملة ولطف المجاملة مع هذين الصنفين من الناس وهما اليتيم الذى مات أبوه وهو صغير والسائل الذى ألجأته الحاجة والفاقة الى ذل السؤال والتكفف على الناس فحسن المعاملة مع اليتيم أن لا يقهره ولا يغضبه ولا يأخذ منه حقا هو له وأن يكون له كالاب الرحيم للابن البار فيسعى فى نماء ماله ان كان له مال وفى تعليمه وتربيته وبحسن كفالته فلا يذله ولا ينهره ولا يهينه ولا يفعل به أى أمر يكدر خاطره أو يحصل له منه ضرر وانما وصى جل شأنه باليتيم هنا وفى مواضع كثيرة من القرآن الكريم وحث على ذلك ورغب فى حسن كفالته ولطف معاملته لان اليتيم الذى مات أبوه وكان المتكفل بحسن تربيته وتعليمه ونجاحه وفلاحه والسعى وراء كل ما يكون فيه سعادته فى الدنيا والآخرة والقائم بتدبير حالته المعاشية والنظر فى كل ما يجلب له الخير ويدفع عنه الشر والضير اذا لم

آية	سورة

فى الدار الآخرة فان دوام المراقبة والخشية والخوف من سوء الحساب يوم الحساب مما يوطن قلب العبد على طاعة الله تعالى وامتثال أوامره واجتناب نواهيه وما أحسن تلك المعاملة

(الرابع) الصبر عن المحارم والتعفف عن المآثم وترك جميع الموبقات ونبذ سائر المنكرات واحتمال المشاق فى نصرة الله ودينه ولا غرض لهم من ذلك سوى طلب مرضاة الله تعالى وجزيل ثوابه

(الخامس) اقامة الصلاة بحدودها ومواقيتها وركوعها وسجودها وخشوعها على الوجه الشرعى المرضى فان ذلك من حسن المعاملة بمكانة دونها كل مكانة

(السادس) الانفاق من فضل الله تعالى على من يجب لهم الانفاق من زوجات وقرابات وأجانب من فقراء ومساكين فى السر والجهر

(السابع) درء السيئة بالحسنة أى دفعها بها فاذا آذاهم أحد قابلوه بالجميل صبرا واحتمالا وصفحا وعفوا وان أساء اليهم عفوا عنه وان حصل منه هفوة أغضوا عما حصل منه من الهفوات وتجاوزوا عما فرط منه من الغلطات فهذه الاشياء التى ذكرها الله غاية فى حسن المعاملة معه ومع عباده ثم بين ما يترتب عليها من الثواب الجزيل والسعادة الابدية بقوله (أولئك لهم عقبى الدار) ثم فسر ذلك بقوله جنات عدن أى جنات اقامة يخلدون فيها هم ومن هو صالح لدخول الجنة من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ليكون فى الجمع بينهم وبين من يحبون من أهليهم وقراباتهم قرة عين لهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من أبواب الجنة يسلمون عليهم ويهنئونهم بما حصل لهم من التقريب والانعام والاقامة فى دار السلام فى جوار الصديقين والانبياء والرسل الكرام جزاء حسن معاملتهم مع الله ومع خلقه

وبعد أن بين سبحانه حال السعداء وما أعده لهم من النعيم المقيم أتبع ذلك ببيان أحوال الاشقياء وما أعده لهم من العذاب الشديد والعقاب الاليم وهم الذين لم يحسنوا المعاملة مع الله تعالى ومع عباده فقال

سورة	آية

﴿ماترشداليه هذه الآيات الكريمات﴾

ترشدهذه الآيات الكريمات الى بيان ماأعدهالله تعالى لمن أحسن من عباده المؤمنين المعاملة معه جل شأنه ومع عباده من الثواب الجزيل والنعيم الدائم المقيم وقد بين جل شأنه أن حسن المعاملة يكون بأشياء (الاول) الوفاء بالعهد وهو بالنسبة لله عزوجل امتثال أوامره واجتناب نواهيه وبالنسبة للخلق أن لا يعد أحدهم وعدا الاوفى به وأنجزه ولا يكون كالمنافق اذا عاهدغدر واذاخاصم فجر واذا حدث كذب واذا أؤتمن خان (الثانى) صلة ما أمر الله به أن يوصل ونهى أن يقطع وهى بالنسبة لله عز وجل دوام مراقبته وتمثل عظمته فى قلبه حتى يكون ذلك زاجرا له عن معصيته ومخالفة أمره والايمان بالكتب والرسل فانه جل شأنه أمربوصل ذلك وعدم قطعه وبالنسبة للخلق ثلاثةأنواع وصل قرابة المؤمنين الثابتة بالايمان والداخلة فى عموم قوله تعالى (انما المؤمنون اخوة) ويكون بالاحسان اليهم على قدر الطاقة والوسع ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم وجلب الخير اليهم ودفع الضرر عنهم وافشاء السلام وعيادة المرضى ومنه مراعاة حق الاصحاب والخدم والجيران والرفقاء فى السفر الى غير ذلك — ووصل قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكون بالشفقة بهم وتعهدهم فيما يحتاجون اليه واحترامهم وتوقيرهم والتودد اليهم كما قال تعالى (قل لاأسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى) فان فى صلتهم صلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى غاية ما يسعى المرء جهده لنواله — ووصل قرابته من الرحم ويكون بأن يطعمهم من جوع ويؤمنهم من خوف أو يقضى عنهم دينا أو يفرج عنهم غما أو يقضى لهم ما يحتاجون اليه ان كانوا فقراء ويعاملهم بالتودد و يتعهدهم بالزيارة ويبدأهم بالسلام ان كانوا أغنياء

(الثالث) الخشية من الله تعالى ومراقبته جل شأنه فى جميع الاعمال والحركات والسكنات وجميع الاحوال والخوف من سوء الحساب

سورة	آية	

اللفظ الذي جاء به - وإنما اختار الشرع لفظ السلام على لفظ حياك الله مثلا لأنه أتم وأكمل وأحسن وقوله (إن الله كان على كل شيء حسيبا) أي يحاسبكم على كل شيء من أعمالكم ويدخل في ذلك ما أمروا به من رد التحية والله أعلم - ومن تأمل قليلا فيما يترتب على البداءة بالتحية وحسن الرد من التوادد والتحابب علم حكمة مشروعية هذه الآداب ومكارم الأخلاق وما يرمي إليه غرض الشارع الحكيم منها

(وقال تعالى يعلمنا كيف نعامل الله تعالى ونعامل خلقه بتأدية ما لهم من الحقوق مع بيان ما أعده الله لمن أحسن هذه المعاملة من النعيم المقيم وما أعده لمن لم يحسنها من الهوان والعذاب الأليم)

الرعد ٢٢
الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ٢٣ وَالَّذِينَ
يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ
سُوءَ الْحِسَابِ ٢٤ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ٢٥
جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ
وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ٢٦
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ٢٧ وَالَّذِينَ
يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ
اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ
اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ

سورة	آية	
		والسلام بلين الجانب وحسن المعاملة كما أمر موسى وهرون عليهما السلام عندما أمرهما بالذهاب الى فرعون وذلك فى قوله (فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى) ولما حث جل شأنه على الدعوة بالطرق المذكورة بين أن الرشد والهداية ليسا الى النبي صلى الله عليه وسلم وانما ذلك الى الله تعالى وحده وهو أعلم بمن ضل عن سبيله وطريقته وشريعته وهو أعلم بالمهتدين اليها فقال (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) أى قد علم الله الشقى منهم والسعيد وكتب ذلك عنده وفرغ منه فادعهم الى الله ولاتذهب نفسك على من لم يهتد منهم حسرات فانه ليس عليك هداهم انما أنت نذير عليك البلاغ وعلينا الحساب (انك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء)
		﴿وقال جل ثناؤه يعلمنا حسن المعاملة مع بعضنا ويرشدنا الى أهم أسباب المودة والمحبة من التحية وحسن الرد﴾
النساء	٨٥	وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا
		﴿معنى الآية الكريمة وما اشتملت عليه من الادب وحسن المعاملة﴾
		يقول الله تعالى ارشادا لعباده المؤمنين وتعليما لامة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أوردوها) أى اذا سلم عليكم المسلم فردوا عليه بأفضل مما سلم عليكم فان قال لكم السلام عليكم فقولوا له وعليكم السلام ورحمة الله وان قال السلام عليكم ورحمة الله فقولوا له وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته وليس فى السلام زيادة على ذلك أوردوا عليه بمثل ما سلم عليكم واقتصروا على مثل

آية	سورة	
		بعضهم مع بعض فانهم أولى باستعمال الملاطفة واللين مع بعضهم والله أعلم
		(وقال جل ذكره يعلم نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم كيف يدعو الناس الى دينه حتى يهتدوا بهديه ويسلكوا سبيله وكيف يعامل الكفار اذا جادلوه مما هو غاية فى الادب وحسن الاخلاق)
١٢٥	النحل	ادْعُ الَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ انَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ
		(ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة)
		ترشد هذه الآية الكريمة الى بيان ما أرشد الله اليه نبيه صلى الله عليه وسلم من كيفية دعوته الخلق الى توحيد الله تعالى واتصافه بصفات الكمال وتنزهه عن صفات النقصان والى ما فيه صلاح حالهم واستقامة أحوالهم واستكمال شؤنهم وتقويم أخلاقهم وتهذيب نفوسهم عما يسنه لهم من الاحكام والشرائع فقد أمره جل شأنه أن يدعو الناس الى ذلك بأمرين الاول الحكمة وهى الدليل والمقالة المحكمة المبرهنة الثانى الموعظة الحسنة وهى ما يؤثر فى النفس لعلمها بصدق القائل ونصحه فيما يقول واحتوائها على معروف الانفس ومألوف القلوب وهذه الدعوة بهذين الامرين لمن لم يحتج منهم الى مناظرة وجدال أما من احتاج منهم الى ذلك لشدة عناده ومكابرته فأمره أن يستعمل معه الطريق التى هى أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف وايثار الوجه الايسر والمقدمات التى هى أشهر فان ذلك أنفع فى تسكين شره وكسر سورة عناده وأدعى الى اذعانه وقبوله وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله (وجادلهم بالتى هى أحسن) وهو أمر منه له عليه الصلاة

سورة	آية

فرعون وادعواه الى عبادتى وتوحيدى واخلاصى ومعكما آياتى ومعجزاتى وحججى وبراهينى متمسكين بها فى اجراء أحكام الرسالة وا كمال أمر الدعوة وعليكما مع ذلك عند مواجهتكما له ومقابلتكما اياه أن لا تنيا ولا تقصرا فى ذكرى واستحضار أننى وليكما وناصركما مع الدعوة الى توحيدى ليكون ذلك عونا لكما عليه وقوة وسلطانا كاسرا له كما قال نبينا عليه الصلاة والسلام عن ربه (ان عبدى كل عبدى الذى يذكرنى وهو مناجز قرنه) أى يذكر أننى وليه والآخذ بيده

وبعد أن أمر جل شأنه موسى عليه السلام أن يذهب الى فرعون ويصحب أخاه هرون معه حسب طلبه أخذ يأمرهما بالذهاب الى فرعون ويرشدهما الى ما يقولان له لعله يكون سببا فى اذعانه لهما وقبوله ما جا آ به فقال (اذهبا الى فرعون انه طغى) أى تمرد وعتا وتجبر على الله وعصاه وتجاوز الحد فى الكفر والتمرد بادعائه الربوبية (فقولا له قولا لينا) لا خشونة فيه فان التخشين فى القول من أعظم أسباب النفور وعدم الامتثال بخلاف تليين القول فانه أسرع الى الاجابة وأدعى الى كسر سورة عناد العتاة وتليين قسوة الطغاة وقد فعلا عليهما الصلاة والسلام ما أمرا به فقد قالا له (انا رسولا ربك فأرسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم) وقال له موسى عليه السلام (هل لك الى أن تزكى وأهديك الى ربك فتخشى) فان هذا غاية فى اللين والرفق لانه دعاه فى صورة العرض والمشورة وقد ذكر جل شأنه العلة الباعثة على دعوته باللين وحسن الملاطفة فقال (لعله يتذكر أو يخشى) أى لعله يتأمل فيبذل النصفة من نفسه والاذعان للحق فيدعوه ذلك الى الايمان أو يخشى أن يكون الامر كما تصفان فيجره انكاره الى الهلكة وذلك يدعوه الى الايمان أيضا فهذا ما أمر الله به نبيه موسى عليه السلام وأخاه هرون من حسن المعاملة مع فرعون واللين له فى القول والتلطف به وهما صفوة الله من خلقه اذ ذاك وهو أحط الناس وأخسهم قدرا عند الله تعالى فكيف بمعاملة غيره من المؤمنين

بعضهم

آية	سورة

أمره وذلك بأن يلطف بهم ويحنو عليهم فلا يعاقبهم ولا يردعهم ولا ينهرهم ولا يقسو عليهم فى المعاملة وان كان ماعملوه من المخالفة والعصيان يستحقون عليه أكثر من ذلك بل غاية ما يقابلهم به أن يتبرأ من عملهم ويقول لهم انى برىء مما تعملون وهذا نهاية مكارم الاخلاق وحسن المعاملة ولا غرو فهى من رب الارباب مالك الارض والسموات العالم بمصالح البشر زمانا ومكانا لنبيه وحبيبه وصفيه وخليله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والآية الكريمة وان كان المأمور فيها بخفض الجناح واستعمال اللين واللطف وحسن المعاملة والمجاملة هو خصوص رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن الامر يسرى لأمته وأتباعه بطريق التبع لان كل أمر له أمر لأمته مالم يرد نص مخصص وعليه فيجب على كل منا أن يعامل جميع الناس بالرفق واللين والتواضع ويستجلب محبتهم اليه بمكارم أخلاقه وحسن معاملته ولطف صنيعه سواء المحسن منهم والمسيئ فان ذلك أدعى لمعونتهم له وقت الحاجة واغاثتهم له وقت الشدة ونصرته وقت الحرج والضيق والله ولى التوفيق

﴿وقال جل ذكره فيما يجب أن يستعمله الانسان مع خصمه من حسن المعاملة والملاطفة واللين حتى يكون ذلك سببا فى قبول قوله واجابة طلبه مخاطبا بذلك موسى وأخاه هرون عليهما السلام عند ما أمرهما أن يذهبا الى فرعون ليدعواه الى عبادة الله تعالى﴾

٤٢ طه

اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ٤٣
اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ٤٤ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا
لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى

﴿معنى هذه الآيات الكريمات ومايستفاد منها من الفضائل والكمالات﴾

يقول الله تعالى لنبيه موسى عليه السلام اذهب أنت وأخوك هرون الى

سورة	آية	
		كأنه ولى حميم أى قريب اليك من الشفقة عليك ثم أشار جل شأنه بعد أن وصى عباده المؤمنين بحسن المعاملة ومقابلة الاساءة بالاحسان وبين الثمرة المترتبة على ذلك أخذ يمدح من عمل بهذه الوصية وحافظ على هذه المزية فقال (وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) أى وما يقبل هذه الوصية ولا يعمل بها الا من اتصف بالصبر وثبات القلب وقوة العزيمة لانها من الامور الشاقة على النفس التى لايحتملها الا من كانت هذه حالته والاذو نصيب وافر من السعادة فى الدنيا والآخرة
		﴿وقال تعالت أسماؤه يعلم نبيه صلى الله عليه وسلم محاسن الآداب ومكارم الاخلاق وحسن المعاملة مع صنوف الخلق سواء المطيع منهم والعاصى﴾
الشعرا	٢١٥	وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ٢١٦ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ
		﴿ما ترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان﴾
		ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الى بيان ماأرشد الله اليه نبيه عليه الصلاة والسلام من كيفية معاملته لمن اتبعه من المؤمنين ومن عصاه منهم فقد أمره أن يلين جانبه ويتواضع للمؤمنين لان ذلك أدعى الى اجتماع كلمتهم عليه ومحبتهم له وقيامهم بكل مايرضيه وبذلهم النفس والنفيس فى سبيل تنفيذ رغائبه وسعيهم فى اعلاء كلمته ونصرته على أعدائه ـ وهذا منه جل شأنه له عليه الصلاة والسلام من التدبيرات الالهية والسياسات الشرعية التى يجب على كل من قام بالدعوة ليرشد الناس ويهديهم الى ما فيه صلاح حالهم دينا وأخرى و يقوم ماأعوج من أخلاقهم أن يكون متخلقا بها ومتحليا بحلاها كما أمره أن يجمل المعاملة ويحسن الصنيع مع من خالفه ولم يتبعه لما فى ذلك من محبتهم له وعدم نفورهم منه وربما كان ذلك سببا فى رجوعهم عن معصيته ومخالفته الى طاعته وامتثال

امره

سورة	آية	
فصلت	٣٣	مرشدا الى ما يجب التخلق به ويلزم استعماله فى معاملة الخلق من كل ما يجلب رضاهم ومحبتهم لبعضهم فتتحد كلمتهم وتتألف جامعتهم ويسعون لانفسهم فيما يجلب لهم الخير ويدفع عنهم الشر والضير (فمن ذلك ماحث الله سبحانه عليه من مقابلة الاساءة بالاحسان والذنب بالغفران والغضب بالحلم والغيظ بالكظم مع بيان الثمرة المترتبة على ذلك وفضل من اتصف بهذه الاخلاق الحميدة فقال) وَلَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ٣٤ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (ما ترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان) ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الى بيان ما أمر الله به عباده المؤمنين من حسن المعاملة مع صنوف الخلق الصغير منهم والكبير فان أغضبهم أحد صبروا وان جهل عليهم حلموا وان أساء اليهم عفوا عنه وان أذنب فى حقهم ذنبا غفروه وأغضوا عما حصل منه من الهفوات وتجاوزوا عما صدر منه من الغلطات فان فعلوا ذلك صار العدو لهم صديقا والبعيد عنهم قريبا والمبغض لهم حبيبا وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم) أى ان الحسنة والسيئة متفاوتتان فى ذاتهما فخذ بالحسنة التى هى أحسن من أختها وادفع بها السيئة التى تعرض عليك من بعض أعدائك كما لو أساء اليك رجل اساءة فالحسنة أن تعفو عنه والتى هى أحسن أن تحسن اليه مكان اساءته اليك مثل أن يذمك فتمدحه أو يشتمك فتعطيه جائزة فانك ان فعلت ذلك وأحسنت اليه من حيث أساء اليك قاده احسانك الى مصافاتك ومحبتك والحنو عليك حتى يصير

سورة	آية	
		الاوصاف وتخلقهم بهذه الاخلاق فقال (أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما) أى أولئك المتصفون بهذه الاوصاف يجزون الغرفة أى الجنة بسبب ما صبروا على مشاق التكليفات والطاعات و رفض الاهواء واللذات ويلقون فيها أى فى الجنة تحية وسلاما أى يبتدرون فيها بالتحية والاكرام ويلقون التوقير والاحترام من الملائكة الذين يدخلون عليهم من كل باب ويقولون لهم سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار خالدين فيها لايموتون ولايزولون حسنت مستقرا ومقاما أى حسنت منظرا وطابت مقيلا ومنزلا والله أعلم

آداب المعاملة والمعاشرة مع صنوف الخلق

هى أن يعاملهم برفق ولين ويخفض جناحه للكبير منهم والصغير ولايخاطب أحدا بغلظة ولا يتكبر ولا يتعاظم على أحد منهم بل يستجلب محبتهم بمكارم أخلاقه وحسن معاملته ولطف صنيعه ولايكثر المراء والخصومة معهم وأن يبتدر من يعرف ومن لايعرف بالتحية واذا حياه غيره بتحية ردها بعينها أو بأحسن منها وأن يلقى غيره بالبشاشة والبشر وطيب الكلام وحسن الاخلاق والادب وأن لايسفه عليهم ولايؤذيهم بقول أوفعل وأن يعفو عن مذنبهم ويصفح عن تائبهم ويتودد اليهم بكل وسائل أنواع التودد وأن لايعد أحدا منهم بوعد الا ويفى به وأن يكرم حديث أخيه بالانصات اليه وحسن الاقبال عليه وأن يقوم لمن فوقه ويوسع له فى المكان ويجلس بين يديه بغاية الادب والسكون والوقار وأن لا يتمخط ولا يتثاءب بحضرة من هو أكبر منه سنا أوفضلا وان اضطر الى ذلك حول وجهه وامتخط فى منديل أو وضع على فمه منديلا وأن لايضع رجلا على رجل بحضرة من هو أكبر منه من قريب أو أجنبى الى غير ذلك من الاخلاق الفاضلة والصفات الكاملة

وقد جاء القرآن الكريم مبينا لهذه الآداب على أحسن وجه وأكمله

سورة	آية	
		ورجع عما كان يفعل وندم على ماحصل منه فان هؤلاء يتوب الله عليهم ويمحو عنهم ما كانوا عملوه من المعاصى ويثبت لهم مكانها طاعات وهذا التبديل فى الدنيا فيبدل الله لهم ايمانا مكان الشرك واخلاصا مكان الشك واحصانا مكان الفجور وهذا معنى قوله تعالى (الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا)
		ومنها أن لايحضروا مواضع اللهو واللعب واذا مروا بالاتفاق من غير قصد فى محل تعمل فيه الاعمال السافلة مماينبغى أن تلغى وتطرح أعرضوا عنه ولم يلتفتوا اليه ونزهوا أنفسهم عن الوقوف فيه وهذا ماأفاده الله تعالى بقوله (والذين لايشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما) أى لا يحضرون الزور واللهو واذا مروا باللغو مروا مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه
		ومنها أنهم اذا وعظوا بآيات الله تعالى وذكروا بما فيها من المواعظ والحكم ألقى منهم ذلك الوعظ صدرا رحبا وأذنا تسمع وقلبا يتدبر ويفهم وجوارح تنقاد وتعمل وهذا ماأفاده الله تعالى بقوله (والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا) أى لم يسقطوا ولم يقعوا عليها صما عن فهمها عميانا عن التدبر فيها
		ومنها أن لايقصدوا بقضاء شهوتهم مجرد التلذذ بل يقصدون أن يخرج من صلبهم ذكور يطيعون الله سبحانه وتعالى ويعبدونه حق عبادته ويدعون الله بذلك لعله يجيب دعاءهم كما يدعونه بأن يرشدوا عباده ويهدوهم الى مافيه خيرهم وصلاحهم وهذا ماأفاده الله تعالى بقوله (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما) أى أئمة يقتدى بنافى الخير وهداة مهتدين دعاة الى الخير
		ولما ذكر جل شأنه من أوصاف عباده المؤمنين ماذكر من الصفات الجميلة والاقوال والافعال الجليلة بين بعد ذلك جزاءهم على اتصافهم بهذه

سورة	آية	
		مقاما ومنها أن يدبروا أمر معاشهم فيحافظوا على أموالهم ولا يصرفوها الا فى وجوه البر والخير وقد بين الله جل شأنه الكيفية التى يتصرفون بها فى أموالهم فقال (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) أى لا يكونون مبذرين فى انفاقهم فيصرفون فوق الحاجة ولا بخلاء فيمنعون أنفسهم وأهليهم وأصحاب الحقوق فى هذه الاموال من التمتع بها مع ادخارهم لها من غير منفعة ولا فائدة تعود عليهم منها وهذا منه جل شأنه من أكبر الحكم والتدبيرات الالهية التى منّ الله على عباده المؤمنين بارشادهم لها فانه ما قامت لأى أمة بل ولا لأى عائلة ولا لأى شخص قائمة الا بهذا التدبير الالهى وليس أعدل من العيان شاهد فكم رأينا من شخص أورده الاسراف والتبذير المهالك وضيق عليه أصعب المسالك وكم رأينا من شخص شحيح حرم نفسه ومنعها التمتع بماله وكان لا حظ له منه سوى ادخاره ثم تركه للغير يتمتع به ويجنى به من الآثام والذنوب ما معظمه راجع اليه وحرمته عائدة عليه وكم رأينا من مقتصد ساد قومه فهنئت عيشته وطابت معيشته وصفت له حياته فعاش مرضيا ومات مرضيا عنه
		ومنها أن يخلصوا فى الايمان لله تعالى وحده فلا يشركوا معه غيره فى العبادة وأن يأتمروا بأوامره وينتهوا بنواهيه فلا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق أى بسبب يسوغه وهو ثلاثة أشياء زنا بعد احصان وكفر بعد ايمان وقتل نفس بغير نفس ولا يتعدون على أعراض غيرهم وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله (والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون)
		ثم أشار جل شأنه الى بيان جزاء من لم يأتمر بأوامره ولم يقف عند حدوده ونواهيه فقال (ومن يفعل ذلك يلق أثاما) أى عقابا (يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا) أى ذليلا حقيرا جزاء مخالفته لامر الله تعالى وارتكابه ما نهى عنه ثم استثنى من هؤلاء من تاب الى الله تعالى

ورجع

سورة	آية	
		بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ٧٦ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا

﴿ماترشد اليه هذه الآيات الكريمات من الآداب ومكارم الأخلاق﴾

ترشد هذه الآيات الكريمات الى بيان أوصاف المؤمنين وأحوالهم الدنيوية والاخروية وماهم عليه من الاخلاق الزكية والصفات المرضية وحسن معاملتهم مع الله والخلق وماأعده الله لهم من النعيم المقيم فى الآخرة جزاء اتصافهم بهذه الاوصاف ـ فمن هذه الصفات المرضية والاخلاق الزكية أن يكونوا فى مشيتهم على أحسن مايكون من السكينة والوقار وهذا الذى أفاده الله تعالى بقوله (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا) أى بسكينة وتؤدة ووقار

ومنها أن يصانعوا الناس ويجاملوهم ويحسنوا المعاملة معهم فاذا سفه عليهم أحد منهم أوخاطبهم بما لايليق قابلوه باللطف وعاملوه بالجميل وتبرؤا منه ومن مما كانه لما يسفه به وهذا ماأفاده الله تعالى بقوله (واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) أى سلامة و براءة منكم وتركا لكم ولما تسفهون به حتى بذلك يسلمون من الوقوع فى الاثم مثل أولئك الجاهلين

ومنها أن يحسنوا المعاملة مع الله جل ذكره بدوام ذكره وطاعته وعبادته وشدة مراقبته فيبيتوا له تعالى ساجدين قائمين ذاكرين داعين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما أى ملازما دائما لان بياتهم كذلك مما يوجب تنزل الرحمة والرضوان بهم لان الليل أجمع للفكر وأهدأ للبال وأسكن للخاطر وأبعد للذهن من احاطة الشواغل به فكل ذلك من أمارات القبول واجابة الدعاء وهذا ماأفاده الله تعالى بقوله (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما انها ساءت مستقرا ومقاما) أى انها بئست المنزل منظرا وبئس المقيل

سورة	آية	
الفرقان	٦٣	﴿ وقال عزمن قائل يبين لنا أوصاف المؤمنين وماهم عليه من الآداب الفاضلة والاخلاق الكاملة وحسن معاملتهم مع الله والخلق ليكون لنا بهم الأسوة الحسنه والقدوة المستحسنه ﴾

وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا
خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ٦٤ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ
سُجَّدًا وَقِيَامًا ٦٥ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا
عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ٦٦ إِنَّهَا سَاءَتْ
مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ٦٧ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ
يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ٦٨ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ
اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا
بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ٦٩ يُضَاعَفْ
لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ٧٠ إِلَّا مَنْ
تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ
سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٧١ وَمَنْ تَابَ
وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ٧٢ وَالَّذِينَ لَا
يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ٧٣ وَالَّذِينَ
إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ٧٤
وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا
قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٥ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ

آية	سورة

وأعظم كبائر الذنوب ودليل جهل المرء بمقدار نفسه وعماه عن عيب نفسه حيث رأى قبيحه حسنا وخطأه صوابا فأوجب لنفسه حقا لم تستوجبه ورأى لها فضلا لم تستأهله ولو أنه تبصر فى عيوب نفسه قليلا وتأمل فيما هو عليه من المثالب والمعايب لاستنكف عما عليه نفسه من الزهو والعجب الذى حملها على هذه المشية التى يبغضها الله ورسوله كما قال مطرف بن عبد الله للمهلب بن أبى صفرة عند مانظر اليه وعليه حلة يسحبها ويمشى الخيلاء ياأباعبدالله ماهذه المشية التى يبغضها الله ورسوله فقال له المهلب أما تعرفنى قال أعرفك أولك نطفة مذره (أى فاسدة) وآخرك جيفة قذره وحشوك فيما بين ذلك بول وعذره فعلام الانسان يتكبر وقد عرف مبدأه ومنتهاه (وقدروى) عن عمر رضى الله عنه أنه صعد المنبر وحمد الله وأثنى على رسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال أيها الناس لقد رأيتنى أرعى على خالات لى من بنى مخزوم يقبضن لى القبضة من التمر والزبيب فقال له عبد الرحمن بن عوف والله ياأمير المؤمنين مازدت على أن قصرت بنفسك فقال له ويحك ياابن عوف خلوت بنفسى فحدثتنى وقالت أنت أمير المؤمنين فمن ذا أفضل منك فأردت أن أعرفها قدرها فمثل هؤلاء هم الذين جل خطرهم وعظم قدرهم فى الدنيا ومع ذلك لم يجعلوا لانفسهم حظا فى الاستعظام والاعجاب ولذا يقول الله تعالى توبيخا للمعجب بنفسه المتبختر فى مشيته (انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا) أى لن تثقب الارض حتى تبلغ آخرها بمشيك متكبرا ولن تبلغ الجبال طولا بتمايلك وبخترك واعجابك بنفسك بل قد يجازى فاعل ذلك بنقيض قصده كما أخبر جل شأنه عن قارون أنه خرج على قومه فى زينته فخسف الله به وبداره الارض ثم بين جل شأنه أن هذا الذى ذكر من الاعجاب والتبختر فى المشى وتتبع الانسان ماليس له به علم وغيره مما تقدم ذكره ونهى الله عنه هو قبيح مكروه عند الله تعالى يجب اجتنابه والتباعد منه بقوله (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها)

سورة	آية	
		﴿وقال تبارك اسمه فى النهى عن تتبع الانسان ما ليس له به علم وعن التكبر والتجبر والتبختر فى المشية لان ذلك مما يبغضه الله تعالى ويكرهه﴾
الاسرى	٣٦	وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ٣٧ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ٣٨ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا

﴿ما ترشد اليه هذه الآيات الكريمات﴾

ترشد هذه الآيات الى أدبين من الآداب الشرعية وخلقين عظيمين من الاخلاق الطاهرة الزكية (الاول) أن لا يتتبع الانسان ما لا يعلمه فلا يقول رأيت والحال أنه لم ير ولا سمعت والحال أنه لم يسمع ولا علمت والحال أنه لم يعلم وهكذا لان الله سبحانه وتعالى سائله عن ذلك كله من أين جاءه العلم بما رآه وسمعه وعلمه فانه جل شأنه خلق الاعضاء للانسان وجعل لكل عضو منها وظيفة قائما بها وعملا خاصا به يسئل عنه دون غيره فيسئل السمع عما سمعه والبصر عما رآه والقلب عما علمه فان كان الجواب طبق ما ناط الله هذه الاعضاء به وخلقها لأجله وكلفها به من الاعمال أثاب صاحبها حيث استعملها فى ذلك وان كان الجواب غير مطابق عاقب صاحبها جزاء تقصيره وعدم استعماله هذه الاعضاء فيما خلقت لأجله ومعنى سؤال هذه الاعضاء ومجاوبتها أن الله سبحانه ينطقها عند سؤالها فتخبر عما فعلته وفعله صاحبها وهذا الذي أشار الله تعالى له بقوله (ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا)

(الادب الثانى) عدم التجبر والتبختر والتمايل فى المشية فان ذلك يبغضه الله ورسوله لانه نتيجة اعجاب المرء بنفسه وهو أخبث سرائر القلوب

وأعظم

سورة	آية

الله سميعا عليما

﴿ ما يؤخذ من هذه الآية الكريمة من الآداب والفضائل ﴾

يؤخذ من هذه الآية الكريمة النهى عن البذاءة باللسان والجهر بالسوء من القول سواء كان ذلك القول السيئ شتما أو سبا أو لعنا أو مراءا أو خصومة أو ذما فى حق الغير أو غير ذلك مما يدل على حقارة قدر صاحبه ودناءة نفسه وقلة حيائه وسوء تربيته وعدم قدرته على أن يكبح زمام نفسه عما تسوله له من القبائح والمنكرات وتهيجه له القوة الغضبية التى منشؤها الزهو والعجب والكبر والمزاح والهزل والمماراة والمضادة والغدر وغيرها من الاخلاق الرديئة المذمومة شرعا وعقلا

ولما كان الجهر بالسيئ من القول بهذه المكانة من القبح عبر الله جل شأنه عن النهى عنه بما يفيد شدة قبحه وزيادة نكره وبشاعة أمره فقال (لايحب الله الجهر بالسوء من القول) ولم يقل لاتجهروا بالسوء من القول أى وحيث كان غير محبوب لله جل وعز وغير مرضى له فهو أولى الاشياء المنكرة بالاجتناب وأحقها بالترك والابتعاد

ثم استثنى جل شأنه من عدم محبته للجهر بالسوء من القول وبغضه وكراهته له جهر من ظلم بان يدعو على ظالمه أو يتظلم منه أو يذكره بما فيه من السوء فان ذلك غير مبغض عنده تعالى وذلك لانه انما يستغيث ليغاث ويستجير لينجد ويذكره بسوء لعله يرد عليه ظلامته ولان المظلوم مصدور وهو لابد أن ينفث وهذا مالابد منه من طريق الفطرة فرخص الشارع له ذلك ــ وفى ذلك دلالة على قبح الظلم والظالم وعدم نظر الله له وعدم اعتبار حرمته واحتقاره له جل شأنه حتى رضى عن مذمته والجهر بالسوء من القول فى حقه

ثم أخذ جل شأنه يتوعد من يجهر بالسوء من القول فقال (وكان الله سميعا عليما) أى سميعا لما تقولونه من القول السيئ عليما به فيجازيكم عليه

سورة	آية	

الباحث اطلع على جميع عورات أخيه ومعايبه فأى فائدة تعود عليه من ذلك سوى أنه كالذباب لايتتبع الاالقاذورات والمواضع الفاسدة من الجسد وغيره ونهى عن أن يذكر أحد أخاه بما يكره فى غيبته بقوله (ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) أى لايذكر بعضكم بعضا بما يكره فى غيبته سواء كان ذلك باللسان أو بالفعل ومنه الاشارة والكتابة وغيرهما مما يفهم نقصانه فان علة النهى عن الغيبة الايذاء بتفهيم الغير نقصان المغتاب وهو موجود حيث أفهم الغير مايكرهه المغتاب بأى وجه كان من طرق الافهام وسواء كان ذكر ذلك الشئ الذى يكرهه بنقص فى بدنه أو نسبه أو خلقه أو فى فعله أوفى قوله أو فى دينه أو فى دنياه حتى فى ثوبه وداره وماله وولده وزوجته ومملوكه وخادمه وغير ذلك من كل مايتعلق به فذلك كله مما كرهه الله تعالى وحرمه ونهى عنه حتى جعل المغتاب كأنه يأكل لحم أخيه ميتا ذلك الامر المستبشع طبعا وعقلا وشرعا ومحل حرمة الغيبة اذا لم يكن المغتاب مجاهرا بالمعاصى متهتكا لايبالى بما يفعل فان الغيبة فى مثله جائزة وذلك لان الذى يعلن بالفجور والفسوق ولايستحيى من عصيان الخالق ولا يستتر عن المخلوق فيما يأتى من الكبائر ويظهر من المناكر قد كشف ستاره وأبدى عواره فخرج من حد الظن الى حد اليقين فمثل هذا ليس مقصودا من النهى ففى الحديث (من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له) والله أعلم

وبعد أن أمر جل شأنه بترك هذه المنهيات حث على التقوى فقال (واتقوا الله) ثم علل الامر بالتقوى بقوله (ان الله تواب رحيم) أى كثير التوبة لمن اتقاه واجتنب مانهى عنه وتاب مما فرط منه

(وقال جلت حكمته فى النهى عن الجهر بالسوء من القول)

النساء	١٤٧	لَا يُحِبُّ اللّٰهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ

سورة	آية

والتهاون وذلك تارة يكون بالضحك على كلامه اذا تخبط فيه ولم ينتظم أو على أفعاله اذا كانت مشوشة كالضحك على صنعته أو على صورته وخلقته اذا كان قصيرا أو ناقصا لعيب من العيوب فالضحك من جميع ذلك داخل فى السخرية المنهى عنها وقد تكون السخرية بالمحاكاة فى الفعل والقول وقد تكون بالاشارة والايماء

ونهى أن يعيب أحد غيره بقوله (ولا تلمزوا أنفسكم) أى لا يعب بعضكم بعضا بقول أو فعل أو اشارة لان المؤمنين كنفس واحدة فمن عاب المؤمن المؤمن فكأنما عاب نفسه وهذا أدب كبير أدب الله به عباده المؤمنين ليكون سببا فى ألفتهم واتحادهم وارتباط قلوبهم بعظيم المودة ووثيق المحبة

ونهى أن يدعو أحد أخاه بلقب يكرهه بقوله (ولا تنابزوا بالألقاب) أى لا يدعو أحد أخاه بلقب يكرهه لان ذلك يزرع فى القلوب الضغينة ويمكن فيها الحفيظة وهو مما جاء الشرع الشريف بزواله ولذا سمى جل شأنه التنابز بالالقاب الذى هو داعية الحقد والبغض فسقا فى قوله (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون)

ونهى عن كثير من سوء الظن بأحد من المؤمنين بقوله (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم) أى يا أيها الذين آمنوا تباعدوا عن كثير من الظن وهو مجرد التهمة التى لا سبب لها كأن تتهم غيرك بشئ من الفواحش ولم يظهر عليه ما يقتضى ذلك لان بعض ذلك يكون اثما محضا فليجتنب الكثير منه احتياطا ويشترط فى حرمة هذا أن يكون المظنون به ممن شوهد منهم التستر والصلاح والامانة أما من يتعاطى الريب والمجاهرة بالخبائث والمنكرات كالدخول والخروج الى حانات الخمور وصحبة الغوانى الفاجرات فلا يحرم سوء الظن به فى نحو ما يظهر منه فقط

ونهى عن البحث والتفتيش عن عيوب المسلمين وعوراتهم بقوله (ولا تجسسوا) أى لا تبحثوا عن عورات المسلمين ولا تستكشفوا عما ستروه فان فى ذلك فضيحة لهم وتعرضا لما لا يعنى ولا يفيد وهب أن ذلك

سورة	آية	
		بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ

﴿ ماترشداليه هاتان الآيتان الكريمتان ﴾

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الى ماعلمنا الله من الصفات الحسنة والاخلاق المستحسنة وهي أن لايسخر أحد من أحد و يستخف به ويستحقره وأن لايعيب أحد على أحد بشئ يكرهه وأن لايدعو أحد أخاه بلقب يكرهه وأن لايسيء ظنه بأحد من اخوانه المؤمنين وأن لايبحث و يفتش عن عورات المسلمين ومعايبهم ويستكشف عما ستروه وأن لايذكر أحد أخاه بما يكرهه في غيبته فان ذلك كله مما نهى الله عنه ورغب في التباعد منه فنهى عن السخرية بالناس والاستخفاف بهم بقوله (ياأيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن) أى لايهم أن يستهزئ أحد من أحد ولايستخف به ويحقره سواء كان من الرجال أوالنساء لانه ربما كان المسخور به عندالله خيرا من الساخر فلا ينبغى أن يجترئ أحد على السخرية بغيره والاستخفاف به بمجرد أنه رآه رث الهيئة أوفقيرا أو ذا عاهة فى بدنه أو غير لبيق فى محادثته أو غير ذلك فلعله أخلص ضميرا وأنقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله تعالى والسخرية انما تحرم اذا كانت فى حق من يتأذى بها أما من جعل نفسه مسخرة وربما فرح بالسخرية به كما يفعله السفلة من الناس كانت السخرية فى حقه من جملة المزح وليس بمحرم وانما المحرم استصغار يتأذى به المستهزأ به لما فيه من التحقير

والتهاون

سورة	آية	
		وكبيرهم واجلب محبتهم اليك بحسن صنيعك معهم ولطف معاملتك لهم فانهم بذلك ينتظرون لك أمرا فيتبعونه أونهيا فيجتنبونه وبعدأن بين له عليه السلام كيف يصانع الناس ويعاملهم ويعاشرهم أخذ يبين مايجب أن يكون هو عليه فى نفسه من الاخلاق الفاضلة والصفات الكاملة فقال (ولا تمش فى الارض مرحا ان الله لايحب كل مختال فخور واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الاصوات لصوت الحمير) أى اذا مشيت فى الأرض فلا يكن مشيك خيلاء فان الله يبغض من هذه حالته واذا مشيت فليكن مشيك لا بالبطيء المتثبط ولا بالسريع المفرط فان كلا الأمرين مذموم لان الاول مع مافيه من مشية المتكبرين وفتور الهمة وضعف العزيمة والتشبه بالعجائز المقعدات فيه ضياع لفرص كثيرة ومنافع كبيرة والثانى مع ما فيه من أمارات الطيش والخفة وعدم الثبات فيه تحميل الاعضاء فوق طاقتها واضعافها بعمل مجهودات لاتحملها قواها العضلية فيهدم بذلك أساس قوته ويجر بالفساد على بنيته واذا تكلمت فاخفض صوتك ولا ترفعه زيادة عن الحاجة فان الجهر باكثر من الحاجة مما يضر بالسامع ويؤذيه ولان صوته بذلك يكون منكرا يشبه صوت الحمير الذى هو أفظع الاصوات وأقبحها وأنكرها كما قال جل شأنه (ان أنكر الاصوات لصوت الحمير) والله أعلم
		﴿ وقال تعالى فى بيان ماأرشدنا اليه من الاخلاق الفاضلة والصفات الكاملة من عدم السخرية بالناس وترك اللمز والتنابز بالالقاب وسوء الظن بالناس والتجسس والغيبة ﴾
الحجرات	١١	يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا

سورة	آية

المعينة لها من غير ابداء ملل ولا ضجر ولا تقاعد ولا تكاسل مع تمثيل عظمة الله تعالى فى قلبه ومراقبته جل شأنه فى كل قول وفعل منها حتى يلازم الادب قلبه وتتبعه فى ذلك سائر جوارحه فانه ان أتى بها كذلك لازم الادب قلبه ونهته عن فعل الفحشاء والمنكر وذلك غاية الادب ونهاية مكارم الاخلاق ـ والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وذلك من لقمان عليه السلام لابنه من باب تذليل النفس وتهذيبها واقبالها على الطاعات ونبذها المنكرات بلطف وهذا شأن المعلم الحكيم فان من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر تستنكف نفسه وتكره أن يراه الناس حيث نهاهم فلا يصدر منه مايوجب الذم واللوم ولا مايكون سببا فى عدم سماع كلامه وبلوغ مرامه فيفعل المليح ويجتنب القبيح فضلا عما يترتب على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من ارشاد الخلق الى مافيه صلاح حالهم واستقامة أحوالهم وانتظام شؤنهم وتقويم ما اعوج من أخلاقهم

ولما علم لقمان عليه السلام بما أتاح الله له من الحكمة أن الآمر بالمعروف الناهى عن المنكر لابد أن يقابل من المأمورين والمنهيين من الناس بأذى كثير لانه انما يأمرهم بمفارقة ماعليه أهواؤهم وألفته نفوسهم وتعلقت به رغائبهم ومفارقة ذلك أصعب شئ على النفس أمر ابنه مع ذلك بالصبر على أذاهم وتحمل الآلام والمشقات التى تحصل له فى أثناء ذلك و بين له أن الصبر على ذلك من عزم الامور فقال له (واصبر على ماأصابك انّ ذلك من عزم الأمور)

ولما كان الآمر بالمعروف الناهى عن المنكر يجب أن يكون متصفا بأحسن صفات الكمال من الأدب والتواضع والحلم وعدم الكبر على الخلق وعدم استحقارهم والاستخفاف بهم حتى يكون ذلك سببا فى قبول أمره ومجانبة نهيه أمر لقمان عليه السلام ابنه بما يجمع هذه الخصال فقال (ولا تصعر خدك للناس) أى لاتعرض عنهم بوجهك اذا كلمتهم أو كلموك احتقارا لهم واستكبارا عليهم بل ألن جانبك لهم وتواضع لصغيرهم

وكبيرهم

سوره	آية	
		من اخوان أزواجهن وعدم مبالاة أزواجهن بذلك وكثيرا مايأمرونهن به فان ذلك مما لم يأذن به الله ورسوله وأمثال ذلك كثير ولاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم
		ولما كانت أوامر الله تعالى ونواهيه فى كل باب لا يكاد العبد الضعيف يقدر على مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد ولايخلو من تقصير يقع منه وصى الله المؤمنين بالتوبة فقال (وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) أى افعلوا ما آمركم به من الصفات الجميلة والاخلاق الجليلة واتركوا ماأنهاكم عنه من الاخلاق والصفات الرذيلة فان الفلاح كل الفلاح فى فعل ماأمر الله به ورسوله وترك مانهيا عنه
		((وقال تبارك اسمه يعلمنا من الآداب أحسنها ومن الاخلاق أجلها وأكملها حاكيا ذلك عن لقمان عليه السلام يوصى ابنه))
لقمان	١٧	يَابُنَىَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ١٨ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ١٩ وَاقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ
		((ماتشتمل عليه هذه الآيات الكريمات من الوصايا النافعه والحكم والآداب والثمار اليانعه))
		تشتمل هذه الآيات على أهم مكارم الاخلاق وأعظم صفات الكمال على الاطلاق ولاغرو فقد وصى بها أب حكيم قد ذكره الله بأحسن الذكر وآتاه الحكمة والاصابة فى الرأى والفكر لابن هو أشفق الناس عليه وأحبهم اليه فهو جدير بأن يمنحه أفضل ما يعرف وذلك من اقام الصلاة والاتيان بها مستوفية الشروط والاركان فى أوقاتها

سورة	آية

أيمانهن من الاماء أما الذكور فلا يجوز ابداء الزينة لهم لانهم فحول وليسوا أزواجا والشهوة متحققة فيهم والاجراء والاتباع الذين ليسوا بأكفاء ولاحاجة لهم الى النساء لانقطاع شهوتهم أو الاطفال الذين لايعرفون ما العورة ولا يميزون بينها وبين غيرها ـ فهؤلاء لابأس من اظهار الزينة لهم * أما وجه جواز اظهار زينتهن لآبائهن وآباء أزواجهن وأبناء أزواجهن واخوانهن وبنى اخوانهن وبنى أخواتهن فلانهم محارم لهن يجوز للمرأة أن تظهر عليهم بزينتها ولكن من غير تبرج بل بالحشمة والوقار لقلة توقع الفتنة من جهاتهم ولما فى الطباع من النفرة عن مماسة القرائب وتحتاج المرأة الى صحبتهم فى السفر للنزول والركوب وغير ذلك * وأما وجه الجواز بالنسبة لنسائهن المختصات بهن المسلمات وما ملكت أيمانهن من الاماء والاجراء والاتباع الذين لاحاجة لهم الى النساء والاطفال الذين لايعرفون ما العورة فلعدم الضرر من جهتهم اذا أبدين زينتهن لهم

وقد شدد الشارع الحكيم فى عدم ابداء الزينة للنساء لما يعلم ما يترتب على ذلك من المضرة والمفسدة حتى نهى المرأة أن تضرب برجلها الارض ليعلم ما خفى من زينتها فقال (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) ومثل ذلك ما لو كان شئ من زينتها مستورا فتحركت بحركة لتظهر ما خفى أو تتعطر وتتطيب عند خروجها من بيتها فيشم الرجال طيبها فانه يدخل تحت هذا النهى أيضا وكذا ما يلبسه أكثر مترفات النساء فى زماننا فوق ثيابهن ويتغطين به اذا خرجن من بيوتهن وهو غطاء من حرير أسود ذو ألوان مختلفة وأشكال متنوعة فيه من الثنيات فى الوسط وفى الاسفل وأنواع الزينة مايبهر العيون ويأخذ بألباب ضعاف العقول وأرى أن تمكين أزواجهن ونحوهم من الخروج بذلك ومشيهن به بين الاجانب من قلة الغيرة وقدعمت البلوى بذلك ومثله ما عمت به البلوى أيضا من عدم احتجاب أكثر النساء

من

سورة	آية

يارسول الله قال غض البصر وكف الاذى ورد السلام والامر بالمعروف والنهى عن المنكر) هذا ومن اتفق وقوع بصره على محرم من غير قصد فعليه أن يصرف بصره عنه سريعا بتحويل وجهه الى جهة أخرى أو اطباق عينيه أواطراقه الى الارض أويسترهما بأى ساتر مما يحول دون نظره فان ذلك أدعى لعصمته وأحفظ لشهوته

ولما كان النظر داعية الى فساد القلب وغضه باعثا من بواعث حفظ الفرج أمر الله بحفظ الفروج كما أمر بحفظ الابصار فقال (ويحفظوا فروجهم) وحفظ الفرج تارة يكون بمنعه من الزنا كما قال تعالى (والذين هم لفروجهم حافظون) وتارة يكون بحفظه من النظر اليه كما جاء فى الحديث (احفظ عورتك الا من زوجتك وماملكت يمينك) ثم بعد أن أمر جل شأنه بغض البصر وحفظ الفرج أخذ يبين الحكمة التى من أجلها أمر بذلك متوعدا من يخالف أمره ويتعدى حدوده فقال (ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون) أى ماذكر من الغض والحفظ أطهر لهم من دنس الريبة وأطيب من التلبس بهذه الدنيئة وعليهم بعد علمهم بذلك وأن فائدته ترجع اليهم أن يراقبوا الله فيما به أمر ويتركوا ماعنه نهى وزجر لانه جل شأنه خبير بما يصنعونه فيجازيهم عليه

وأما هذه الآداب بالنسبة للنساء فهى أن يغضضن أبصارهن ويمنعنها النظر الى غير أزواجهن ويحفظن فروجهن من الزنا ومن رؤية أحد لها ولا يظهرن شيأ من زينتهن للاجانب الا ماظهر منها ولم يمكن اخفاؤه كالرداء والثياب الظاهرة لهن وأن يلقين على صدورهن ونحورهن مقانع ليسترنها عن أعين الناظرين فلا يرون منها شيأ ولايبدين زينتهن الا لأزواجهن أوآبائهن أوآباء أزواجهن أوأبنائهن أو أبناء أزواجهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن المختصات بهن لخدمة أوصحبة بشرط أن يكن مسلمات لان غيرهن من الكوافر لايتحرجن من وصفهن للرجال وذلك يجر الى المفسدة أو ما ملكت

سورة	آية	
		أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ
		﴿ ماترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان ﴾
		ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الى بيان أكمل الآداب التى يجب على كل من الرجال والنساء أن يتخلقوا بها ويتحلوا بحلاها وهى بالنسبة الى الرجال أن يغضوا أبصارهم عن النظر الى مالا يحل النظر اليه من أجنبية غير محرم لهم وأن يحفظوا فروجهم من التعدى على عرض الغير وأن يمنعوا أنفسهم من النظر اليها وهذا ماأفاده الله تعالى بقوله (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون) أى قل يامحمد للمؤمنين يغضوا أبصارهم ويمنعوها النظر الى مالا يحل النظر اليه لان العين مبدأ الزنا والنظر يزرع فى القلب الشهوة التى هى مجلبة لسائر الدنايا ومهلكة لصاحبها بما تجر اليه من أعظم المصائب وأكبر المعايب ولذا كان حفظ العين من الامور المهمة الدالة على جلالة قدر صاحبها ونزاهة نفسه وبعد همته وصلاح شيمته وقد حذر صلى الله عليه وسلم عن الاخذ فى أسبابه ونهى عن دواعيه سدًا لبابه فقال (اياكم والجلوس على الطرقات قالوا يارسول الله لابد لنا من مجالسنا نقعد فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان أبيتم الا المجالس فأعطوا الطريق حقها قالوا وماحق الطريق

يارسول

سورة | آية

فيما أمر به ومجانبة مانهى عنـه كثيرة لاتكاد تحصى ولذا اقتصرنا على هـذا النزر القليل منها فى هذا البـاب ليكون نموذجا للمستزيد والمسترشد المستفيد والله ولى التوفيق ومنه الرشد والفتح والاصابة

أدب المرء فى نفسه

اعلم أن أدب المرء فى نفسه أن يكون فى نفسه على أحسن صفات الكمال وأجمل الخلال فلا يصدر منه مايوجب الذم واللوم ولا يقع منه مايخل بالمروءة أو يقلل من قيمتـه أو يحط من قدره فلا تلقاه الا محمود الخصال ولا تراه الا شريف الشمائل جميل الخلال ان نطق صدق وان وعد وفى وحقـق وان اؤتمن لم يخن وان تمكن من فعـل محرم عف وكف وان رأى منكرا غـيره وان تكلم غض من صـوته وان مشى لم يختـل فى مشـيته وان رأى كبيرا وقره وان مر بلغو من القول أو الفعل تجنبه ان لم يقدر على دفعه وهكذا من كل خصلة حميدة وصفة جميلة وقد بين الله صنوف هـذه الآداب على أكمل وجه وأحسن حالة وانى ذاكر لك طرفا منها بمعونة الله تعالى وحسن توفيقه

(قال الله تعالى فى بيـان آداب غض البصر وحفظ الفـرج وعـدم التبرج بالزينـات وعـدم فعل أية شئ من دواعى الشهـوة أو إثارة الفتنة سواء كان ذلك للرجال أو النساء)

النور ٣٠ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ
ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ٣١ وَقُلْ
لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ
وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ
عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ

سورة	آية	
		ولما كانت متابعته صلى الله عليه وسلم والاقتداء به فى مثل هذه الأمور العظام والمواطن الصعبة التى لا يتحمل عبئها الا من تيقن بثواب الله ورحمته ورسخ ايمانه وكمل يقينه فلازم طاعته بكثرة ذكره قال الله تعالى (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) أى هذه الأسوة الحسنة للذين يرجون ثواب الله ولقاءه ورحمته فى اليوم الآخر والذين يذكرون الله كثيرا والآية وان كان سببها خاصا كما علمت الا أن العبرة بعموم اللفظ فالتأسى به صلى الله عليه وسلم ومتابعته فى كل ماجاء به حسنة فى كل حال
		(وقال تعالى فى الارشاد الى وجوب متابعته صلى الله عليه وسلم فى كل ماأمر به ونهى عنه وأن من خالف ذلك فله العقاب الشديد والعذاب الاليم)
الحشر	٧	وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ
		(ماتفيده هذه الآية الكريمة)
		تفيد وجوب متابعته صلى الله عليه وسلم فى كل ماجاء به بفعل كل ماأمر به وترك كل مانهى عنه وذلك لانه تعالى يقول (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) أى مهما أمركم به من الطاعات وفعل الخيرات فافعلوه ومهما نهاكم عنه من الخبائث والمنكرات فاجتنبوه لانه لا يأمر الا بخير ولا ينهى الا عن شر على أنه انما يأمر بامر ربه وينهى بنهى ربه فعدم متابعته صلى الله عليه وسلم فى كل ماجاء به أو بعضه مخالفة لأمر الله ونهيه ولا يجرأ على مخالفة الله ورسوله الا قليل الادب فاقد الحياء ولما أمر جل شأنه بالائتمار بأمره صلى الله عليه وسلم والانتهاء بنهيه أمر بتقواه وخوف من شدة عقوبته فقال (واتقوا الله ان الله شديد العقاب) أى اتقوه بامتثال أوامره وترك زواجره فانه شديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره وأباه وارتكب ماعنه زجره ونهاه هذا والآيات القرآنية الدالة على وجوب متابعته صلى الله عليه وسلم

فيما

سورة	آية	
		فقد ضل ضلالا مبينا) أى ومن يعص الله ورسوله فى أمر من الامور ومن ذلك عدم الرضا بقضائه وحكمه صلى الله عليه وسلم فقد ضل عن طريق الحق ضلالا ظاهرا واضحا لايخفى فان كان العصيان عصيان ردّ وامتناع عن القبول فهو ضلال كفر وان كان عصيان فعل مع قبول الأمر واعتقاد الوجوب فهو ضلال خطا وفسق وعلى كل حال فهو من الضلال وقلة الأدب معه صلى الله عليه وسلم بحالة لايصح لمؤمن ولا مؤمنة أن يتلبس بها و يكون عليها
		(وقال جل وعز فى بيان أن من الأدب معه صلى الله عليه وسلم حسن متابعته والتأسى به فى أقواله وأفعاله وأحواله)
الأحزاب	٢١	لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا
		(ماترشد اليه هذه الآية الكريمة)
		ترشد هذه الآية الكريمة الى لزوم الأدب معه صلى الله عليه وسلم بوجوب متابعته والتأسى به فى أقواله وأفعاله الا ماعلم أنه من خصوصياته صلى الله عليه وسلم كنكاح مافوق أربع نسوة وعدم زواج أزواجه بعده وغير ذلك من خصوصياته ولذا أمر الله تبارك وتعالى الناس بالتأسى به صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب فى صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه فقال للذين تضجروا وتزلزلوا واضطربوا فى أمرهم (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) أى اقتدوا به صلى الله عليه وسلم اقتداء حسنا وهو أن تنصروا دين الله وتوازروا رسوله ولاتتخلفوا عن نصرته وتصبروا على مايصيبكم كما فعل هو صلى الله عليه وسلم حيث كسرت رباعيته وجرح وشج وجهه وجاعت بطنه وأوذى بضروب الاذى فصبر وواساكم مع ذلك بنفسه فافعلوا أنتم كذلك مثل فعله واستنوا بسنته

سورة	آية	
الاحزاب	٣٦	وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا

النوع الثانى

﴿ متابعته صلى الله عليه وسلم فى كل ماجاء به عن ربه والنزول عند حكمه والرضا بقضائه ومن ذلك قول الله تعالى ﴾

وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا

﴿ ماتفيده هذه الآية الكريمة ﴾

تفيد هذه الآية الكريمة بيان ماأرشد الله اليه عباده المؤمنين من الادب وحسن المعاملة مع رسوله صلى الله عليه وسلم فاذا حكم على أحدهم بشئ فليس له أن يختار من أمره شيأ بل يجب عليه أن يجعل رأيه تبعا لرأيه عليه الصلاة والسلام واختياره تبعا لاختياره حتى يكون بذلك مؤمنا حقيقة كما قال تبارك وتعالى (فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) وقال عليه الصلاة والسلام (لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به) وذلك لان من لم ينزل على حكمه صلى الله عليه وسلم ولم يرض بقضائه اما لكونه يرى أن هذا الحكم منه صلى الله عليه وسلم وقع فى غير محله فهوظلم وجور فهو يمتنع عن قبوله لذلك وهذا نهاية الضلال والخسران واما لانه يرى أن حكمه عليه السلام وقع فى محله ولكن لايقبله عنادا وكبرا أو لانه لايوافق هواه وعلى كل فهو كفر والعياذ بالله ولذا شدد الله سبحانه على من لم يرض بحكمه صلى الله عليه وسلم واختار غير مااختاره بقوله (ومن يعص الله ورسوله

سورة	آيه	
		(الأدب الثالث) عدم النظر الى أزواجه صلى الله عليه وسلم فاذا اضطر الى سؤالهن عن حاجة يريد تناولها منهن فلا ينظر اليهن ولا يسألهن الا من وراء حجاب وستر فان ذلك أطهر لقلبه وقلوبهن من الريبة وخواطر السوء التى تعرض للرجال فى أمر النساء وللنساء فى أمر الرجال وأبعد للتهمة وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله (واذا سألتموهن متاعا فاسئلوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) وفى ذلك أدب لكل مؤمن وتحذير له من أن يثق بنفسه فى الخلوة مع من لا تحل له والمكالمة من غير حجاب لمن تحرم عليه فان مجانبة ذلك أحسن بحاله وأحصن لنفسه وأتم لعصمته
		(الادب الرابع) عدم زواج أزواجه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته أو فراقه لانهن أمهات المؤمنين ولا يحل للاولاد زواج الامهات وهذا الذى أفاده الله تعالى بقوله (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا) وقد أشار الله تعالى الى التغليظ فى ذلك وتشديد النكير على من ارتكبه بقوله (ان ذلكم كان عند الله عظيما) أى ان نكاح أزواجه صلى الله عليه وسلم من بعده كان عند الله ذنبا عظيما وجرما هائلا كبيرا وهذا من أعلام تعظيم الله لرسوله وايجاب حرمته حيا وميتا واعلامه بذلك مما يطيب نفسه ويسر قلبه
		ثم اعلم أن هذه الآداب وان كانت بالنسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة العمل والاتباع الا أنه لا بأس أن تكون كذلك بالنسبة لنا لان الله عز وجل ما ذكر ذلك فى القرآن الكريم مع علمه بأن هذه أمور قد فات وقتها الا ليرشدنا كيف يعامل بعضنا بعضا ويتأدب بعضنا فى حق بعض وكذا سائر القصص الموجودة فى القرآن فانها انما تذكر على سبيل الاعتبار والارشاد الى ما كان عليه الامم الدائرة وما كان يفعله الله سبحانه معهم عند ما كانوا يطيعون أو يعصون أو غير ذلك والله ولى التوفيق

آية	سورة

غير منتظرين ومرتقبين إناه أى نُضْجه واستواءه فان ترقب ذلك لايقع الا من سفلة الناس وأدنيائهم

وفى الآية دليل على حرمة التطفل وهو أن يترقب الشخص ولبمة أو يتحرى وقت أكل فلان من الناس و يتوجه اليه فى حينه فان ذلك مع مافيه من خسة النفس ودناءتها وسوء تربية صاحبها واتصافه بالشره والجشع لابد وأن يلحق صاحبه الذل والهوان لانه ربما طرده صاحب المنزل وألحق به من الهوان والتقريع والتوبيخ مالايرضى به الا أخس الناس نفسا وأسقطهم مروءة وأحطهم منزلة

(الادب الثانى) أنه اذا دعاهم النبى صلى الله عليه وسلم الى طعام فعليهم أن يبادروا الى اجابته و يدخلوا عليه ولكن بعد الاذن لهم به لان مجرد الدعوة لايكون اذنا كافيا فى الدخول وعليهم بعد ذلك اذاقضوا غرضهم من الاكل والشرب أن لايثقلوا بمكثهم بعد الاكل يتحدثون ويتسامرون فان ذلك مع مافيه من التضييق على أهل بيته وعدم تفرغهم لأعمالهم فيه أنه ربما كان صلى الله عليه وسلم مضطرا الى الخروج الى مهم ويخشى اذا مكث معهم أن تفوت منفعته وتضيع فائدته واذا خرج وتركهم فى المنزل يخشى أن يكون فى ذلك حطا من قدرهم واهانة لهم وأمرا لهم بالخروج بلطف فالواجب عليهم لذلك أن يكفوه مؤنة ذلك كله ولا يكلفوه فوق طاقته وهذا مالم يكن مكثهم بعد الاكل لمهم آخر يدعو الى ذلك فانه لابأس به حينئذ وهذا الذى أفاده الله تعالى بقوله (ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث) أى لايسوغ لكم الدخول بغير دعوة ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا دخلتم وأكلتم فتفرقوا ولاتمكثوا يستأنس بعضكم ببعض لاجل حديث يحدثه به

ثم بين جل شأنه علة النهى عن المكث بعد الاكل بقوله (ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم والله لايستحيى من الحق)

سورة	آية	
		ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا

(ماتفيده هذه الآية الكريمة وما تشتمل عليه من صنوف الآداب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم)

تفيد هذه الآية الكريمة وجوب احترامه صلى الله عليه وسلم وتوقيره وتعظيمه وتبجيله بما اشتملت عليه من الاحكام والآداب الشرعية التى أدب الله بها عباده المؤمنين التى يجب عليهم رعايتها بالنسبة لمقامه صلى الله عليه وسلم وتشتمل على أربعة آداب

(الاول) عدم دخول بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا باذنه فانها مظنة عدم التحفظ على مايجب التحفظ عليه فى غيرها ففى الدخول فيها بغير اذن منه صلى الله عليه وسلم اطلاع على عورات منازله وعدم رعاية حقوق أزواجه صلى الله عليه وسلم والتهجم عليهن فى بيوتهن وربما كانت احداهن مكشوفة بعض الاعضاء وذلك مما تأباه النفوس الأبية ولذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره ذلك ويتأذى منه كثيرا ولكن كان يكره أن ينهاهم عنه من شدة حيائه كما قال تعالى (ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيي منكم والله لايستحيي من الحق) ومازالوا كذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يكره منهم ذلك حتى أنزل الله (ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين إناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولامستأنسين لحديث) فصاروا لايدخلون بعد ذلك الا باذنه وبدعوته أى ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى الا باذن منه ومدعوين الى طعام حالة كونكم

سورة	آية	
		أولا تأذن وفي هذا التفويض له صلى الله عليه وسلم من رفع شأنه وعلو منزلته عند الله تعالى مالا يخفى ولما كان الاستئذان وان كان لعذر مسوغ لايخلو من شائبة تقديم أمر الدنيا على أمر الآخرة وهو اغتنام مجلسه صلى الله عليه وسلم أمره أن يستغفر لهم معللا ذلك بقوله (ان الله غفور رحيم) أى كثير المغفرة لفرطات عباده والرحمة بالتيسير عليهم بالغ فيهما الى الغاية التى ليس وراءها غاية
		وفى الآية الكريمة من المبالغة فى الحفاوة به صلى الله عليه وسلم مالايخفى حيث جعل سبحانه الاستئذان للذهاب عنه ذنبا محتاجا للاستغفار فضلا عن الذهاب بدون اذن ورتب الاذن منه على الاستئذان لبعض شأنهم لاعلى الاستئذان مطلقا ولاعلى الاستئذان لأى أمر مهما كان أوغير مهم ومع ذلك فقد علق الاذن على المشيئة وليس ذلك بالغريب فالرسول الله صلى الله عليه وسلم عند ربه مكانة دونها كل مكانة والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم
		(وقال تعالى فى النهى عن الدخول فى بيوته صلى الله عليه وسلم بغير اذنه وبدون دعوته والمكث فيها بعد الاطعام وتكليم أزواجه صلى الله عليه وسلم بغير حجاب وتزوجهن بعد وفاته صلى الله عليه وسلم)
الأحزاب	٥٣	يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ الَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ الَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ انَاهُ وَلَكِنْ اذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَاذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ انَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَاذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ

ذلكم

سورة	آية	

عما اجتمعوا له لعروض عذر لهم حتى يستأذنوه فى الذهاب فيأذن لهم به فان هم خالفوا ذلك وتسللوا من عنده خفية واحدا بعد واحد كان ذلك علامة على نفاقهم وعدم ثبات ايمانهم لأن الخروج من مجلسه صلى الله عليه وسلم بغير اذنه من أمارات عدم الاكتراث به وعدم مكانته فى قلوبهم وعدم رغبتهم فيما جاء به واجتمعوا لاجله وذلك من أعظم الجنايات وأكبرها ولذا جعل الله جل شأنه استئذانه صلى الله عليه وسلم عند ارادة الانصراف من مجلسه من علامات كمال الايمان فى قوله (ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) أى ومن لم يستأذن عند ارادة الانصراف فليس بكامل الايمان

ومن الآية الكريمة يؤخذ أدب المرؤس مع رئيسه وأدب المريد مع أستاذه وأدب المتعلم مع معلمه وأدب المصلين مع امامهم وأدب الرعية مع راعيهم فان مراعاة الادب معهم واعتبار حرمتهم من الواجبات فلا يبرمون أمرا دونهم ولا يرسمون لهم خطة الا اتبعوها ولا يأمرونهم بأمر الا بادروا بتنفيذه ولا ينصرفون من مجلسهم الا بعد استئذانهم وبالجملة يفعلون كل مافيه تبجيلهم وتعظيمهم واحترامهم ويتركون كل مافيه تحقيرهم واهانتهم

و بعد أن بين جل شأنه كيف يعاملونه صلى الله عليه وسلم ويتأدبون معه عند ارادة الانصراف من مجلسه أمره عليه الصلاة والسلام أن يأخذهم باللين ويعاملهم بالرفق ويصانعهم بكل مافيه رضا نفوسهم وجلب محبتهم له مما يكون داعية الألفة والتوادد فاذا استأذنه أحدمنهم أن يخرج من المجلس لعروض عذر له أذن له ان شاء ومنعه ان شاء حسبما تقتضيه المصلحة التى يراها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا معنى قوله تعالى له صلى الله عليه وسلم (فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم) أى فاذا طلبوا منك الاذن فى أن يخرجوا من مجلس الاجتماع فأنت مخير بين أن تأذن لهم

سورة	آية	
		بها الجنة وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لايلقى لها بالا يهوى بها فى النار أبعد مابين السماء والأرض) ثم ندب الله تعالى الى خفض الصوت وحث عليه ورغب فيه فقال (ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم) أى ان الذين يخفضون أصواتهم عند رسول الله اجلالا له وتعظيما أولئك الذين أخلص الله قلوبهم للتقوى وجعلها لها أهلا ومحلا وكان جزاؤهم لذلك مغفرة وأجرا عظيما جعلنا الله منهم بمنه وكرمه آمين
		(وقال جل ثناؤه فى تعليم عباده المؤمنين كيف يتأدبون مع رسوله صلى الله عليه وسلم لاسيما اذا وجدوا معه فى المجتمعات العمومية)
النور	٦٢	انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم
		(ماتشير اليه هذه الآية الكريمة)
		تشير هذه الآية الكريمة الى ماأرشد الله اليه عباده المؤمنين من الآداب نحو الرسول عليه الصلاة والسلام فى حال ماإذا كانوا مجتمعين معه على أمر مهم يجب اجتماعهم فى شأنه كالجمعة والجماعة والعيد والجهاد والتشاور فى أمر وغير ذلك من الامور الداعية إلى الاجتماع لغرض من الاغراض وذلك بانهم لاينفرقون عنه صلى الله عليه وسلم ولا ينصرفون

آية	سورة

عليه وسلم دون الرأى وهكذا من كل شئ ينافى احترامه صلى الله عليه وسلم وتعظيمه

وبعد أن نهى جل شأنه عن التقدم بين يدى الله ورسوله بشئ ينافى الأدب فى حقه صلى الله عليه وسلم أمر بالتقوى ومراقبة جانب الله تعالى فى كل شئ ومن ذلك الترك للتقدم المنهى عنه فيما تقدم معللا ذلك بأنه سبحانه سميع لأقوالنا عليم بنياتنا لاتخفى عليه من ذلك خافية فقال (واتقوا الله ان الله سميع عليم) أى ومن كان كذلك فمن حقه أن يتقى ويراقب

والى الثانية وهى الآداب القولية اشار الله تعالى بقوله (ياأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لاتشعرون) أى لاترفعوا أصواتكم عند محادثتكم له صلى الله عليه وسلم ومكالمتكم معه الى حد يكون فوق مايبلغه صوته صلى الله عليه وسلم لان ذلك يدل على قلة الاحتشام وترك الاحترام له صلى الله عليه وسلم لأن خفض الصوت وعدم رفعه من لوازم التعظيم والتوقير عادة وليس المراد مايقصده الشخص من ذلك على سبيل الاستخفاف فانه كفر والعياذ بالله وانما المراد أن يكون الصوت فى نفسه غير مناسب لما يقع فى مواقف من يجب تعظيمه وتوقيره ولا تجهروا له بالقول كما يجهر أحدكم لاخيه اذا كلمه لان ذلك انما يكون بين الأكفاء الذين ليس لبعضهم على بعض مزية توجب احترامه وتوقيره مع مافيه من الجفاء فى مخاطبته صلى الله عليه وسلم وعدم الادب معه ثم علل سبحانه ماذكره بقوله (أن تحبط أعمالكم وأنتم لاتشعرون) أى انما نهيناكم عن رفع الصوت عنده والجهر له بالقول كما يجهر أحدكم لاخيه اذا كلمه خشية أن يغضب من ذلك فيغضب الله تعالى لغضبه فيحبط عمل من أغضبه وهو لايشعر ولايدرى كما جاء فى الصحيح (ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى لايلقى لها بالا يكتب له

آية	سورة	
		ومن ذلك يتنوع الادب معه صلى الله عليه وسلم الى نوعين
		النوع الاول
		﴿هو ما أفاده الله تعالى بقوله﴾
١	الحجرات	يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ اِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَاتَشْعُرُونَ ٣ اِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ
		﴿ ماتشتمل عليه هذه الآيات الكريمات من صنوف الآداب معه صلى الله عليه وسلم ﴾
		تشتمل هذه الآيات على صنوف الآداب التى أدب الله بها عباده المؤمنين فيما يعاملون به نبيه صلى الله عليه وسلم من الاجلال والتعظيم والتبجيل والتكريم سواء كانت هذه الآداب فعلية أوقولية والى الاولى أشار الله تعالى بقوله (ياأيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم) أى لاتسرعوا فى شئ من الاشياء بين يديه أى قبله بل كونوا تبعا له فى كل الامور ومن ذلك عدم الاسراع فى الجواب عن مسئلة جرت بين يديه وعدم الحكم الا تبعا لسنته صلى الله

عليه

آية	سورة

المستقبل أحبه الله كما قال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) ومن أحبه الله منحه الفضل الجزيل والخير الجليل وأعطاه من الرضوان والكرامة والخير العميم فى دار النعيم جعلنا الله ممن لازم طاعته ومنح رضوانه وكرامته آمين

ومن تفحص الآيات القرآنية الآمرة بالتقوى والحاضة على امتثال أوامر الله تعالى واجتناب محارمه مما فيه أكمل الآداب وجدها كثيرة لا تكاد تحصى فاكتفينا منها هنا بالنزر القليل ليقاس الغائب على الشاهد ولان ماذكر فيه كفاية للمسترشد وافادة للمستفيد والله ولى الرشد والتسديد

الادب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

اعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم من يجب احترامه وتبجيله وتوقيره لانه صلى الله عليه وسلم هو السبب فى هداية الخلق وارشادهم الى سعادتهم الدنيوية والاخروية ورفعهم من حضيض الشقاوة الى أوج السعادة واخراجهم من ظلمة الكفر الى نور الايمان مع مقاساة المشقات والمتاعب فى ذلك وليس من العدل والمروءة أن يقابل صلى الله عليه وسلم تجاه ذلك بغير كمال التبجيل وتمام الاحترام والتعظيم والادب معه بكل وسائله سواء كان بالفعل أو بالقول

ولما كان علو مقامه صلى الله عليه وسلم وجليل مقداره بالمكانة التى قلما يمكن لاحد أن يقوم بما يجب لها من الآداب بنفسه سن الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين من الآداب ما به يعرفون كيف يعاملونه صلى الله عليه وسلم ويتأدبون معه سواء كان ذلك من جهة عدم فعل ما يكرهه بين يديه أو الاستعلاء عليه فى كلام أومشى او دخول بيته بغير اذنه أو غير ذلك أومن جهة طاعته ولزوم متابعته والنزول عند حكمه والرضا بقضائه أو غير ذلك

سورة	آية	
		﴿ ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة ﴾
		ترشد هذه الآية الكريمة الى الوجوه المستجمعة لانواع الأدب مع الله تعالى وهى ثلاثة الاول اجتناب محارمه تعالى وترك مناهيه وهذا هو المراد من قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله) الثانى طلب التقرب اليه بجميع أنواع البر والخير والطاعات والعبادات وترك المعاصى وهذا هو المراد من قوله تعالى (وابتغوا اليه الوسيلة) الثالث مجاهدة النفس فى سبيله تعالى وهو شرائعه التى شرعها وسنها لعباده وذلك بأن يروضها على فعل الخيرات وعمل الطاعات ويكبح زمامها عن الشهوات والمنهيات وقد وعد جل شأنه من تأدب معه بهذه الآداب فاجتنب محارمه وترك مناهيه وطلب التقرب اليه بالطاعات والعبادات وجاهد نفسه بكفها عن كل ماتشتهيه ومنعها عما تبتغيه بالفلاح والسعادة العظيمة الخالدة المستمرة وذلك بقوله (لعلكم تفلحون)
		﴿ وقال جل ذكره فى بيان أن طاعته تعالى وطاعة رسوله ومراقبته والخشية منه سبب الفلاح والفوز بالسعادة الابدية ﴾
النور	٥٢	وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ
		﴿ ماترشد اليه هذه الآية الكريمة ﴾
		ترشد الى أن طاعة الله تعالى ورسوله والخشية من الله تعالى والخوف منه فيما مضى من الذنوب واتقاءه بعدم وقوعها فى المستقبل سبب الفوز والسعادة الابدية والامن من كل شر فى الدنيا والآخرة لان من أطاع الله ورسوله واتبع ماأمرا به واجتنب مانهيا عنه وخشى الله تعالى وخاف عقابه وندم على مافعله من الذنوب وراقب جانبه حتى لايقع منه ذنب فى

سورة	آية	
		بمجامع فقد التمييز وصحة الادراك فى كل والله ورسوله أعلم
		﴿ وقال تبارك اسمه فى بيان أن التقوى تكون سببا فى تكفير السيئات وغفران الذنوب وتنوير البصائر حتى يمكن صاحبها أن يفرق بين الحق والباطل ﴾
الانفال	٢٩	يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّآتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ
		﴿ ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة ﴾
		ترشد هذه الآية الكريمة الى أن اتقاء مخالفة أوامر الله تعالى واجتناب مناهيه سبب فى رضا الله تعالى وجلب رضوانه ولا جرم أن من رضى الله عنهم رزقهم من ثبات القلوب وتنوير البصائر وحسن الهداية ما يفرقون به بين الحق والباطل عند الالتباس وكفر عنهم ذنوبهم بأن يمحوها عنهم بالكلية فلا يؤاخذهم عليها وغفرها بأن يسترها من الخلق وناهيك بمن رزق رضوان الله تعالى ومنح المزيد من كرامته فانه يفوز بالسعادة الابدية ويعطى الفضل الجزيل الجسيم لانه جل شأنه صاحب الفضل العظيم
		﴿ وقال جل ثناؤه يأمر بالتقوى ويحث على طلب التقرب اليه بأنواع الطاعات مبينا ما يترتب على ذلك من الفلاح والسعادة ﴾
المائدة	٣٨	يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

آية	سورة

يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ

(معنى هاتين الآيتين الكريمتين وما تشيران اليه)

يقول الله تعالى آمرا عباده بتقواه ومخبرا لهم بما يستقبلونه من هول يوم القيامة وزلزالها وأحوالها (ياأيها الناس اتقوا ربكم الآية) أى ياأيها الناس احذروا عقاب ربكم بفعل ماأمركم به من الواجبات وترك مانهاكم عنه من المحرمات لانكم انفعلتم ذلك أمنتم من الفزع يوم زلزلة الساعة أى اضطرابها الاضطراب الشديد فيحصل للنفوس فيه من الرعب والفزع مالا يُقدر قدره وهذا الذى أشارله الله تعالى بقوله (ان زلزلة الساعة شئ عظيم) أى أمر عظيم وخطب جسيم وبعد أن بين جل شأنه فظاعة هذا اليوم وعظم هوله أخذ يبين أحواله وما يحصل فيه من نتائج تلك الاهوال فقال (يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى) أى وقت رؤيتكم لها تذهل كل مرضعة عن رضيعها وتدهش عنه لهول ما ترى وتضع كل صاحبة حمل حملها قبل تمامه لشدة الهول أيضا وترى الناس سكارى أى تظنهم كذلك لشدة مادهمهم من الامر الذى قدصاروا فيه فتراهم قددهشت عقولهم وغابت أذهانهم فمن رآهم ظن أنهم سكارى وماهم بسكارى فى الواقع ونفس الامر ولما نفى سبحانه عنهم السكر أوضح السبب الذى من أجله شابهوا السكارى فقال (ولكن عذاب الله شديد) أى فبسبب هذه الشدة والهول العظيم طاشت عقولهم واضطربت أفهامهم وصاروا كالسكارى

بجامع

سورة	آية	
		الفاسقون) أى الخارجون عن طاعة الله تعالى الخاسرون يوم القيامة كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون)
		﴿وقال جل شأنه فى الحث على التقوى وبيان ما يترتب عليها من الفوز العظيم والتوفيق لصالح الاعمال وتكفير الذنوب والخطايا﴾
الاحزاب	٧٠	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ٧١ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا
		﴿معنى هاتين الآيتين الكريمتين والغرض المقصود منهما﴾
		المقصود منهما حث المؤمنين على تقوى الله تعالى وأن يعبدوه عبادة من كانه يراه وأن يقولوا قولا سديدا أى مستقيما لا اعوجاج فيه ولا انحراف ووعدهم أنهم ان فعلوا ذلك أثابهم عليه أجرا عظيما ومنحهم من كرمه فضلا جزيلا وخيرا عميما وذلك بأن يصلح لهم أعمالهم أى يوفقهم للاعمال الصالحة وأن يغفرلهم الذنوب الماضية وما يقع منهم فى المستقبل يلهمهم التوبة منه وبعد أن حث جل شأنه على التقوى و بين ما يترتب عليها من التوفيق لصالح الاعمال وتكفير الذنوب قال (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) أى ظفر بالخير ظفرا عظيما سواء فى الدنيا أو فى الآخرة
		﴿وقال جل وعز يحث على التقوى ويشير الى أنها أعظم الحصون وأنفع الوقايات لصاحبها يوم زلزلة الساعة﴾
الحج	١	يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ٢

سورة	آية	
		علمك باطلاعه عليك فما أشد وقاحتك وأقل حياءك يا نفس لو واجهك عبد من عبيدك بل أخ من اخوانك بما تكرهينه كيف يكون غضبك عليه ومقتك له لاجرم أنك تعاقبينه أشد العقاب وتخافين أنك لو تجاوزت عنه لجر ذلك الى مالا تحمد عاقبته فكيف مع ذلك تتعرضين لمقت الله تعالى وغضبه وشديد عقابه فان كنت مغترة بكرم الله تعالى وفضله واستغنائه عن طاعتك وعبادتك فما بالك لاتعولين على كرم الله فى مهمات دنياك فاذا قصدك عدو فلم تستنبطين الحيل فى دفعه ولا تكلينه الى كرم الله تعالى واذا أرهقتك حاجة الى شهوة من شهوات الدنيا مما لاينقضى الا بالدينار والدرهم فما بالك تنزعين الروح فى طلبها وتحصيلها فلم لاتعولين على كرم الله تعالى حتى يدلك على كنز أو يسخر لك عبدا من عبيده فيحمل اليك حاجتك من غير سعى منك ولا طلب أفتحسبين أن الله كريم فى الآخرة دون الدنيا وهكذا من مثل هذه التوبيخات فان حاسب نفسه وعاقبها بمثل هذه العقوبات عند وجود تقصير منها تمت له أسباب السعاده وكانت له الحسنى وزياده أما اذا أهملها سهل عليه مقارفة المعاصى وأنست بها نفسه وعسر عليه فطامها وكان ذلك سبب هلاكه والى هذه المحاسبة بهذه الكيفية يشير الله تعالى بقوله (ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) أى حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وانظروا ماذا ادخرتم لها من الاعمال الصالحة يوم عرضكم على ربكم واعلموا أن الله تعالى عالم بجميع أحوالكم وأعمالكم لا تخفى عليه منكم خافية فيجازيكم عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر
		(الثالث) الحث على مداومة ذكر الله تعالى وهو قوله تعالى (ولاتكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون) أى ياأيها الذين آمنوا لاتنسوا ذكر الله تعالى فينسيكم العمل الصالح الذى ينفعكم فى معادكم فان الجزاء من جنس العمل ولهذا قال تعالى (أولئك هم

الفاسقون)

سورة	آية	
		فقال
الحشر	١٨	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ١٩ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ

(ماترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان)

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الى ثلاثة أمور (الاول) الحث على التقوى وهى امتثال ماأمر الله به واجتناب مانهى عنه وهو قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله)

(الثانى) الحث على العمل الصالح ومحاسبة الانسان نفسه قبل أن يحاسب والنظر فيما ادخره من الأعمال الصالحة ليوم معاده وعرضه على ربه ومناقشته الحساب فيطالبها أولا بتصحيح الجواب عن جميع ماتكلم به طول نهاره وهكذا عن نظره بل عن خواطره وأفكاره وقيامه وقعوده وأكله وشربه ونومه حتى عن سكوته أنه لم سكت وعن سكونه لم سكن فاذا وجدها مع ذلك اقترفت ذنبا أوارتكبت تقصيرا فى حق الله تعالى وجب عليه أن يعاقبها وعقوبتها إما أن تكون بأنه اذا أكل لقمة شبهة بشهوة نفس عاقبها بالجوع واذا نظر بعينه الى محرم عاقبها بمنع النظر وهكذا يعاقب كل طرف من أطراف بدنه بمنعه عن شهواته واما أن يكون بتوبيخها الشديد أو باللوم عليها اللوم الصارم بأن يقول لها يانفس أى شئ جرأك على معصية الله انكانت جراءتك على معصية الله لاعتقادك أنه لايراك فما أعظم كفرك وأشد جهلك وان كان مع

آية	سورة

صلى الله عليه وسلم ومنعهم من استراق السمع (وانا لاندرى أشر أريد بمن فى الارض أم أراد بهم ربهم رشدا) فتراهم عند اسناد الشر بنوا الفعل للمجهول ولم يعينوا المريد له مع اعتقادهم بأن المريد له هو الله تعالى وعند اسناد الخير صرحوا بمريده فقالوا أم أراد بهم ربهم رشدا وفى ذلك أيضا من الادب مالا يخفى ومثل هذا النوع من الآداب كثير فى القرآن فعليك بتتبعه فيه ان أردت استقصاءه والاستكمال منه

(النوع الثانى) امتثال أوامره جل شأنه واجتناب نواهيه ومراقبته فى كل عمل من أعماله بل وفى سائر حركاته وسكناته فان كان هذا العمل عمل طاعة كانت المراقبة باستحضار ذاته العلية وتمثيل عظمته تعالى بقلبه وانبعاث الخشية والخشوع من جميع جوارحه واطمئنان نفسه بالمثول بين يديه واستخلاص قلبه من جميع الشواغل الدنيوية وملاحظة أنه يراه فى جميع حركاته وسكناته وهو معنى الاحسان الذى ذكره صلى الله عليه وسلم فى قوله (الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك)

وان كان هذا العمل عمل معصية راقب أن عليه رقيبا مهيمنا قريبا يعلم ماتوسوس به نفسه ويخفيه صدره ويبصر دبيب النمل فى الليلة الظلماء ويسمع الهمس وما توسوس به النفوس فى البيوت المغلقة الابواب فعند ذلك يخشع قلبه وتستكين جوارحه ويتمثل الخوف فى قلبه فيجتنب القبيح بعد العزم عليه ويحجم عن المنكر بعد الوصول اليه وبذلك تتم له السعادة الحقيقية دنيوية وأخروية

ويجمع المراقبة بقسميها كلمة (التقوى) فانها اسم جامع لجميع أنواع البر وكافل لصاحبه كل خير ومبعد عنه كل شر ولذا أمر الله جل شأنه فى القرآن الكريم بالحث عليها مبينا مايترتب عليها من حميد المآب وجزيل الثواب ورفيع الدرجات وعظيم الخيرات فى الجنات

فقال

سورة	آية	

تمهيد

اعلم أن ماسنذكره من الآداب الشرعية والاخلاق الفاضلة الزكية هو الذى يجب الاخذ به وبه يبلغ الانسان كماله ويصل به الى مافيه سعادته فى الدنيا والآخرة سواء وافقه عليه الناس أو لم يوافقوه ولا ينبغى أن يمنعه عن المحافظة على تلك الآداب الشرعية استهزاء الناس به وعيبهم له أو كون أحدهم على خلاف مايتحلى به فانه اذا تأمل فى أحوال كل من خالف هذه الاصول الادبية والآداب الشرعية يجدهم أشقياء تعساء ولنهم بشقائهم واختلال أعمالهم وسوء تصرفهم سبب فى شقاء غيرهم أيضا - فعلى الانسان الذى يطبع على محبة الله ويجتهد فى اسعاد نفسه وغيره ورضا ربه أن يوفق بين أعماله وبين هذه الآداب الشريفة وان عارضه فى ذلك من حوله من العالم واليك هذه الآداب مبتدأة باشرفها وهو

الادب مع الله عز وجل

هو نوعان (الاول) مايستعمله ذوو الذوق السليم والقلب الحكيم فى مخاطباتهم مع الله عزوجل وعند نسبتهم الاشياء اليه فمن ذلك قول الله تعالى حكاية عن سيدنا ابراهيم عليه السلام (الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين) فتراه نسب الخلق والهداية والاطعام والسقيا اليه تعالى ونسب المرض الى نفسه فى قوله واذا مرضت فهو يشفين وكان مقتضى السياق أن يقول واذا أمرضنى فينسب المرض الى الله تعالى كما نسب اليه غيره من الافعال مع اعتقاده بأن الكل منه وفى العدول عن ذلك من الادب مالايخفى

ومن ذلك أيضا قوله تعالى حكاية عن مؤمنى الجن عند مبعث الرسول

سورة	آية	
		النفوس وكثرة وقوعها فيما بين الناس فمثل هذه المعاصي لايكفي في زجر النفوس عنها وتباعدها منها مجرد الترهيب بعذاب الآخرة والترغيب بثوابها والحث على الصفات الحميدة والاخلاق الجميلة بل لابد من ملامة شديدة وإيلام شديد يكون من ورائه ردع تلك النفوس عما تريده وزجرها عما تشتهيه (كالزنا) فان النفوس لها ميل شديد اليه ورغبة عظيمة فيه مع ما فيه من المفاسد والمضار التي يجرها ازدحام كثيرين على واحدة ذلك الامر الذي ربما أفضى الى حصول مقاتلات ومحاربات بين الناس وبعضهم واختلاف الانساب والتعدي على حقوق الغير والانتهاك لحرمته وفي ذلك من المفاسد مالا يخفى (وكالسرقة) فان كثيرا من الناس لايجد مايكفيه من الكسب فيعمد الى السرقة ويكون حينذاك عرضة لان يقتل أو يقتل (وكقطع الطريق) فانه لايستطيع المظلوم المنع عن نفسه وماله (وكشرب الخمر) فان لها شرها وفيها زوال العقل الذي هو أفضل نعمة على الانسان وبه صلاح معاده ومعاشه (وكالقذف) فان المقذوف يتأذى أذى شديدا ولايقدر على دفع القاذف بالقتل ونحوه لانه ان قتل يقتل به وان ضرب يضرب به .
		فمثل هذه الامور الخمس مع شغف النفوس بها وضراوتها عليها وكثرة ضررها رأى الشارع الحكيم أنه لايكفي في زجر النفوس عنها الا الايلام الشديد والعذاب الاليم فشرع لكل منها عذابا حسب اختلافها في المفسدة قوة وضعفا . والغرض الذي نتوخاه الآن ونرمي اليه هو الامر الاول من هذين الامرين وهو مابه تتهذب النفوس وتتكمل العقول من الآداب الفاضلة والاخلاق الكاملة
		ولما كان أفضل الآداب آداب القرآن التي أدب الله بها نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وجعل لنا فيه الأسوة الحسنه وفيها العبرة المستحسنه كان مانتوخى بيانه من الآداب هو ما في هذا الكتاب الكريم وما تجمل به من الآداب هذا السيد العظيم

سورة	آية

أى يزيلوا وسخهم (وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق) والله ورسوله أعلم
وهذا آخر القسم الثانى من هذا السفر الجليل ولله الحمد والمنة
ويليه القسم الثالث فى الآداب ومكارم الاخلاق

القسم الثالث
فى
الآداب
ومكارم الاخلاق

اعلم أن من النفوس ما هو مستعد بفطرته الى الكمالات وبلوغ أعلى الدرجات ومثل هذه يكفى فى استصلاح شأنها وتقويم ما اعوج منها وزوال مابها من الاعتلال ووقوفها عندحد الاعتدال تهذيبها وتكميلها بما يبث فيها من الاخلاق الفاضلة والصفات الكاملة - ومنها ما هو مستعد بفطرته للرذائل الدنيه والاخلاق البهيميه ومثل هذه مع نبوها عن التهذيب وعدم قبولها للكمالات لايكفى فى استصلاحها مجرد الترغيب والترهيب وبث الاخلاق الفاضلة فيهالعدم قبولها ذلك - لذلك شرع الشارع الحكيم وهو الله جل شأنه الاحكام الشرعية حسب استعداد تلك النفوس فجعل منها ما به ترتقى النفوس وتتهذب الاخلاق وتتكمل العقول وذلك مثل الصلاة والصوم والزكاة والحج وسائر العبادات كما سبق لك بيانه والاخلاق الفاضلة مثل الصدق والامانة والوفاء بالعهد وانجاز الوعد والشجاعة والصبر والاذعان للحق والحلم والتواضع والمروءة وغير ذلك من الفضائل ومنها مابه يقصد حفظ الهيئة الاجتماعية وحسن نظامها كالحدود والزواجر والعقوبات وذلك فى المعاصى التى جمعت وجوها من المفاسد بأن كانت فسادا فى الارض وكان لها داعية فى النفوس لاتزال تهيج فيها وقلما يمكن الاقلاع عنها لتمكنها فى

سورة	آية	
		فج عميق) أي ناد يا ابراهيم في الناس داعيا لهم الى الحج الى هذا البيت الذى أمرناك ببنائه يأتوك رجالا أي ماشين على أرجلهم وراكبين على كل بعير ضامر مهزول بما انتابه من وعثاء السفر من كل فج عميق أى طريق بعيد
		ولما أمر جل شأنه نبيه ابراهيم عليه السلام أن يدعو الناس الى حج البيت أشار الى أن ذلك ليس بالعبث وانما هو لأمرين الأول ليشهدوا فيه منافع لهم والثانى أن يذكروا الله فى أيام النحر فقال فى الامر الاول (ليشهدوا منافع لهم) أى ليحضروا منافع لهم وهى أعم من أن تكون دنيوية أو أخروية فالاخروية هى ما فيه من الاذكار والصلوات والتسبيحات ورضوان الله تعالى ورفعة شأن الاسلام باجتماع أهله من سائر النواحى والاقطار فى بقعة واحدة ليظهر دين الله فوق الاديان كلها وتظهر عزة المسلمين وعدتهم وشوكتهم وقوتهم ومنعتهم الى غير ذلك والدنيوية هى ما فيه من التعارف والتآلف والتوافق بين الممالك العظيمة والاختلاط والارتباط بين الأمم الاسلامية الكبيرة وما يصيبون فيه من لحوم البدن والذبائح والتجارات الى غير ذلك من المنافع والفوائد التى سبقت الاشارة الى بعض منها فى الكلام على الحج
		وقال فى الامر الثانى (ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير) أى وليذكروا اسم الله على هداياهم وضحاياهم التى يذبحونها فى أيام معلومات وهى أيام النحر ليأكلوا منها ويطعموا البائس الذى به البؤس من شدة الفقر
		ثم أمر جل شأنه الحجاج بعد الاتيان بمناسك الحج وأعماله وخروجهم من الاحرام أن يزيلوا ما عليهم من الاوساخ والادران ويوفوا بما نذروه من أعمال البر والخير ان كانوا نذروا شيأ ثم بعد ذلك كله يطوفون بالبيت طواف الافاضة وهو طواف الزيارة الذى هو ركن من أركان الحج وبه تمام التحلل ويكون هذا الطواف يوم النحر فقال (ثم ليقضوا تفثهم)

اى

سورة	آية	
		على الصيد بعد ما نهى عنه وقوله تعالى (عفا الله عما سلف) يعنى فى جاهليتكم من قتلكم للصيد فلم يؤاخذكم به (ومن عاد) أى منكم الى ما نهى عنه من قتل الصيد مرة ثانية (فينتقم الله منه) فى الآخرة فيعذبه بذنبه (والله عزيز ذو انتقام) ممن عصاه وجاوز حدوده وخالف أمره
		(وقال تبارك اسمه فى بيان فضل الحج بما اشتمل عليه من الفوائد والمنافع وذكر الله تعالى واطعام الفقراء والمساكين وبيان طواف الزيارة وهو أحد أركان الحج وآخر أعماله)
الحج	٢٧	وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ٢٨ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ٢٩ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ
		(ما تشير اليه هذه الآيات الكريمات)
		تشير الى بيان فضل الحج وعظم مكانته عند الله تعالى وشدة رعايته له وعنايته به حيث أمر نبيه ابراهيم عليه السلام بعد فراغه من بناء البيت أن ينادى فى الناس ويدعوهم الى حجه ووعده بأنه ان دعاهم اليه أتوه مشاة وركبانا من سائر بقاع الارض وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله (وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل

سورة	آية	
		خوفه وخشيته بالكلية ومن كان كذلك فهو جدير بمقت الله تعالى وحلول عذابه الاليم به وبعد هذا وذاك فقد نص جل شأنه على حرمة قتل الصيد فى حال الاحرام ونهى عن تعاطيه فقال (ياأيها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وأنتم حرم) لا فرق فى ذلك بين مايؤكل وما لايؤكل ولا يستثنى من ذلك الاماثبت فى الصحيحين من قوله صلى الله عليه وسلم (خمس فواسق يقتلن فى الحل والحرم الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور) وألحق بعض العلماء بالكلب العقور الذئب والسبع والنمر والفهد لأنها أشد ضررا منه ثم بين جل شأنه مايلزم مرتكب القتل من الفدية فقال (ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ماقتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أوكفارة طعام مساكين أوعدل ذلك صياما) يعنى أن من قصد قتل الصيد وهو محرم وقتله فعليه مثله من الحيوان الانسى كالنعامة مثلا والغزالة وبقرة الوحش ففى الأولى بدنة وفى الثانية عنز وفى الثالثة بقرة انسية وهكذا لوجود المثلية فى كل والمماثلة المعتبرة المماثلة فى الخلقة لافى القيمة أما اذا لم يكن مثليا فجزاؤه قيمته وقد بينت السنة أن العمد ليس بشرط بل المخطئ والناسى كذلك لان قتل الصيد اتلاف والاتلاف مضمون فى العمد والنسيان والخطا غير أن المتعمد ملوم والمخطئ غير ملوم ويقدر المثلية فى المثلى والقيمة فى غيره عدلان من المسلمين وبعد حكمهما به يفعل به مايفعل بالهدى من الارسال الى مكة وايصاله الى الحرم ليذبح هناك ويتصدق به على مساكينه وان تعسر عليه وجود مثله أوقيمته فعليه أن يطعم مساكين مايساوى قيمة الجزاء لكل مسكين مد فان لم يجد فعليه عدل ذلك صياما أى قدره أى فعليه أن يصوم عن اطعام كل مسكين يوما وقد حكم الله عليه بذلك (ليذوق وبال أمره) أى ليدرك مشقة سوء عاقبته بما انتهكه من حرمات الله واجترائه

آية	سورة

آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ

﴿ماتفيده هاتان الآيتان الكريمتان﴾

تفيد هاتان الآيتان الكريمتان حرمة الصيد فى الحرم سواء كان الصيد بالايدى أوبالرماح وقداختبرالله المؤمنين بذلك لتظهر طاعة المطيع منهم من غيره وهذا ماأشار له الله تعالى بقوله (ياأيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشئ من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب) أى ياأيها الذين آمنوا والله ليعاملنكم الله معاملة من يختبركم ليتعرف حالكم بشئ من صيد البر لافرق فى ذلك بين صغاره التى يمكن صيدها بالايدى لعدم قدرتها على الفرار وبين كباره التى تطيق الفرار فلا يمكن صيدها الا بالرماح وذلك ليتميز من يخافه منكم بالغيب ممن لايخافه وبعد أن بين جل شأنه حرمة الصيدفى الحرم وأن ذلك ابتلاء منه تعالى بين أن من يجترئ على مخالفة أمر الله تعالى ويصطاد فى الحرم له عذاب أليم فقال (فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم) أى فمن تجاوز حد الله تعالى وتعرض للصيد فى الحرم بعد مابين الله أنه حرام فله عذاب أليم لان التعرض للصيد فى الحرم بعد اعلام الله وانذره مكابرة محضة وعدم مبالاة بتدبير الله تعالى وخروج عن طاعته وانخلاع عن

سورة	آية	
		الاظفار وغيرها وكذا الجدال وهو المراء والخصومة بأن تمارى صاحبك حتى تغضبه وتخصيص النهى عن الفسوق والمراء بالحج مع أن النهى عنهما عام فى جميع الاوقات والازمان لانهما فى الحج أسمج وأقطع منهما فى غيره ولذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه) وبعد أن نهى جل شأنه عن اتيان القبيح قولا وفعلا حث على فعل الجميل وأخبر أنه عالم به وسيجزى عليه أوفر الجزاء يوم القيامة فقال (وماتفعلوا من خير يعلمه الله) وبعد النهى عن القبيح والحث على الجميل أخذ فى الامر باتخاذ الزاد فقال (وتزودوا) أى اتخذوا من الزاد ما يبلغكم اسفركم وذلك لان بعض العرب كانوا يقولون كيف نحج بيت ربنا ولايطعمنا فكانوا يحجون بلازاد و يقولون نحن متوكلون على الله سبحانه ثم يقدمون فيسألون الناس ويكونون كلا عليهم فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم بأخذ الزاد معهم ولما أمرهم بالزاد للسفر فى الدنيا أرشدهم الى زاد الآخرة وهو استصحاب التقوى اليها فقال (فان خير الزاد التقوى) أى ومنها أن لايكون الحاج عالة على غيره وبعد أن عمم الامر بالتقوى لسائر العباد عمد الى تخصيص ذوى العقول والافهام منهم فقال (واتقون ياأولى الالباب) لانهم هم القابلون لاوامر الله الناهضون بتنفيذها
		﴿وقال جل ذكره فى بيان بعض محظورات الحج و بيان كفارته مع زيادة التغليظ والتشديد على مرتكبه بعد علمه أن الله تعالى نهى عنه﴾
٩٧	المائدة	يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٩٨ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ

آمنوا

سورة	آية	
		﴿وقال جل ثناؤه فى بيان أشهر الحج ومحظوراته﴾
البقرة	١٩٦	أَلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ

﴿ماتفيده هذه الآية الكريمة﴾

تفيد هذه الآية الكريمة أمرين (الاول) بيان وقت الحج وهو ماأفاده الله تعالى بقوله (الحج أشهر معلومات) أى وقت عمله أشهر معلومات وهى شوال وذو القعدة وعشر ذى الحجة وصح اطلاق الجمع على شهرين و بعض الثالث للتغليب كما تقول العرب رأيته العام و رأيته اليوم وانما وقع ذلك فى بعض العام واليوم ومن هذا التوقيت يؤخذ عدم جواز الاحرام بالحج قبل أشهر الحج فمن أحرم به قبلها لم يجزئه كمن دخل فى صلاة قبل وقتها

(الثانى) النهى عن الرفث والفسوق والجدال وهو ما أفاده الله تعالى بقوله (فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج) أى فمن ألزم نفسه وأوجب عليها الحج فى هذه الاشهر بالشروع فيه بالنية قصدا باطنا وبالاحرام فعلا ظاهرا وبالتلبية نطقا مسموعا ـ فليجتنب الرفث وهو الجماع كما قال تعالى (أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم) وكذا دواعيه من المباشرة والتقبيل ونحو ذلك وكذلك التكلم به بحضرة النساء وكذا الفسوق وهو جميع المعاصى سواء كانت مما نهى عنه فى الاحرام من قتل الصيد وحلق الشعر وقلم

سورة	آية

وبعد أن بين الله تعالى نوعين من أنواع الدم الواجب وهما الدم الذى وجب بسبب حصر العدو والدم الذى وجب بسبب الحلق أخذ يبين ثالثا وهو الدم الذى وجب بسبب المتعة فقال (فاذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى) يعنى اذا أمنتم من العدو ووصلتم الى البيت فمن تمتع منكم فى أثناء ذلك باحرامه بالعمرة واستباح مالا يحل للمحرم استباحته وبقى على هذا التمتع الى الحج أى الى أن أحرم به فعليه أن يذبح فى نظير تمتعه هذا ما قدر عليه من الهدى وأقله شاة (فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة) أى فمن لم يجد الهدى اما لعدم المال أو لعدم الحيوان فعليه صيام ثلاثة أيام فى وقت الحج وهو أشهره ما بين الاحرامين احرام الحج واحرام العمرة وسبعة اذا رجعتم أى الى أوطانكم وأهليكم تلك أى الثلاثة والسبعة عشرة كاملة وانما قال ذلك مع ضرورة علم ذلك ليدل على انقضاء العدد لئلا يتوهم متوهم أنه قد بقى منه شئ بعد ذكر السبعة وقيل تأكيد كما تقول العرب رأيت بعينى وسمعت باذنى وكتبت بيدى وقال الله تعالى (ولا طائر يطير بجناحيه) ومعلوم أنه لا يطير الا بهما وقال (ولا تخطه بيمينك) ومعلوم أن الخط لا يكون الا بها ومعنى كاملة الأمر باكمالها واتمامها وقد بين الله أن هذا التمتع خاص لا عام فقال (ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام) أى ذلك التمتع لمن لم يكن أهله من أهل الحرم بان كانوا منه على مسافة لا تقصر فيها الصلاة لان من كان كذلك يعد حاضرا لا مسافرا أى لا لغيرهم (واتقوا الله) أى فيما أمركم به ونهاكم عنه (واعلموا أن الله شديد العقاب) أى لمن خالف أمره وتهاون بحدوده وارتكب مناهيه

وقد بقى من أنواع الدم رابع وهو المذكور فى قوله تعالى فى سورة المائدة (ياأيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم) وسيأتى الكلام عليه

وقال

سورة	آية	

﴿ بيان معنى هذه الآية الكريمة وما اشتملت عليه من الأحكام ﴾

يقول الله تعالى (وأتموا الحج والعمرة لله) أى ائتوا بهما تامين كاملين بمناسكهما وشرائطهما لوجه الله تعالى من غير توان ولا نقصان يقع منكم فيهما فان أحصرتم أى منعتم من اتمامهما بأن حال العدو بينكم وبين الوصول الى البيت فعليكم مااستيسر من الهدى من بعير أو بقرة أو شاة كما حصل ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يوم الحديبية حين حال المشركون بينهم وبين الوصول الى البيت فأنزل الله لهم رخصة أن يذبحوا ما معهم من الهدى وأن يحلقوا رؤسهم وأن يتحللوا من احرامهم وهذا معنى قوله تعالى (فان أحصرتم فما استيسر من الهدى) وبعد أن أمر جل شأنه باتمام الحج والعمرة وبين حكم من منعه العدو من الوصول الى البيت أخذ يبين حكم من أمن من العدو ووصل الى البيت فقال (ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله) أى لا يصح لكم فى حالة الامن والوصول الى البيت أن تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله ومكانه الذى يجب نحره فيه وهذا لمن لم يكن به مرض يضطره الى الحلق ومن لم يكن برأسه أذى بسبب ما فيه من القمل والصداع والجراح أما من كان به ذلك فيحلق وعليه فدية وهى أن يطعم ستة مساكين أو يهدى شاة أو يصوم ثلاثة أيام وتعيين الفدية بذلك هو ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن عجرة وهو محرم وقد رآه يتساقط قمله على وجهه فقال أتؤذيك هوام رأسك قال نعم فأمره أن يحلق و يطعم ستة مساكين أو يهدى شاة أو يصوم ثلاثة أيام وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله (فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك) أى فمن كان منكم مريضا مرضا يلجئه الى الحلق أو كان به أذى من رأسه وهو القمل والصداع والجراح ونحوها فعليه اذا حلق فدية من صيام أو صدقة أو نسك

سورة	آية	

والمعاصى الى حال الكمال والغفران والسداد والاستقامة كما فعل بهاجر عليها السلام

وحيث كان الصفا والمروة من شعائر الله وأعلام دينه فلا اثم على من أراد الحج أوالعمرة أن يطوف بهما بان يسعى بينهما وقوله تعالى (ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم) أى من فعل خيرا ومنه السعى المذكور على سبيل أنه طاعة لله تعالى يتقرب بها اليه فان الله شاكر له ومثيبه على القليل بالكثير عليم بقدر الجزاء فلا يبخس أحدا ثوابه ولا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما وقيل فى معنى التطوع غير ذلك والله أعلم

(وقال جل شأنه فى وجوب اتمام الحج والعمرة وبيان أنواع الدم الواجب فى النسك سواء كان ذلك بسبب منع العدو له من الوصول الى البيت أو بسبب الحلق لمرض أوأذى فى رأسه يضطره الى الحلق أوبسبب المتعة)

البقرة ١٩٥

وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ

سورة	آية	
البقره	١٥٨	انَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَانَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ

(ماتشير اليه هذه الآية الكريمة)

تشير هذه الآية الكريمة الى فرضية السعى بين الصفا والمروة لمن حج أو اعتمر أى أراد فعل العمرة والحج والصفا والمروة جبلان بمكة معروفان ووجه أخذ فرضية السعى بينهما من الآية أن الله تعالى جعلهما من شعائره أى من أعلام مناسكه ومتعبداته ولا يكونان كذلك الا اذا كان السعى بينهما فرضا ولما ثبت من قوله عليه الصلاة والسلام (اسعوا فان الله كتب عليكم السعى) وهو مذهب مالك والشافعى وأحمد وقال أبوحنيفة انه واجب ينجبر بالدم ولكل أدلة تذكر فى كتب الفروع

والأصل فيه سعى هاجر زوج سيدنا ابراهيم عليه السلام وترددها بينهما فى طلب الماء لولدها اسمعيل عليه السلام لما نفد ماؤهما وزادهما حين تركهما ابراهيم عليه السلام هنالك وليس عندهما أحد من الناس فلما خافت على ولدها الضيعة حين ذلك قامت تطلب الغوث من الله عز وجل فلم تزل تتردد فى هذه البقعة بين الصفا والمروة متذللة خاضعة خائفة وجلة مضطرة فقيرة الى الله تعالى حتى كشف الله كربتها وآنس غربتها وفرج شدتها وأنبع لها زمزم بمنزلة زاد وماء ولم تزل كذلك الى اليوم فالساعى بينهما ينبغى له أن يستحضر فقره وذله وحاجته الى الله فى هداية قلبه وصلاح حاله وغفران ذنوبه وأن يلتجئ الى الله عز وجل فى تطهيره من النقائص والعيوب وأن يهديه الى الصراط المستقيم وأن يثبته عليه الى مماته وأن يحوله من حاله الذى هو عليه من الذنوب

سورة	آية	
		كنتم من قبل هذا الهدى لمن الضالين الجاهلين الذين لايعرفون كيف يذكرونه تعالى ويعبدونه

(الأمر الثالث) الحث على الافاضة من المزدلفة الى منى كما فعل سيدنا ابراهيم عليه السلام والى ذاك الاشارة بقوله تعالى (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) أى ثم بعد وقوفكم بالمزدلفة أفيضوا منها الى منى من حيث أفاض الناس والمراد بهم ابراهيم عليه السلام وقوله تعالى (واستغفروا الله ان الله غفور رحيم) أى واستغفروا الله من مخالفتكم فى الموقف ولجميع ذنوبكم ان الله غفور رحيم أى ساتر لذنوب عباده برحمته

(الأمر الرابع) مايعمله الحاج بعد فراغه من أعمال الحج وهذا ماأفاده الله تعالى بقوله (فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أوأشد ذكرا) وذلك لان العرب كانوا اذا فرغوا من حجهم وقفوا بمنى وذكروا مفاخر آبائهم ومناقب أسلافهم بالمنظوم والمنثور من الكلام الفصيح فأبدلهم الله مكان ذلك أن يذكروه جل شأنه بل يكون ذكره أشد ولما أرشد جل ذكره عباده الى ذكره وكان الدعاء نوعا من أنواع الذكر جعل من يدعوه قسمين أحدهما يطلب حظ الدنيا ولايلتفت لحظ الآخرة وهو المراد بقوله تعالى (فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وماله فى الآخرة من خلاق) أى من نصيب والثانى يطلب الأمرين جميعا وهو المراد بقوله تعالى (ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) وقد جمعت هذه الدعوة كل خير فى الدنيا والآخرة وصرفت كل شر كما لايخفى والله تعالى مؤت كلا حسب سؤله والله ولى التوفيق

﴿وقال تبارك اسمه فى بيان الركن الثانى من أركان الحج وهو السعى بين الصفا والمروة﴾

ان

سورة	آية	
		وَمِنْهُم مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ

﴿ماترشد اليه هذه الآيات الكريمات من الاحكام﴾

ترشد هذه الآيات الى أمور (الأول) الترخيص لمن حج فى التجارة ونحوها من الاعمال التى يتوصل بها الى الرزق وهذا هو المشار اليه بقوله تعالى (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) أى لااثم عليكم فى أن تبتغوا وتطلبوا فى مواسم الحج رزقا ونفعا وهو الربح فى التجارة مع سفركم لتأدية ماافترضه عليكم من الحج وذلك من قبيل الرخصة لاغير وتركه أولى لأنه تعالى يقول (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) والاخلاص لايتحقق الااذا لم يكن حامل على الفعل سوى كونه عبادة (الأمر الثانى) الافاضة من عرفات الى المزدلفة والحث على ذكر الله بها عند المشعر الحرام أى مما يليه ويقرب منه فانه أفضل والا فمزدلفة كلها موقف الاوادى محسر والمشعر الحرام جبل بالمزدلفة يسمى جبل قُزَح وهو قوله تعالى (فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام) أى فاذا دفعتم أنفسكم من عرفات الى المزدلفة فهنالك اذكروا الله عند المشعر الحرام بالتلبية والتكبير وصلاة المغرب مع العشاء جمعا فانها لم تصل بعرفات واستدل بالآية على وجوب الوقوف بعرفة لان الافاضة لاتكون الا بعده ولا يتم الحج الابه على قول بعض الائمة ووقت الافاضة من عرفات بعد غروب الشمس فاذا غربت دفع منها وأخر صلاة المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء بمزدلفة

ولما بين جل شأنه أحكام الحج ومناسكه أخذ ينبههم على ماأنعم به عليهم من الهداية والبيان والارشاد الى مشاعر الحج فقال (واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين) أى واذكروه تعالى لهدايته اياكم وان

سورة	آية	
		الى الحج مأمونة بحيث يأمن الحاج على نفسه وماله أما لو كانت الطريق غير آمنة فلا يجب الحج وقد أفاد الله ذلك كله بقوله (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) (الامر الثالث) بيان جزاء تارك الحج وقد أفاد الله تعالى ذلك بقوله (ومن كفر فان الله غني عن العالمين) أى ومن ترك الحج فان الله غني عن العالمين لان الله جل شأنه لم يشرع لعباده هذه الشرائع الالنفعهم ومصلحتهم أما هو فهو غني لا تعود عليه طاعات عباده بأسرها بنفع - وعبر جل شأنه عن الترك بالكفر تأكيدا لوجوبه وتشديدا على تاركه وفيه من الدلالة على مقت تارك الحج مع الاستطاعة وخذلانه و بعده من الله سبحانه وتعالى مايتعاظمه سامعه ويرجف به قلبه جعلنا الله ممن اتبع طاعته ولازم كتابه وسنته آمين
		(وقال جل ثناؤه فى الترخيص لمن حج فى التجارة و بيان أعظم أركان الحج وهو الوقوف بعرفة والحث على التلبية والتكبير عند المشعر الحرام وبيان ما يعمل بعد انقضاء أعمال الحج)
البقرة	٧٩١	لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ١٩٨ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ١٩٩ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ٢٠٠

ومنهم

سورة	آية	
آل عمران	٩٦	إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ٩٧ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ

﴿ماترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان﴾

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الى أمور (الأول) بيان ماللبيت من الفضائل والمزايا التى منها أنه أول بيت وضعه الله موضعا للطاعات والعبادات ومقصدا للحج والعمرة ومكانا للطواف - ومباركا بزيادة الخيرات ومضاعفة الحسنات لمن قصده أو أقام فيه - هدى للعالمين يهتدون به الى وحدة دينهم وذلك الفضل العميم والخير الجسيم بما اشتمل عليه من الآيات البينات التى منها مقام ابراهيم أى الحجر الذى كان يقوم عليه عند بنائه وكان فيه أثر قدميه عليه السلام واندرس من كثرة المسح بالايدى ومنها أن من دخله كان آمنا فلا يقتل فيه أحد بدم ولا يقطع شجره ولا ينفر صيده وكذلك كان الامر فى الجاهلية كان الرجل يقتل فيضع صوفة فى عنقه ويدخل الحرم فيلقاه ابن المقتول ولا يكلمه ومنها اهلاك من قصده من الجبابرة كما حصل لاصحاب الفيل وغيرهم وهذه الفضائل والمزايا التى للبيت هى التى أفادها الله تعالى بقوله (ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا)

(الثانى) بيان فرضية الحج وأنه واجب على كل مسلم بالغ بشرط أن يستطيع السبيل الموصل اليه وقد فسر صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة ويدخل فى الاستطاعة دخولا أوليا أن تكون الطريق

سورة	آية

للاقتداء به والتخلق بأخلاقه فى كل مايرضى خالقه

وحسبك ما فيه من الفوائد والمنافع التى لاتكاد توجد فى غيره من سائر العبادات حيث يجتمع فيه أئمة الدين معظمين لشعائر الله التى يقول الله تعالى فيها (ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب) متضرعين اليه راغبين فيه راجين منه الخير وتكفير الذنوب ولا شك أن ذلك أدعى الى تمحيص ذنوبهم وتكفير خطاياهم ولذا يقول عليه الصلاة والسلام (ما رؤى الشيطان يوما هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه فى يوم عرفة الحديث) وذلك لما يراه ينهال عليهم من الرحمة ويحظون به من كرامة الله لهم برضوانه عليهم وتكفيره لذنوبهم — ولانه سفر شاسع وعمل شاق لا يتم الا بمجاهدة النفس وكبح زمامها عما تشتهيه من لذة الراحة فلا جرم كانت مباشرته خالصا لله تعالى مكفرا للذنوب وهادما للخطايا

وبالجملة فلو لم يكن فى الحج الا أنه عبادة جمعت بين الذكر والتسبيح والأدعية والتذلل والخضوع وتمام العبودية وكمال الاسترقاق لله وصرف أنفس الاشياء عند العبد وأحبها لديه وهو المال ابتغاء مرضاة الله تعالى فى سبيل التحصيل عليها ومفارقة الاهل والاوطان وتكبد المشقات وتحمل المتاعب والمصاعب ابتغاء مرضاة الله تعالى وطلبا لمثوبته ورضوانه وانه يجتمع فيه المسلمون من أقطار الارض يتبادلون فيه أنواع المحبة والمودة ويتعاضدون ويتعاونون ويساعد بعضهم بعضا ويعلم العالم منهم الجاهل — لكفى فى وجوب اعتباره وكمال افتخاره وكان جديرا بأن يؤمه جميع المسلمين من سائر أقطار العالم من كل فج عميق رجالا وركبانا

(ولما اشتمل عليه الحج من الاسرار والحكم والفوائد والمنافع أمر الله به وبين فرضيته وشدد النكير على تاركه وبين فضل البيت فقال)

ان

سورة	آية	

من الله عز وجل نزول الرحمة بهم فان فى اجتماع المسلمين راغبين فى الله راجين راهبين منه مسلمين وجوههم اليه خاصية عجيبة فى نزول البركات وتدلى الرحمات وخصوص هذا اليوم وهذا المكان متوارث عن الانبياء عليهم السلام والاخذ بما جرت به سنة السلف الصالح أصل أصيل فى باب التوقيت

وأن فى رمى الجمار غير ما تقدم من اظهار الرق والعبودية والانتهاض لمجرد الامتثال من غير حظ للنفس التشبه بسيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام حيث عرض له ابليس عليه لعنة الله فى ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة أو يفتنه بمعصية فأمره الله عز وجل أن يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لأمله

والسر فى نزول منى من أعمال الحج أنها كانت سوقا عظيما من أسواق الجاهلية مثل عكاظ والمجنة وذى المجاز وغيرها وانما اصطلحوا عليه لان الحج يجمع أقواما كثيرة من أقطار متباعدة ولا أحسن للتجارة ولا أروج لها من أن يكون موسمها عند هذا الاجتماع ولما جرت العادة بنزولها اقتضى ديدن العرب وحميتهم أن يجتهد كل حى فى التفاخر والتكاثر وذكر مآثر الآباء ليرى ذلك الاقاصى والادانى ويبعد ذكره فى الاقطار وكان للاسلام حاجة الى اجتماع مثل هذا تظهر فيه شوكة المسلمين وعدتهم وعُدتهم ليظهر دين الله ويبعد صيته فى سائر الاقطار فأبقاه النبى صلى الله عليه وسلم وحث عليه وندب اليه ونسخ التفاخر وذكر الآباء وأبدله بذكر الله وذلك قوله تعالى (فاذكروا الله كذكر آباءكم أو أشد ذكرا)

وناهيك بما ابتلى به سيدنا ابراهيم عليه السلام فى هذه الاماكن الطاهرة من أمره بذبح ولده وفلذة كبده وامتثال كل منهما ما أمر به وانعام الله عليهما بالفداء وابدال حزنهما بالهناء الى غير ذلك من الاعمال المرضية مما يدل على ما له من الطاعة وحسن الانقياد لمولاه فبتذكر أعماله ومحا كاتها تنبعث النفوس لتذكار بقية أعماله وعباداته فتشتاق

التذلل والعبودية وهو ذلك الامر الذى يمدحه صاحب هذه الشريعة عليه السلام من أشرف أوصافه وأكمل نعوته ويقول مامعناه (انى عبد أجلس كما يجلس العبد وآكل كما يأكل العبد) ونهى عن الاطراء فى مدحه فقال مامعناه باختصار (لا تطرونى ولكن قولوا عبدالله ورسوله) وقد وصفه ربه بالعبودية فى أشرف مقام ذكره فيه فقال تعالى (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى) فكان له فى ذلك أكمل المبرة وأوفر المسرة

ومن حكم الحج وأسراره المندرجة فى أعماله أن الطواف بالبيت عند قدوم الحجاج اليه انما هو تمثيل لصورة طواف قلوبهم برب هذا البيت والبيت انما هو مكان طاهر فى عالم الملك لتلك الحضرة التى لاتشاهد بالبصر . وأن استلام الحجر الاسود المسمى يمين الله انما هو بمنزلة مبايعة العبد ربه على أن لايعصى له أمرا ولا نهيا فاذا صمم العزم على الوفاء بتلك البيعة استحق من الله الرضا والكرامة ومن غدر فى المبايعة استحق منه المقت والخذلان والى ذلك الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم (الحجر الاسود يمين الله فى الارض يصافح بها عباده) وقوله صلى الله عليه وسلم (الحجر يمين الله فمن مسحه فقد بايع الله)

وأن فى السعى بين الصفا والمروة فى فناء البيت غير ماذكر الاشارة الى أن من يتردد على فناء الملك جائيا وذاهبا مرة بعد أخرى يظهر بذلك اخلاصه فى خدمته ويرجو ملاحظته بعين الرحمة كالذى دخل على الملك وخرج وهو لايدرى ماالذى يفعله الملك به من قبول أورد فلا يزال يتردد فى فنائه مرة بعد أخرى رجاء أن يرحم فى الثانية ان لم يرحم فى الأولى وسيأتى أن الأصل فيه ترداد هاجر زوج سيدنا ابراهيم عليه السلام بينهما فى طلب الماء لولدها اسمعيل عليه السلام

وأن فى الوقوف بعرفة واجتماعهم فيه ألوفا مؤلفة على اختلاف لغاتهم وتباين أجناسهم بقصد الكل غرضا واحدا وهو طلب المغفرة والرضوان

أو الى المعارض التى تقام فيها و يصرفون فى سبيل ذلك من الاموال الطائلة مالوصرفوا جزأ قليلا منه فى أداء هذه الفريضة لكان ذلك أدعى الى عزتهم ومنعتهم وقوتهم على أنهم فى أداء هذه الفريضة يرون معرضا أكبر من معارض أوروبا لانه يجتمع فيه كل أصناف العالم من عرب وترك وفرس وهنود ومصريين ومغاربة وسوريين و بربر وسودان وغير ذلك من أمم البشر كلهم على دين واحد وغرض واحد وقلما يجتمع فى معارض أوروبا الا الاوروبى أو من على شاكلته و ياليت أنهم يذهبون الى تلك المعارض والبلاد ليرجعوا بشئ مما سبقهم فيه أولئك الاقوام من الصنائع والمعارف بل انما يذهبون ليقضوا شهوة للنفس أولبانة للشيطان فاللهم أرشد المسلمين الى مافيه صلاح حالهم واستقامة أحوالهم واستكمال شؤنهم

ولما فى الحج من الفوائد والمنافع يشير الله تعالى بقوله (وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم) فقد ذكر جل شأنه أن فى الحج منافع يشهدها الحاج أقلها تسهيل وسائط التآلف والتوافق بين الممالك العظيمة ووجود الاتحاد والائتلاف بين الأمم الاسلامية الكبيرة ومايترتب على ذلك من الخير العميم لعموم المسلمين

وناهيك بما فيه من الأذكار والصلوات والتسبيحات فانها مدحضة للذنوب كافلة بنوال المرغوب

ومن حكم الحج وأسراره أن به كمال العبودية ونهاية الاسترقاق بما اشتمل عليه من الاعمال التى لاتأنس بها النفوس ولا تهتدى الى معانيها العقول بادئ بدء كرمى الجمار بالاحجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار فان هذه الاعمال مع عدم اهتداء العقل الى الغرض المقصود منها بادئ بدء لايكون فى الاقدام عليها باعث الا الامر المجرد وقصد الامتثال للامر من حيث انه أمر واجب الاتباع فقط وذلك نهاية

سورة	آية	
		حتى تحابوا) فوضحت لهم بذلك طرق السعادة فسلكوها وتوصلوا الى نعيم الحياة فتمتعوا به وارتقوا الى أوج لم ينله غيرهم ووصلوا الى مجد لم يسبق اليه سواهم فدوخوا الممالك ونشروا الدين واللغة والمدنية وبسطوا نور العلم والتهذيب والتربية كل ذلك فى أقل من قرن ولا سبب لذلك سوى اعتصامهم بجامعة الدين وتمسكهم بحبله المتين ـ ولما لهذه الجامعة من الفوائد والمنافع التى ظهر أثرها فى العائلات الصغيرة فضلا عن الممالك الكبيرة ترى الدين الاسلامى دائما يرمى بغرضه الى تحققها والسعى وراء تمكنها بين أفراد الأمة يرشد الى ذلك حثه على الاجتماع فى مواطن كثيرة من القرآن الكريم وتقريره الاجتماع فى أغلب العبادات كالاجتماع فى أوقات الصلوات الخمس والجمعة والعيدين لما فى ذلك من التعاون والتعاضد
		ولما كان هذا الاجتماع لا يفى بالغاية المطلوبة لان الفائدة فيه قاصرة على أهل الحلة والبلد أو البلد ومن جاوره كانت الحاجة ماسة لمشروعية ما به يكون اجتماع جميع المسلمين من سائر أقطار العالم فى مكان واحد تقوم فيهم العلماء والخطباء والحكماء يعلمون الجاهل ويرشدون المسترشد ويوقفونهم على أحوال الأمم الشاسعة التى لا يتوصل الواحد منهم اليها مدى عمره ويطلعون بعضهم بعضا على ما به تكون حياتهم الملية والقومية من الصنائع والمعدات للذود وغيرهما مما سبقهم فيه غيرهم ويطلع بعضهم على شؤون البعض الآخر المحتاجة للتعاون والتوازر ويتصافحون ويتوادون على اختلاف أجناسهم وتباين طبقاتهم فيرجع الواحد منهم الى بلده وحقيبته ملأى من أخبار وسير وفوائد ومنافع لا تكاد تحصى ووقوف على أحوال الامم الاخرى ليباريهم ويجاريهم فيما تكون فيه سعادته وسعادة قومه الحقيقية فشرع الله لهم الحج لهذه الغاية
		ويا حبذا لو أدرك ذلك الذين يذهبون من المسلمين الى أوروبا فى كل سنة

سورة	آية	

زكاة الفطـــــــر

هى نصف صاع من بر أو دقيق أو زبيب أو صاع من تمر أو شعير وهو ثمانية أرطال وذلك لقوله عليه الصلاة والسلام فى خطبة له (أدواعن كل حر وعبد صغير أو كبير نصف صاع من بر أو صاعا من تمر أو صاعا من شعير) والربع المصرى يكفى عن ثلاثة أنفس

ويخرجها من ملك نصابا من أى مال كان عن نفسه وأولاده الصغار وعبيده للخدمة ولا يخرجها عن زوجته وأولاده الكبار

وتصرف للاصناف الثمانية المتقدمة لانها كبقية أنواع الزكاة

النوع الرابع



هو زيارة أمكنة مخصوصة فى زمن مخصوص باقوال وأفعال مخصوصة وله من الاسرار والحكم مايعجز عن حصرها حكماء العرب والعجم فمنها أن الله جلت قدرته بعث رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بينما كانت العرب متفرقى القلوب متشعبى الاهواء متباينى المقاصد مختلفى الكلمة لاتجمعهم جامعة ولاتردعهم رادعة ولما علم جل شأنه أنه لاتكمل سعادتهم الدنيوية والاخروية ولا تكون لهم عيشة مرضية الا بنبذ ماهم عليه من التباغض والتحاسد والتخاذل والاعتصام بحبل التوافق والتوادد والاخاء قرر فيما قرر من أسباب السعادة مبادئ الاخاء الاسلامى تحت جامعة الدين فقال تعالى فيه (انما المؤمنون اخوة) وقال تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا) وقال جل شأنه (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) وجعل صلى الله عليه وسلم التحابب بين المسلمين شرطا أوليا من شرائط الاسلام فقال (لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا

سورة	آية	
		أداء نجومهم فتنفك بذلك رقابهم - والغارمون وهم الذين عليهم دين فيعطون منها بشرط أن يكون هذا الدين استقرض فى طاعة أومباح فان استقرض فى معصية كالخمر والاسراف فيما لايعنى فلا يعطون منها شيأ مالم يتوبوا - والغزاة وهم المقصودون من قوله تعالى (وفى سبيل الله) فيصرف لهم من الزكاة ولوكانوا أغنياء اعانة لهم وتنشيطا على الغزو - وابن السبيل وهو المسافر الذى انقطع عن ماله فيعطى منها ولكن بقدر الحاجة ومن تأمل مليا فى حكمة تخصيص هذه الاصناف الثمانية بصرف الزكاة لهم يظهر له جليا فضل الزكاة وما لها من الفوائد الجمة والمنافع العامة الاترى أنه باعانة الفقراء والمساكين منها يأمن الغنى على نفسه وماله من شرغائلة ماتلجئهم اليه الضرورة والفاقة ويحصل التآلف والتعاضد والتعاون بين الاغنياء والفقراء فتأمن السبل وتنتشر المصالح ويحصل باعانة الجباة الذين يجمعونها قيامهم فى جمعها بما يكفل لها الحفظ والنماء وباعانة المؤلفة قلوبهم منها عزة الاسلام وقوته وانتشاره بكثرة أتباعه والداخلين فيه وباعانة المكاتب فك رقبة مؤمنة من ذل الرق والاستعباد ذلك الامر الذى طالما جعلته الشريعة الغراء نصب عينيها فلا ترى عند تحديدها كفارة القتل أو اليمين أو الافطار من الصوم أوغيرها الا وتدخل عتق الرقبة فى ذلك التحديد - وباعانة من عليه الدين فك رقبته من ذل الرق والاستعباد المعنويين لان سلطة الدائن على المدين ولو لم يطالبه نهاية الاستعباد - وباعانة المسافرين على بلوغ مقصدهم توصيلهم الى الغاية التى يقصدونها من سفرهم وربما كان عليها مبنى حياتهم وحياة أسرتهم - وباعانة الغزاة حفظ البلد من الطارئ عليها وتقوية نفوسهم لتمام استعدادهم للمدافعة التى عليها صيانة الانفس والاموال والاعراض فما أجل حكم الله تعالى وأدقها فى تشريعه الاحكام

آية	سورة

(فى الركاز الخمس قيل ومالركاز يارسول الله قال الذهب الذى خلقه الله تعالى فى الارض يوم خلقت).

بيان من تصرف لهم الزكاة

تصرف لثمانية وهم المذكورون فى قوله تعالى

(انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم)

أى انما يستحق الزكاة من أصناف الخلق هؤلاء الثمانية وهم الفقراء الذين يملكون شيأ قليلا والمساكين وهم الذين لايملكون شيأ أصلا والعاملون على الزكاة وهم الذين يبعثهم الامام لجبايتها وتحصيلها والمؤلفة قلوبهم على الاسلام لان فى اعطائهم تقريرهم على الاسلام وترغيب نظرائهم وأبناءهم وقيل بسقوط هذا الصنف من الاصناف الثمانية وذلك لما روى أن عيينة والاقرع (وكانا من المؤلفة قلوبهم) جاآ يطلبان أرضا من أبى بكر فكتب بذلك خطا فمزقه عمر رضى الله عنه وقال هذا شئ كان يعطيكموه رسول الله صلى الله عليه وسلم تأليفا لكم فأما اليوم فقد أعز الله الاسلام وأغنى عنكم فان ثبتم على الاسلام والا فبيننا وبينكم السيف فرجعوا الى أبى بكر فقالوا أنت الخليفة أم عمر بذلت لنا الخط ومزقه عمر فقال رضى الله تعالى عنه هو ان شاء ووافقه ولم ينكر عليه أحد من الصحابة ويكون ذلك من قبيل انتهاء الحكم بانتهاء علته لامن قبيل النسخ لانه لانسخ بعد النبى عليه الصلاة والسلام والذى يظهر أن حكم الآية باق ولعل منع عمر لعيينة والاقرع لانهما كانا غنيين لامؤلفين — والمكاتبون وهم الذين أشار لهم الله تعالى بقوله (وفى الرقاب) وذلك بأن يعاون المكاتبون بشئ منها على

سورة	آية	
		وبنت لبون الى ست وتسعين ففيها أربع حقاق الى مائتين ثم تستأنف الفريضة دائما كما استؤنفت فى هذه الخمسين التى بعد المائة والخمسين وان كانت بقرا ففى كل ثلاثين تبيع ذو سنة أو تبيعة وفى كل أربعين مسن ذو سنتين أو مسنة وذلك لما روى عن معاذ بن جبل أنه عليه الصلاة والسلام بعثه الى اليمن وأمره بان يأخذ من كل ثلاثين بقرة تبيعا أو تبيعة ومن كل أربعين مسنا أو مسنة وما زاد فبحسابه الى ستين ففيها تبيعان الى سبعين ففيها مسنة وتبيع الى ثمانين ففيها مسنتان وهكذا يتغير الفرض فى كل عشر من تبيع الى مسنة والجاموس كالبقر وان كانت غنما ففى كل أربعين شاة الى مائة واحدى وعشرين ففيها شاتان الى مائتين وواحدة ففيها ثلاث شياه الى أربعمائة ففيها أربع شياه ثم فى كل مائة شاة وبذلك اشتهرت كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب أبى بكر وعمر وعليه انعقد الاجماع والمعز كالضأن وليس فيما عدا هذه الاصناف الثلاثة من الحيوانات كالخيل والبغال والحمير زكاة
		وأما زكاة الزرع فقد قال الله تعالى حثا عليها وأمرا بها (وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين) وبينت السنة أن كل زرع أخرجته الارض أوسقى بالسيح أو بالمطر ففيه العشر بشرط أن يقصد منه الاستغلال فان لم يقصد منه الاستغلال كالحطب والقصب والحشيش والسعف والصمغ عند من لم يقصد به الاستغلال وكل حب لا يصلح للزراعة كبذر البطيخ والقثاء فلا زكاة فيه لكونها غير مقصودة فى نفسها وكذا لا زكاة فيما هو تابع للارض كالنخل والاشجار لانه بمنزلة جزء الارض بدليل تبعيته لها فى البيع عند عدم شرط ـ فان كان السقى بالدلاء ونحوها ففيه نصف العشر
		أما الركاز فقد بينت السنة أن فيه الخمس لقوله عليه الصلاة والسلام

آية	سورة

طيبات ما كسبتموه سواء كان نقدا اوعروض تجارة أوما شية ومما أخرجنا لكم من الارض سواء كان حبا أوتمرا أوركازا

وقد بينت السنة تفصيل مايخرج من كل نوع فبينت أن مايخرج من النقد سواء كان ذهبا أوفضة ربع العشر ففى مائتى درهم خمسة دراهم وفى عشرين دينارا نصف دينار وذلك لقوله عليه الصلاة والسلام لمعاذ حين بعثه الى اليمن (فاذا بلغ الورق مائتى درهم نخذ منه خمسة دراهم) وقوله عليه الصلاة والسلام (ليس فى أقل من عشرين دينارا صدقة وفى عشرين دينارا نصف دينار) ومازاد من كل منهما فبحسابه وبينت أن مايخرج فى عروض التجارة اذا بلغت قيمتها من الذهب والفضة نصابا ربع العشر أيضا والتقويم يكون بما اشتريت به اذا كان الثمن من النقود لانه أقرب لمعرفة المالية لان الظاهر أن تشترى بقيمتها وبالغالب من النقود اذا كان الثمن من غير النقود

وبينت أن مايخرج من المواشى ان كانت إبلا شاة فى كل خمس الى خمس وعشرين ففيها بنت مخاض وهى التى دخلت فى السنة الثانية الى ست وثلاثين ففيها بنت لبون وهى التى دخلت فى السنة الثالثة الى ست وأربعين ففيها حقة وهى التى دخلت فى السنة الرابعة الى احدى وستين ففيها جذعة وهى التى دخلت فى السنة الخامسة الى ست وسبعين ففيها بنتا لبون الى احدى وتسعين ففيها حقتان الى مائة وعشرين وعلى هذا اتفقت الآثار واشتهرت كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتمعت الأمة ثم تستأنف الفريضة بعد المائة والعشرين فى كل خمس شاة أى مع الحقتين الى خمس وعشرين بعد المائة والعشرين فيكون فيها بنت مخاض مع الحقتين أى ففى مائة وخمس وأربعين حقتان وبنت مخاض ثم اذا زادت خمسة بأن بلغت مائة وخمسين ففيها ثلاث حقاق ثم تستأنف الفريضة فيكون فى كل خمس شاة الى مائة وخمس وسبعين فيكون فيها ثلاث حقاق وبنت مخاض الى مائة وست وثمانين ففيها ثلاث حقاق

سورة	آية	
		فإياك أيها التارك للصلاة والمانع للزكاة أن تكون من هؤلاء المسؤلين المجيبين وقال تبارك اسمه فى ذم من يمنع الزكاة ولا يطعم الفقير المسكين الذى لا يجد ما يقتات به (أرأيت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين) وقال جل ثناؤه (بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين) وقال جل شأنه (وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه ياليتها كانت القاضية ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين)
		أنواع الزكاة
		هى زكاة النقد سواء كان ذهبا أو فضة وزكاة عروض التجارة وزكاة المواشى وزكاة الزرع وزكاة الركاز
		﴿وقد أشار الله تعالى الى وجوب الزكاة فى جميع هذه الانواع بقوله﴾
البقرة	٢٦٦	يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ
		﴿معنى الآية وبيان وجه أخذ هذه الانواع منها﴾
		يقول الله تعالى ياأيها الذين آمنوا أنفقوا أى أخرجوا الزكاة من

طيبات

سورة	آية	
		ذوى وجاهة ورياسة بسبب الغنى وأن يتنعموا بالمطاعم الشهية والملابس البهية فلما قصدوه من الوجاهة بالكنز كان الكي بجباههم ولما قصدوه من امتلاء جنوبهم بالمطاعم كووا عليها ولما قصدوه من الملابس على ظهورهم كويت ظهورهم
		ولبيان أن سبب هذا البلاء العظيم والعذاب الأليم انما هى نفس الانسان حيث سولت له البخل وحسنت له الكنز والادخار والمنع أشار الله تعالى بقوله (هـذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) أى هذا الذى تكوون به هو ما كنزتموه لاجل منفعة أنفسكم بتسويلها لكم المنفعة فكان عين مضرتها وسبب تعذيبها
		﴿وقال تبارك اسمه مبينا جزاء مانع الزكاة فيما حكاه جل شأنه عن أهل النار عند ماسئلوا عن سبب تعذيبهم﴾
المدثر	٣٩	إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ٤٠ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ٤١ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ٤٢ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ٤٣ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ٤٤ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ
		﴿ماترشد اليه هذه الآيات الكريمات﴾
		ترشد هذه الآيات الكريمات الى بيان جزاء تارك الصلاة ومانع الزكاة وقد حكى الله عنهم ذلك عند ماسئلوا أى شئ أدخلكم فى سقر وأحلكم فى هذا العذاب الأليم والعقاب الشديد فقالوا ان سبب ذلك أنا لم نك من المصلين المطيعين لله تعالى ولم نك نطعم المسكين أى الذى أسكنته الحاجة والذلة والفقر من فضول أموالنا التى رزقنا الله اياها فكان جزاءنا لذلك مانحن فيه من العذاب الاليم والعقاب الشديد

آية	سورة

وتمثل بين عينيه حسنه وملك قلبه وكان انفاقه وبذله صعبا عليه والله ورسوله أعلم

جزاء مانع الزكاة

﴿ قال الله تعالى فى بيان ذلك ﴾

التوبة ٣٥

وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣٦ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ

﴿ ماتفيده هاتان الآيتان الكريمتان ﴾

تفيد هاتان الآيتان الكريمتان شدة التغليظ وتشديد النكير والوعيد بأليم العذاب وشديد العقاب للذين يجمعون الاموال ويدخرونها ثم يبخلون بها ويمنعون حق الله فيها ولا يخرجون زكاتها ولتمام وجه العبرة وافادة شدة النكير والانذار بين الله جل شأنه أن هذا العذاب الاليم والنكال الشديد انما هو بنفس أموالهم التى بخلوا بها حتى يعلموا أن هذه الاموال التى عمدوا الى ادخارها وعولوا على كنزها رجاء التنعم بها فى المطعم والملبس واكتساب الوجاهة والرياسة بها هى سبب شقائهم الدائم وبؤسهم الخالد

وقد بين جل شأنه كيفية التعذيب بها فى قوله (يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) وخصت هذه الاعضاء بالذكر لان غرض الكانزين من الكنز والجمع أن يكونوا عند الناس

سورة	آية	
		أى من إبدائها للفقراء مع الاظهار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لاظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يرجع اليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال انى أخاف الله رب العالمين ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم شماله ماتنفق يمينه) هذا وبعد أن أشار جل شأنه الى بيان فضل الزكاة لاسيما اذا كانت سرا وأنه يحصل لفاعلها الخير بما يعطاه من رفع الدرجات بين أنها تكفر السيئات فقال (ويكفر عنكم من سيئاتكم) أى ببذل الصدقات وقوله تعالى (والله بما تعملون خبير) أى لايخفى عليه منه شئ فيه ترغيب فى الاسرار والله أعلم
		وقد ورد فى هذا الباب أحاديث كثيرة سنأتى على بعض منها لما فيه من زيادة بيان فضلها قال صلى الله عليه وسلم (ان الصدقة لتطفئ غضب الرب) وقال عليه الصلاة والسلام (ان الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار) وقال صلوات الله عليه (من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل) وقال عليه الصلاة والسلام (لايجتمع الشح والايمان فى قلب عبد أبدا) وقال صلوات الله وتسليماته عليه (مثل البخيل والمتصدق مثل رجلين عليهما جبتان من حديد قد اضطرت أيديهما الى ثديهما وتراقيهما فجعل المتصدق كلما تصدق بصدقة انبسطت عنه وجعل البخيل كلما هم بصدقة قلصت وأخذت كل حلقة بمكانها) وذلك لان الانسان اذا أحاطت به مقتضيات الانفاق وأراد أن يفعله يحصل له ان كان سخى النفس انشراح ويمثل المال بين يديه حقيرا ذليلا يكون انفاقه عليه سهلا هينا بل يستريح خاطره لذلك وتطمئن نفسه اليه وان كان شحيحا بخيلا غاصت نفسه فى حب المال

سورة	آية	
		مرتفع نزل عليه مطر كثير أو قليل فاخضرت أوراقه وأزهرت أغصانه وأثمرت أزهاره وكثرت ثماره فصار يثمر مرتين فى العام بعد أن كان يثمر مرة واحدة ووجه التنظير فى كل أن المنفق لابد وأن يجنى من نفقته ثمار الأجر والثواب ولا يتخلف ذلك بحال وان تفاوت الاجر والثواب بحسب تفاوت مايقارنهما من الاخلاص والتعب وحب المال وصرفه لمن هو أولى به من غيره كان يكون محتاجا تقيا الى غير ذلك فكذلك من غرس بستانا بموضع مرتفع لابد وأن يجنى ثمر غرسه سواء نزل عليه مطر كثير أو قليل وانما اعتبر كون البستان بموضع مرتفع لان أشجار المواضع المرتفعة غالبا تكون أحسن منظرا وأزكى ثمرة وأكثر فائدة للطف هوائها وعدم كثافته بركوده
		(وقال جل شأنه فى بيان أنها ترفع الدرجات وتكفر السيئات)
البقره	٢٧٠	إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
		(ماتشير اليه هذه الآية الكريمة)
		تشير الى بيان فضل الزكوات والصدقات وأنها حسنة على كل حال سواء أظهرها فاعلها أو أخفاها الا أن الاسرار بها وأداءها فى خفية أفضل لانه أبعد من الرياء الا أن يترتب على الاظهار مصلحة راجحة من اقتداء الناس به فيكون أفضل من هذه الحيثية والى أن الاسرار أفضل يشير الله تعالى بقوله (وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم)

سورة	آية	

لتمرنت نفوسهم على مراقبة الله تعالى فى أغلب آونتهم وانتهوا عن الفحشاء والمنكر ولازموا الجميل من الاعمال وتركوا القبيح منها ولانهم لوآتوا الزكاة وقهروا النفس باخراج أحب الاشياء اليها وهو المال وآثروا رضا الله تعالى على ماتشتهيه نفوسهم وصرفوها فى مظانها التى حددها الشرع رضى الفقير وأمن الغنى على ماله ونفسه فتقوى جامعتهم وتتأكد محبتهم وتكمل سعادتهم ولانهم لوأطاعوا الله ورسوله وامتثلوا كل ما أمرهم به واجتنبوا كل مانهاهم عنه فازوا بما أعده الله لهم فى الآخرة من النعيم المقيم ولا جرم أن الاتصاف بكل هذه الصفات مع ما يترتب عليها من الثمار اليانعه والفوائد النافعه جالب للرحمه مستتبع للنعمه .

فضل الزكاة

(قال الله تعالى فى بيان ذلك)

البقرة ٢٦٤ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

(بيان معنى هذه الآية الكريمة)

يقول الله تعالى ان مثل نفقة الذين ينفقون أموالهم فى الزكاة خالصة لوجه الله تعالى وطلبا لمرضاته وتثبيتا لانفسهم على الايمان بما بذلوه من أموالهم فان المال شقيق الروح مثل بستان بربوة أى بموضع

سورة	آية	

الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر) وأنهم هم الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وهم الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة أى يطيعون الله ويحسنون الى خلقه وهم الذين يطيعون الله ورسوله أى فيما أمر وترك ماعنه زجر وأن من يكون كذلك فهو جدير بأن يغمره الله برحمته ويخصه المزيد من نعمته ولذا يقول جل شأنه (أولئك) أى من اتصف بهذه الصفات (سيرحمهم الله) ومن لم يكن متصفا بهذه الصفات فليس بمؤمن يدلك على ذلك مقابلة هذه الآية بالتى قبلها وهى قوله تعالى (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديكم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون) فان قوله تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) يقابل قوله تعالى (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) وقوله (يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) يقابل قوله (يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف) وقوله تعالى (ويقيمون الصلاة) يقابل قوله تعالى (نسوا الله) وقوله تعالى (ويؤتون الزكاة) يقابل قوله (ويقبضون أيديهم) وقوله تعالى (أولئك سيرحمهم الله) يقابل قوله (ان المنافقين هم الفاسقون)

وانما كان المؤمنون الذين يتصفون بهذه الصفات المذكورة فى الآية الكريمة هم المستحقون للرحمة دون سواهم ممن ذكروا فى الآية قبل لانهم اذا تولى بعضهم بعضا وتناصروا وتعاضدوا اتحدت قلوبهم واجتمعت كلمتهم وسعى بعضهم لبعض فى جلب الخير ومنع الشر والضير ولاجرم أن ذلك جالب للرحمة مستتبع للنعمة ولانهم لوأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر عم الصلاح العامة والخاصة ووقف كل انسان عند حده فتأمن السبل وتنمو التجارات ويؤمن التعدى من الاشرار وذوى الاطماع فتعمر البلاد وترتاح العباد ولانهم لوأقاموا الصلاة وأدوها فى أوقاتها مع الخشوع والتعظيم والحياء والمذلة والانكسار

سورة	آية	
		فتركه صلدا لايقدرون على شئ مما كسبوا والله لايهدى القوم الكافرين) ـ ولعمر الحق ان المرائى باخراج زكاته لأسوأ حالا وأكثر وبالا من عبدة الاصنام الذين يقول الله تعالى حكاية عنهم (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) لانهم يعبدون الاصنام ليتقربوا بها الى الله وأما هؤلاء فيعبدون الله ليتقربوا بعبادته الى الناس وفرق بينهما وان كان الكل على قبيح والى ذلك كله يشير الله تعالى بهذه الآية الكريمة وهى (وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) أى واذا لم تريدوا بها وجه الله تعالى بل قصدتم بفعلها الرياء والسمعة كانت منقصة للمال جالبة للنكال محبطة للاعمال قاضية بسوء الحال وشر المآل والله بسر كلامه عليم
		﴿ وقال جل ثناؤه فى بيان أن الزكاة من الاسباب المفضية الى رحمة الله تعالى وأنها من أخص أوصاف المؤمنين ﴾
التوبة	٧٢	وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
		﴿ماترشد اليه هذه الآية الكريمة﴾
		ترشد هذه الآية الكريمة الى بيان حال المؤمنين والمؤمنات بانهم هم الذين يتولى بعضهم بعضا أى يتناصرون ويتعاضدون كما جاء فى الحديث الصحيح (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه) وفى الصحيح أيضا (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد

سورة	آية	
الروم	٣٩	وَمَا آتَيْتُم مِن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ

(بيان معنى هذه الآية الكريمة والغرض المقصود منها)

الغرض منها أن مايخرجه المزكى من ماله ويعطيه لمستحقيه من الفقراء والمساكين وغيرهم من المستحقين ويقصد بذلك وجه الله تعالى جزاء ما خوله من نعمه الوافرة سيجزيه الله سبحانه وتعالى عليه الجزاء الاوفى ويضاعف له ثوابه وماله ببركة الزكاة وذلك لان من عرف حق الله تعالى فى ماله وأخرجه ابتغاء مرضاته وامتثالا لما أمر به وصرفه فى مصارفه الشرعية التى بينها له الشرع فقد شكر الله جل شأنه على مامنحه من كرامته وخوله المزيد من نعمته ومن شكر الله زاده وجعل التقوى زاده بمصداق (ولئن شكرتم لأزيدنكم) وهذه المضاعفة فى الثواب والمال ببركة الزكاة هى المشار لها بقوله تعالى فى آخر هذه الآية الكريمة (فأولئك هم المضعفون)

أما من يخرج الزكاة لايبتغى بها وجه الله بل يبتغى بها أن يقال ان فلانا يخرج الزكاة فهو طيب أو محسن أوكريم أو صالح أو نحو ذلك فقد كفر بنعمة الله تعالى عليه واستحق المزيد من عذابه والاليم من عقابه بمصداق (ولئن كفرتم ان عذابى لشديد) بل ما أشد جراءته وأعظم وقاحته حيث يعتقد أن ماهو فيه من النعيم الزائد والخير المتزايد انما هو بمحض فضل الله تعالى عليه ومعونته له ومع ذلك يتزلف و يتقرب لغيره فى حين أنه لاجدوى ولا فائدة ترجع عليه منه سوى لبانة للشيطان قضاها وقد ضرب الله به الامثال فى القرآن الكريم فقال (ياأيها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل

فتركه

آية	سورة

(ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان) على وعد الله الذى لا يخلف وعده

على أن ذوى الاموال ومن استحقت الزكاة عليهم لو تأملوا مليا لوجدوا أن هذه الاموال عارية فى أيديهم وأمانة اؤتمنوا عليها من قبل الله تعالى كما قيل * وما المال والاهلون الا ودائع *

وحق على من اؤتمن على شئ أن يؤديه عند ما يطلب منه فاذا امتنع من أدائه وكابر فى اعطائه كان للمؤتمن أن يأخذه قهرا عنه ويمنعه منه لأنه أراد أن يمنع حقا عليه اذا علمت ذلك علمت عظم جرم من امتنع عن أداء الزكاة فيما خوله الله تعالى من نعمه لان امتناعه اما أن يكون لغفلته عن الله تعالى وعدم مراقبته فيما اؤتمن عليه وعدم تمثل عظمة قدرة الله تعالى فى قلبه لان الخائن اذا علم أن المخون مطلع عليه ومراقب له مع اعتقاده تمام قدرته على ضرره ان خان لا أظن أنه يجسر على الخيانة اذا كان عاقلا - واما أن يكون لما تسوّله نفسه وتمنيه من الامانى الكاذبة من أن هذا المؤتمن كريم أو حليم فأنا أمتنع من اعطائه حقه لذلك لان هذا هو الحمق بعينه اذ أىّ عاقل يغتصب حق الغير ويمتنع من اعطائه بدعوى أن هذا الغير كريم أو حليم أو نحو ذلك - واما أن يكون لاعتقاده أن هذه الاموال ليست عارية فى يده وأمانة عنده ولا حق لله تعالى فيها لانها كسبه بقوته وحقيق بمن يعتقد ذلك أن يسلبه الله نعمته ويعدمه قوته حتى يتحقق لديه أن لا كسب لديه وانما هو فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

وللزكاة غير ما ذكر من الفوائد والمنافع ماستأتى الآيات القرآنية الآتية على بعض منها كما سيتبين لك والله ولى التوفيق

(قال الله تعالى حثا على الزكاة وبيانا لبعض ما يترتب عليها من الفوائد والمنافع)

آية	سورة

الزكاة ليكون من نتائجها الحسنة هذا الارتباط والاتحاد والتعاون
ومنها أنه باخراج المزكى القدر الواجب عليه من ماله ابتغاء مرضاة الله
يعلم مقدار محبته لله ومراعاة أوامره وقدرها حق قدرها حيث خرج
عن أحب الاشياء اليه وهو ماله امتثالا لامر الله تعالى وابتغاء مرضاته
ومنها تثبيت الايمان وكمال اليقين وذلك لان المال شقيق الروح وبذله
أشق شئ على النفس من سائر العبادات فاذا ارتاضت النفس بالتحامل
عليها وتكليفها مايصعب عليها وكبحها عن كل ماتشتهيه وذلك بانفاق
أحب الاشياء اليها وهو المال صارت خاضعة لصاحبها وقل طمعها فى
اتباعه لشهواتها وآثرت ماعند الله تعالى على ماعندها وفى ذلك
من تثبيت الايمان وكمال اليقين مالا يخفى والى ذلك الاشارة بقوله
تعالى (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من
أنفسهم) الآية
ومنها أيضا نماء مال المزكى وزيادته بان يضع الله فيه البركة و يخلف
عليه أفضل مما أنفقه يؤيد ذلك قول الله تعالى (وما أنفقتم من
شئ فهو يخلفه) وقوله (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل
الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله
يضاعف لمن يشاء) وحينئذ فلا عبرة بما يهذى به بعض الحمقى ممن
لاخلاق لهم من أن الزكاة نقص فى المال لازيادة فيه فان ذلك
من تغرير الشيطان به ومادرى أنه عدوه الالد وخصمه الاشد الذى
لايريد له الخير ولايجلب له الا الشر والضير وقد نبه الله سبحانه على
هذه الزيادة ومخالفة الشيطان وعدم متابعته فيما يسوله ويغرى به حيث
يقول (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة
منه وفضلا والله واسع عليم) ولا تجد انسانا ذاق طعم الايمان وأدرك
حلاوته يفضل وعد الشيطان اللعين الذى يقول الله تعالى حكاية عنه

(ووعدتكم

ایة	سورة

اذا لم يكن صرف الزكاة أن يأخذ حاجاته من الضعيف الغنى أو القوى الغنى بالسؤال ان أمكن والا قاتل المطلوب منه فيقتل أو يقتل ولا يتم مع ذلك بقاء العالم ولا يحفظ نظام الكون ولذا ترى الفوضا ويين منتشرين فى جميع أنحاء العالم وبالاخص فى أوروبا وأمريكا يقتلون ملوكهم ويذبحون أغنياءهم ولا سبب لذلك الا عدم صارف للزكاة فى تلك البلاد فيستغنون عما هم فيه من الفاقة ولو أنهم وجدوا مايدفع حاجتهم لما لجؤا الى مثل هذه الامور الوحشية

ومن فوائدها أيضا أنها داعية الشفقة والرحمة بالفقراء والمساكين والضعفاء المعوزين بسدّ عوزهم وتنفيس كربتهم وقضاء دينهم وادخال السرور عليهم الذى هو أفضل الاعمال بمصداق قوله صلى الله عليه وسلم عند ماسئل أىّ الناس أحب اليك قال أنفع الناس للناس قيل يارسول الله فأىّ الاعمال أفضل قال ادخال السرور على المؤمن قيل وماسرور المؤمن قال اشباع جوعته وتنفيس كربته وقضاء دينه الحديث

ومنها أيضا أن المزكى بها يعرف نعمة الله تعالى عليه بنعمة المال فيشكره على أن جعله غنيا لافقيرا وأن أحوج بعض الناس اليه ولم يحوجه اليهم وماأخس من ينظر الى الفقير وقد ضيق عليه الرزق وأحوج اليه ثم لاتسمح نفسه بان يؤدى شكر الله تعالى على اغنائه عن السؤال واحواج غيره اليه بدفع الجزء الواجب عليه من الزكاة وهو أقل من القليل

ومنها أن الله سبحانه وتعالى أراد بفائق حكمته وعظيم قدرته أن يجمع العالم الاسلامى أجمع و يربط قلوب المسلمين كلهم بعضها ببعض ويكون الكل كعائلة واحدة والاغنياء منهم بمثابة رؤس لتلك العائلة فيحنون على فقيرهم ويوسعون على المضيق عليه منهم حتى يكفوهم تكففهم الناس ويمنعوهم من ذل السؤال ويرشدهم كيف يجتمعون ويتحدون ويتعاونون ويتآلفون حتى بذلك يجنون ثمرة الحياة الدنيا فشرع لهم

سورة	آية	
		لمن أخذها بالقهر لها وبذل جهده فى جهادها والاقتدار عليها ومنعها من شهواتها الحيوانية وصرف أهوائها عن اللذات الدنية فيقول (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى)
		ولما كان تهذيب النفوس بكبحها عن الشهوات وقمعها عن ارتكاب الدنىء من اللذات من أصعب الامور منالا وأبعدها نوالا حتى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم جهادا أكبر فيما روى عنه أنه قال (رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر) يريد جهاد النفس بمنعها من جميع الشهوات المعترضة لها - كانت الحاجة ماسة الى كف النفس عن الاسترسال فى شهواتها ومتابعتها فى مشتهياتها وكبح زمامها واخماد نار سورتها وكسر شوكتها
		وحيث كان أكبر الشهوات التى يجب قمعها وأعظم الاشياء المحبوبة لديها لانه منشأ الطغيان والبغى المجبولة عليهما بطريق الفطرة هو المال الذى لا يعادله شئ عندها بمصداق قوله تعالى (وتحبون المال حبا جما) أى كثيرا وقوله (وانه لحب الخير لشديد) يريد المال جاء الشارع الحكيم الخبير بأمراض النفوس وعلاجها (بالزكاة) ليطهر بها النفوس ويحول دون تنفيذ رغبتها فى عدم صرف شئ من المال المحبوب لديها ويزيل ما بها من علة البخل والشح المشار الى نجاح وفلاح من وقى نفسه منها وتباعد عنها بقوله تعالى (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)
		والزكاة غير تخلية النفس من رذيلة البخل وتحليتها بصفة الجود والسخاء من الفوائد والمنافع ما به عمارة الكون ونظام الهيئة الاجتماعية وذلك لان الله جلت قدرته وعلت كلمته لم يخلق جميع الخلق متساوين لحكمة عجيبة وسر غريب بل خلق منهم القوى والضعيف والغنى والفقير والكل تطالبه الحياة بضروراتها ولوازمها فيضطر الفقير القوى

آية	سورة

تشكرون) وقال فى كفارة الظهار (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله) وقال صلى الله عليه وسلم (انما الصوم جُنة فاذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يَصْخب وان امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل انى صائم) أى انما الصوم وقاية يقى الانسان ويحفظه من شر عدويه الشيطان والنفس ويباعده من تأثيرهما ويخالفه عليهما فلذلك كان من حقه تكميل معنى الوقاية بتنزيه لسانه عن الاقوال القبيحة واليها الاشارة بقوله (فلا يرفث) أى لايتكلم بقبيح وقوله (ولا يصخب) أى لايرفع صوته بالهذيان وجوارحه عن الافعال كذلك واليها الاشارة بقوله (قاتله)

النــوع الثــالث

الزكاة

اعلم أن مطمح نظر الشارع الحكيم بما سنه من القوانين الشرعية وأنزله من الكتب السماوية انما هو تهذيب النفوس بمحو الرذائل والاخلاق الرديئة عنها وجلب الفضائل والاخلاق الجميلة اليها وزوال ما بها من الاعتلال ووقوفها عندحد الاعتدال لان النفوس اذا وقفت عند حد الاعتدال ووصلت من التهذيب الى درجة الكمال وتحلت بالفضائل وتخلت من الرذائل تذللت الطباع وأمن التعدى من الاشرار وذوى الاطماع وتألفت القلوب وأمنت السبل ونمت التجارات وتحسنت الاحوال وكثر التواصل واجتنب التخاذل فعمرت البلاد وارتاح العباد والعكس بالعكس لذا ترى الله جلت قدرته تارة ينيط الفلاح بزكاة النفوس وطهارتها والخيبة والخذلان بمتابعتها فى أهوائها فيقول (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) وأخرى يجعل الجنة مأوى

سورة	آية	
		فرخص لهم المباشرة وأباحها لهم حتى يظهر الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ومن الليل فان ظهر ذلك الخيط امتنع عن كل شئ وابتدأ فى صيامه ولا يزال كذلك الى دخول الليل بغروب الشمس فاذا غربت حل له ما كان قد حرم عليه وهكذا وبعد أن أتم الله أحكام الصوم بين لنا حكم الاعتكاف فى المساجد وأن ملامسة الرجل لامرأته فيه سواء كان فى الليل أو فى النهار تبطله فقال (ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد تلك) أى الاحكام التى ذكرت (حدود الله) حدها لعباده ليقفوا عندها (فلا تقربوها) فضلا عن أن تتعدوها (كذلك) أى مثل هذا التبيين الواقع فى أحكام الصوم (يبين الله آياته) الدالة على سائر الاحكام التى شرعها الله (للناس لعلهم يتقون) مخالفة أوامره ونواهيه والله أعلم

فضل الصوم

اعلم أن الصوم لمكانته من الدين ولنفعه فى المسلمين بما اشتمل عليه من الثمار اليانعه والفوائد النافعه مما علمت بعضه قد رغب فيه الشارع وبالغ فى الحث عليه وأكثر من الوسائل التى توصل اليه فمن ذلك أن جعله كفارة لكثير من الذنوب فقال فى كفارة القتل (ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله الا أن يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما). وقال فى كفارة الايمان (لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم اذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم

تشكرون

سورة	آية	

كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) أى ومن كان مريضا
أو مسافرا فيرخص له فى الفطر مع مشاهدته للشهر وعليه بعد
ذلك أن يقضى مافاته من أيام أخر لان فى صومهما فى حال المرض
أو السفر مشقة وعسرا والله لايريدهما بنا كما قال تعالى (يريد الله بكم
اليسر ولا يريد بكم العسر) فهذه ثلاثة أحكام وجوب الصوم عند مشاهدة
الشهر والقضاء عند الافطار بسبب مرض أو سفر أو نحوهما من الاعذار
والترخيص واليسر بسبب ذلك والى علة الاول أشار بقوله (ولتكملوا
العدة) أى عدة الشهر والى علة الثانى أشار بقوله (ولتكبروا الله على
ماهداكم) أى لتعظموه وتثنوا عليه بسبب هدايته اياكم ببيان أحكام دينكم
والى علة الثالث أشار بقوله (ولعلكم تشكرون) أى نعمته عليكم بالترخيص
ولما أمر جل شأنه بصوم الشهر ومراعاة تكميل عدده أداء وقضاء
وحث على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بقوله (واذا سألك
عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى
وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) الدال على أنه تعالى خبير بأحوالهم سميع
لاقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على أعمالهم تأكيدا له وحثا عليه
أو المراد بالدعاء العبادة وباجابته قبوله فكأنه جل شأنه يقول واذا عبدونى
على النحو المتقدم وامتثلوا أمرى وأجابوا دعوتى لهم فانى أقبل عبادتهم
وعليه فيكون ذكر الآية وسط أحكام الصوم بينا ظاهرا والله أعلم
ثم رجع الى بيان بقية أحكام الصيام فقال (أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى
نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب
عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا
حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم أتموا الصيام
الى الليل) فبين أن الصائم بعد الافطار له أن يأكل ويشرب ويرفث أى يلامس
أهله وقد كان المسلمون فى بدء الاسلام يختانون أنفسهم أى ينقصون من
لذائذها وشهواتها بترك الاكل والشرب والملامسة فتاب الله عليهم وعفا عنهم

سورة	آية	
		عن كل يوم مسكينا قدر ما يأكله فى اليوم ومن أطعم أكثر من ذلك فهو خير له وهذا ماأفاده الله تعالى بقوله (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له) أى وعلى الذين يحتملونه بمشقة زائدة أن يفطروا ويتصدق كل واحد منهم بفدية وهى طعام مسكين ومن تصدق بأكثر من ذلك بأن أطعم اثنين أو ثلاثة أو أكثر فهو خير له وتفسير الاطاقة بهذا المعنى هو مايقتضيه نص اللغة وهو رأى جمهور من الأئمة وهو الأليق فقد تبين أن للصائم ثلاث حالات الاولى أن يكون صحيحا مقيما وهذا يجب عليه الصوم لامحالة الثانية أن يكون مريضا أومسافرا وهذا يفطر وعليه بدل ما أفطره من أيام رمضان عدة من أيام أخر فى غيره الثالثة أن يحتمل الصوم بمشقة زائدة وهذا يخير بين أن يفطر ويطعم عن كل يوم مسكينا أو يصوم ولذا يقول جل شأنه (وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون) وبعد أن بين جل شأنه أنه فرض علينا الصيام وأنه أيام معدودات أخذ يبين تلك الايام المعدودات فقال هى (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) أى أن تلك الأيام المعدودات التى فرض الله صيامها علينا هى شهر رمضان الذى ابتدئ فيه انزال القرآن الذى أنزله الله هدى لقلوب العباد ممن آمن به وصدقه وبينات أى دلائل وحججا بينة واضحة جلية لمن فهمها وتدبرها دالة على صحة ماجاء به من الهدى المنافى للضلال والرشد المخالف للغى ومفرقا بين الحق والباطل والحلال والحرام والموصول وصلته فى قوة العلة لبيان الحكمة فى تخصيص هذا الشهر بالصوم دون غيره وبعد ذلك كر راجعا الى بيان بقية أحكام الصوم فقال (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) أى فمن شاهد منكم الشهر وتطره فليصمه ولما كان عموم ذلك يستلزم أن المريض والمسافر كليهما يصوم لانهما ممن شاهد الشهر بين أن ذلك الحكم غير شامل لهما بقوله (ومن

كان

سورة	آية

أى تجعلون بينكم وبين المعاصى والقبائح وقاية وحصنا بالصيام الذى كتبته عليكم فان الصيام يقلل الشهوة ويكسر سورتها لما فيه من ضعف القوة الدموية وذل النفس اللذين هما منشأ الشهوة والمحركات لها كما قال عليه الصلاة والسلام (يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء) وقد بين جل شأنه أن الصوم لمكانته من الدين وعلو درجته بما اشتمل عليه من كسر الشهوة التى ماشرعت جميع الشرائع ولا أنزلت جميع الاحكام الالهية الالتعديلها وايقافها عند حد الاعتدال وتزكية النفس وطهارتها وتنقيتها من الاخلاط الرديئة والاخلاق الرذيلة لم يجعله خاصا بهذه الامة المحمدية بل كانت مشروعيته عامة لهذه الأمة وسائر الأمم من قبلها واليه الاشارة بقوله تعالى (كما كتب على الذين من قبلكم) أى ليكون لكم فيهم أسوة ولتجتهدوا فى أدائه أكمل مما كان يفعله أولئك كما قال تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الآية) ولرحمته تعالى بخلقه ورأفته بهم لم يجعله جميع أيام العمر لئلا يشق على النفوس فتضعف عن حمله وأدائه بل جعله فى كل سنة (أياما معدودات) أى قلائل وهى شهر رمضان على ماسيأتى بيانه ولم يقف جل شأنه عند هذا الحد من الرأفة والرحمة بل تعطف وجعل أداءه قاصرا على من كان مقيما فى بلده صحيحا فى بدنه أما من كان مريضا مرضا يضره معه الصوم و يعسر عليه فيه. أو مسافرا فرخص له الفطر فى كلتا الحالتين وعوضه بدل ذلك أن يصوم عدة أيام المرض أو السفر من أيام أخر وهى التى يكون فيها صحيحا مقيما وهذا الذى أفاده تعالى بقوله (فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر)

بقى حكم الذين يحتملون الصوم مع المشقة الزائدة كالفلاحين والزراعين وأرباب الاعمال الشاقة فمثل هؤلاء يفطرون ويطعم الواحد منهم

سورة	آية

مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ
وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ١٨٥ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ
أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا
بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ١٨٦ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ
إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ
أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ
فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا
وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ
الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا
تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ
اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَتَّقُونَ

﴿معنى هذه الآيات الكريمات وبيان ما اشتملت عليه من الاحكام﴾

معناها أن الله سبحانه وتعالى قد فرض علينا الصيام وأودع فيه من الاسرار والحكم والفوائد والمنافع ما به يكبح الانسان نفسه عن الاسترسال فى شهواتها المفضية به الى الدمار والهلاك بما تجر اليه من المعاصى والمحرمات لانها وسيلة اليها والى ذلك الاشارة بقوله تعالى (لعلكم تتقون)

أى

آية	سورة

الانحطاط الى هذه الدرجة البهيمية وهى تغلب الشهوات بهذه الكيفية وحيث تغلبت القوة الشهوانية على القوة العقلية فلا غرابة اذا كان صاحبها أقل من الانعام انحطاطا وأخس منها مآلا

ومنها الشجاعة التى هى عماد الفضائل وذلك بجهاد الصائم نفسه وشهواته ذلك الجهاد الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم جهادا أكبر حيث قال (رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر) يريد جهاد النفس بكفها عن كل ماتشتهيه ومنعها عما تبتغيه

ولو أنى أردت استقصاء جميع فضائل الصوم ومنافعه وفوائده المادية والأدبية لم أجد للاحاطة بها سبيلا ويكفى ماأوردناه لطالب مستفيد ومعلم مفيد والله ولى التوفيق ومنه الرشد والسداد

(ولما اشتمل عليه الصوم من الفوائد والمنافع والآداب المتقدمة شرعه الله تعالى وبين أحكامه بقوله)

البقر ١٨٢ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ
عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ
فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ
وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ
خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ ١٨٤ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى
لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ
الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ

سورة	اية

ذلك من حسن السيرة وصفاء السريرة مابه يكون صاحبه من أجل الناس قدرا وأعظمهم فخرا وذكرا

ومنها الحياء وذلك لان الصائم وهو فى أشد الامكنة خفاء وأبعدها عن أعين الخلق رؤية لايجسر على متابعة نفسه فى الافطار وفى تعاطيها الفضول من الطعام أو أكل ماتشتهيه حياء من الله تعالى أن يراه حيث نهاه وفى ذلك من شدة المراقبة لجانب الحق جل وعلا مابه يكون صاحبه من أسعد السعداء وأتقى الاتقياء

ومنها الثبات وقوة العزيمة وذلك بما يقاوم به الصائم نفسه عند نزوعها الى الشهوات وركونها الى الدنىء من اللذات فتجده عند ذلك يقاومها بحزم ثابت وعزيمة صادقة فيتسلط عقله على نفسه بعد أن كانت متسلطة عليه ويظهر لها أنها صارت محكومة بعد أن كانت حاكمة فتيأس بذلك من اطاعته لها فى متابعتها فى شهواتها وعندذلك تكون السعادة الكبرى فان السعادة كل السعادة فى أن يملك الانسان نفسه لا فى أن تملكه نفسه

ومنها المروءة فان من حافظ على أداء هذه العبادة السرية فى أشد الامكنة خفية وبعده عن أعين الرائين لاشك أنه كامل المروءة عالى الهمة لان المروءة ليست شيأ سوى المحافظة على الاحوال التى تكون بها النفس على أفضل حالة وأكملها ولاشك أن محافظة الصائم على أداء هذه العبادة السرية وضبطه نفسه حتى فى خلواته من أعظم أحوال النفس الكمالية وأكمل خصائصها الذاتية

ومنها العفة التى هى أخص صفات الكمال للانسان وذلك بضبط الصائم نفسه عن رغباتها الشهوانية ومشتهياتها البهيمية والاقتصاد فى اللذات الجسمية التى من أمعن النظر قليلا فى المنكبين عليها وجد أنهم أشبه شئ بالانعام بل هم أضل سبيلا لانها خلقت وفى طبيعتها الاستعداد لهذه الشهوات مع عدم الوازع والرادع بخلافهم فان الخاصية التى امتازوا بها عنها وهى العقل لمن أكبر الزواجر وأمنع الحصون فى الحيلولة دون

ســورة	آيه	

يخنقه كل يوم يطالبه بما يأكل فيحتاج فى أداء هذا الدين لهذا الغريم الملازم ليخفف ثقل وطأته عليـه الى أن يدخل المداخـل فيكتسب من الحرام فيعصى ربه أومن الحلال فيذل وربما يحتاج الى أن يمد يد الطمع الى النـاس ويصير الجشع من لوازمه فيريق ماء وجهه فى سبيل التحصيل على لقيمات يسدّ بها جشعه وذلك غاية فى الذلة والدناءة وخسة النفس ولانريد من قلة الاكل مايضر بالصحة منها بل المـراد الاقتصاد وعـدم الافراط فى الطعام والشراب .

وأما الفوائد الادبيـة فهى كثيرة لاتكاد تحصى منها ذل النفس وانكسارها وزوال البطر والاشر الذى هو مبدأ الطغيان والغفلة عن الله تعالى لأن النفس لاتذل ولا تنكسر بشئ أكثر من الجوع فاذا ذلت سكنت لربها وخشـعت ووقفت على عجزها وذلها حيث ضاقت حيلها بسبب لقـمة طعام فاتتها وأظلمت عليها الدنيـا لشربة ماء تأخرت عنها ومنها صـفاء القلب وتوقد القريحة وتنور البصـيرة فان الصوم من أهم الأسباب فى ذلك لان قلة الاخلاط فى المعدة تسبب عدم تكاثف الابخرة فى الدماغ التى تغطى الفكر وتحول دون سرعة الادراك .

ومنها الشـفقة والرحمة بالمساكين فان الصائم عند مايحس بألم الجوع يتصور حالة الفقير المحزنة فيرق قلبه اليه و يعطف بالتصدق عليه فينال بذلك ماعند الله تعالى من حسن الجزاء .

ومنها الصبر بمقـاومة آلام الجوع والعطش ولو رغبته باعظم الرغائب على أن يتناول من الطعام ذرة أومن الشراب قطرة لما وسعه ذلك ووجد لذلك فى نفسه مايكدر خاطره وينغص عيشه

ومنها الامانة وعدم الخيانة فيما عهد اليه من هذه العبادة السرية فان الصائم تجده وهو فى خلوته واحتجابه عن أعين الناس شديد الحرص على حفظ ماائتمن عليه من هـذه العبادة السرية التى ليس فيها عمل يشاهد ومن كانت هذه حالته فهو جدير بأن يؤتمن على أنفس شئ وأعظمه وفى

سوره	آية	

قاتله أو شاتمه فليقل انى صائم) أى انما الصوم وقاية يتحصن بها الصائم من شر عدويه (النفس والشيطان) فالنفس بكبحها عن الاسترسال فى شهواتها ومتابعتها فى غلوائها وامساك زمامها بما يحول دون تنفيذ رغباتها واخماد نار سورتها وكسر شوكتها والشيطان بقهره بمدافعة تلك الشهوات التى هى وسائله وانما تقوى تلك الشهوات بالاكل والشرب ولذا يقول صلى الله عليه وسلم (ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع) وحقيقة فان الصوم بدون أثره لاجدوى له ولا فائدة فيه اذ أى فائدة فى تأخير أكلة وجمع أكلتين عند العشاء مع الانهماك فى الشهوات الاخر طول النهار ولو كان لمثله فائدة فأى معنى لقوله صلى الله عليه وسلم (كم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش) وحيث كان المقصود من الصوم هو كف النفس عن الشهوات وكف الجوارح عن الآثام والمعاصى والمنكرات فهو حقيق بأن يكون من أعظم القربات وأفضل العبادات وجدير بأن ينسبه الله تعالى الى نفسه فيما حكاه عنه نبيه صلى الله عليه وسلم حيث يقول (كل حسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف الا الصيام فانه لى وأنا أجزى به) وللصوم غير ماذكر فوائد بدنية ومالية وأدبية

أما الفوائد البدنية فصحة البدن ودفع الامراض عنه فان سببها فى الغالب الاكل والشرب وحصول فضلة الاخلاط فى المعدة وناهيك بما يترتب على المرض من تشويش الفكر واشتغال القلب وتنغيص العيش ومقاساة الآلام الشديدة وعدم القدرة على أداء الفرائض الدينية والحاجة الى الدواء والطبيب وما يحتاج معه الى المؤن والنفقات والى ذلك الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام (البطنة أصل الداء والحمية رأس الدواء)

وأما الفوائد المالية فخفة المؤنة فان من تعود قلة الاكل والشرب كفاه من المال قدر يسير والذى تعود الشبع صار بطنه غريما ملازما له آخذا

آية	سورة

وأمرها مع ذلك بمجاهدتها بما منحها من سلاح الصبر والتقوى بمصداق قوله تعالى (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد) ولا يتحقق ذلك الاثر الابكف اللسان عن الهذيان والفحش والغيبة والنميمة والكذب والمراء والخصومة والزامه السكوت وشغله بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن – وكف السمع عن الاصغاء الى كل مكروه لان ماحرم قوله حرم الاصغاء اليه ولذا يقول الله تعالى (وقد نزل عليكم فى الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره انكم اذا مثلهم) ويقول صلى الله عليه وسلم (المغتاب والمستمع شريكان فى الاثم) – وكف البصر عن النظر الى كل ما يذم ويكره والى كل مايشغل القلب عن ذكر الله تعالى ولذا يقول صلى الله عليه وسلم (النظرة سهم مسموم من سهام ابليس لعنه الله فمن تركها خوفا من الله آتاه الله عزوجل ايمانا يجد حلاوته فى قلبه) وكف بقية الجوارح من اليد والرجل وغيرهما عن الآثام وارتكاب المحرمات

❁ والى أن المقصود من الصوم ماذكر لا مجرد منع النفس عن الاكل والشرب والوقاع وغيرها من المفطرات يشير الله تعالى بقوله فى الآية الآتية (ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) أى لعلكم تجعلون بسبب الصوم وقاية تحول بينكم وبين الشهوات والمنكرات بل وكل الموبقات على ماسيأتى بيانه ويشير صلى الله عليه وسلم بقوله (يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء) ويقول صلى الله عليه وسلم (انما الصوم جنة فاذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل وان امرؤ

سورة	آية

لانها خير الادعية وأجمعها ومما حفظ من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم على الميت اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدنا وغائبنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وأنثانا اللهم من أحييته منا فأحيه على الاسلام ومن توفيته منا فتوفه على الايمان اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده واللهم ان فلان ابن فلان فى ذمتك وحبل جوارك فقه من فتنة القبر وعذاب النار وأنت أهل الوفاء والحق اللهم اغفر له وارحمه انك أنت الغفور الرحيم واللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الابيض من الدنس وأبدله دارا خيرا من داره وأهلا خيرا من أهله وزوجا خيرا من زوجه وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار

صلاة العيدين

هى واجبة لقوله تعالى (ولتكبروا الله على ما هداكم) اذ المراد بالتكبير صلاة العيد على أحد التأويلات فى ذلك وهى ركعتان يفتتحهما بتكبيرة الاحرام ثم يكبر بعدها ثلاثا يرفع يديه فى كل مرة ثم يقرأ فاتحة الكتاب وسورة جهرا ثم يكبر تكبيرة يركع بها ثم يسجد ثم يقوم فيقرأ الفاتحة وسورة ثم يكبر ثلاثا كذلك ثم يكبر تكبيرة يركع بها ثم يسجد ويتشهد ويسلم

النوع الثانى من أنواع العبادات



عرفه الفقهاء بأنه الامساك عن الاكل والشرب ومباشرة الرجل امرأته وعن كل مفطر من الفجر الى الغروب بنية خالصة لله عز وجل

واعلم أن هذا الامساك ليس أمرا مقصودا لذاته وانما المقصود أثره وهو كف النفس عن الاسترسال فى شهواتها التى زينها الله لها

واصرها

آية	سورة

بالطائفة الاولى ركعتين وبالثانية ركعتين ان كانت رباعية وركعة ان كانت ثلاثية على نسق ماتقدم فى الثنائية وانما سقطت القراءة عن الطائفة الاولى لانهم فى حكم المتابعة فكانت قراءة الامام قائمة مقام قراءتهم كما هو حكم الاقتداء ولا كذلك الطائفة الأخرى لانهم مسبوقون فلا بدلهم من القراءة اذلم يكونوا مقتدين بالامام حينئذ وفيها كيفيات أخرى أعرضنا عن ذكرها خوف الاطالة والله ولى التوفيق ومنه الرشد والسداد

صلاة الجنازة

قد فرضت الشريعة الاسلامية فرض كفاية وهو ما اذا قام به البعض سقط عن الباقين أن يصلى على من مات من المسلمين صلاة مخصوصة ليست بذات ركوع ولا سجود تسمى صلاة الجنازة وهى خاصة بالمسلمين دون غيرهم فلا تجوز على كافر ولذا نهى الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصلى على ابن أبى وكان مشركا بقوله (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) وذلك أن ابن أبى لما مرض دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه سأله أن يستغفر له ويكفنه فى شعاره الذى يلى جسده ويصلى عليه فلما مات أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلى عليه فنزلت الآية المتقدمة بالمنع

وانما شرعت هذه الصلاة على الميت لان فى اجتماع أمة من المؤمنين يدعون له تأثيرا بليغا فى نزول الرحمة به

وصفة الصلاة عليه أن يقوم الامام (ان كان) بحيث يكون الميت بينه وبين القبلة ويصف الناس خلفه ويكبر أربع تكبيرات يدعو فيها للميت ثم يسلم وهذا ماتقرر فى زمان عمر رضى الله عنه واتفق عليه جماهير الصحابة رضوان الله عليهم ومن بعدهم ومن السنة قراءة فاتحة الكتاب

آيه	سورة

وهو قوله تعالى (ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم) وقد أشار الله سبحانه وتعالى الى علة الأمر بأخذ الحذر بقوله (ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا) أى ان الله أعد لهم عذاب المغلوبية لكم ونصرتكم عليهم فاهتموا بأموركم ولا تهملوا مباشرة الاسباب كى يعذبهم بأيديكم

بقى أن الآية الكريمة لم تبين كم تصلى كل طائفة من الطائفتين وقد وردت صلاة الخوف فى السنة المطهرة على أنحاء مختلفة وصفات متعددة وكلها صحيحة مجزئة من فعل واحدة منها فقد فعل ما أمر به

فمن ذلك ماورد فى كيفيتها أن يصلى الامام بطائفة ركعة فاذا قام للثانية فارقته وأتمت وذهبت الى وجه العدو وجاء الواقفون فى وجهه والامام ينتظرهم فاقتدوا به وصلى بهم الركعة الثانية فاذا جلس للتشهد قاموا فأتموا ثانيتهم ولحقوه وسلم بهم وهذه صلاته صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع

ومن ذلك أيضا ماروى أنه كان صلى الله عليه وسلم فى قتال وأقيمت الصلاة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصفت طائفة وطائفة وجوهها قبل العدو فصلى بهم ركعة وسجد بهم سجدتين ثم انطلقوا الى أولئك فقاموا مقامهم وجاء أولئك فقاموا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ركعة وسجد بهم سجدتين ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس فسلم وسلم الذين خلفه وسلم الاولون فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتان وللقوم ركعة ركعة كما هو ظاهر الآية

ومن ذلك مارواه ابن مسعود أيضا من أنه صلى الله عليه وسلم صلى بالطائفة الاولى ركعة وبالطائفة الأخرى ركعة كما فى الآية فجاءت الطائفة الاولى وذهبت هذه الى مقابلة العدو حتى قضت الاولى الركعة الاخرى بلا قراءة وسلموا ثم جاءت الطائفة الاخرى وقضوا الركعة الاولى بقراءة حتى صار لكل طائفة ركعتان والى هذه الرواية ذهب أبو حنيفة والى الاولى ذهب مالك والشافعى فى أحد الانواع التى اختارها وهذا فى الثنائية وفى غيرها يصلى

بالطائفة

سورة	آية	

﴿الغرض من هذه الآية الكريمة وبيان معناها﴾

الغرض منها تعليم الله نبيه صلى الله عليه وسلم ومن بعده من الأئمة اذهم نواب عنه فيقومون بما كان يقوم به صلاة الخوف أى الصلاة وقت اشتباك القتال والخوف من العدو وذلك بقوله تعالى له صلى الله عليه وسلم (واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك) الآية أى اذا كنت يا محمد فى أصحابك وشهدت معهم القتال وأردت اقامة الصلاة بهم فاجعلهم طائفتين (فلتقم طائفة منهم معك) فصل بهم (وليأخذوا أسلحتهم) أى معهم فلا يضعونها وقت الصلاة ليمكنهم تناولها من قرب اذا احتاجوا اليها وليكون ذلك أقطع لرجاء عدوهم من امكان فرصة فيهم (فاذا سجدوا) أى القائمون فى الصلاة بأن فرغوا منه وأتموا الركعة (فليكونوا من ورائكم) أى فلينصرفوا بعد تمام الركعة ويقفوا وراءكم للحراسة من العدو (ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك) أى ولتأت الطائفة الأخرى التى كانت تجاه العدو بعد انصراف الطائفة الاولى ليقفوا تجاه العدو بدلهم ليصلوا مع الامام الركعة الثانية (وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم) أى وليأخذوا أسلحتهم معهم مع كمال تيقظهم واحتراسهم لأن العدو يود لو ينال منهم غرة فيحمل عليهم حملة واحدة تكون فيها البلية الكبرى والمصيبة العظمى ولذا يقول الله تعالى فى بيان مالأجله أمروا بأخذ السلاح مع شدة التيقظ والحذر (ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) أى ودوا غفلتكم عن أخذ السلاح وعن الحذر اذا قمتم الى الصلاة ليصلوا الى مقصودهم وينالوا فرصتهم فيشدون عليكم شدة واحدة ويحملون عليكم حملة واحدة أى فاحذروهم لتحولوا بينهم وبين نوال مقصودهم فيكم

ومحل ذلك اذا لم يثقل عليهم حملها ويصعب عليهم استصحابها بسبب مرض أو مطر أما اذا ثقل فقد رخص الشارع فى عدم حملها وأخذها

سورة	آية	
		فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته أولانه صلى الله عليه وسلم قصر فى السفر مع الأمن وتواتر عنه ذلك فصار القصر مع الخوف ثابتا بالكتاب والقصر مع الأمن ثابتا بالسنة ومفهوم الشرط لايقوى على معارضة ماتواتر عنه صلى الله عليه وسلم من القصر مع الأمن وأدنى مدة السفر التى تقصر فيها الصلاة مسيرة ثلاثة أيام بلياليها بالسير الوسط وهو بسير الابل ومشى الاقدام مع الاستراحات المعتادة
		صلاة الخوف
		هى الصلاة التى تكون وقت اشتباك القتال مع العدو
		﴿وقد بين جل شأنه كيفيتها لنبيه صلى الله عليه وسلم ولمن بعده من المؤمنين بقوله﴾
النساء	١٠١	وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا

(الغرض)

سورة	آية	
		والمشاق القاضية بالتقاعد والتساهل خفف الله عليه وحط عنه من عدد الركعات فيما يعوزه أن يحط عنه لكثرة ركعاته وهى الصلوات الرباعية التى هى الظهر والعصر والعشاء أما الثنائية كالصبح والثلاثية كالمغرب فلا قصر فيهما كما وردت بذلك السنة لعدم المقتضى
		﴿وقد بين الله تعالى حكم هذه الصلاة والزمن الذى تكون فيه بقوله﴾
النساء	١٠٠	وَاذَا ضَرَبْتُمْ فِى الْاَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ اِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا اِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا
		﴿ماتفيده هذه الآية الكريمة﴾
		تفيد بيان حكم الصلاة فى حال السفر وهو أنها تقصر مع عدم نفى الحرج والضيق فى ذلك أخذا من قوله تعالى (واذا ضربتم فى الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) أى واذا سافرتم فى الارض وقصرت السنة مايقصر من الصلوات على الصلوات الرباعية التى هى الظهر والعصر والعشاء سواء كان ذلك فى حال الامن أو فى حال الخوف ولامفهوم لقوله تعالى (ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) أى يغتالوكم ويقتلوكم فى الصلاة لانه خرج مخرج الغالب لأن الغالب على المسلمين وقت نزول هذه الآية القصر للخوف فى الأسفار ولهذا قال يعلى بن أمية سألت عمر بن الخطاب قلت ليس عليكم حرج أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا وقد أمن الناس فقال لى عمر عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك

سورة	آية	
		كما ترشد الى تحريم البيع والشراء عند ذلك النداء وهو الاذان الذى كان يفعل بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج فجلس على المنبر فأما الاذان الاول الذى زاده أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه لكثرة الناس فهذا لايحرم عنده البيع ولا الشراء وبعد أن نهى جل شأنه عن البيع والشراء عند الاذان كر الى تكرير النهى ببيان أن تركهما خير من فعلهما فقال (ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) أى تركُكم البيع والشراء واقبالكم الى ذكر الله والى الصلاة خير لكم أى فى الدنيا والآخرة ان كنتم تعلمون أى ان كنتم من أهل العلم فانه لايخفى عليكم أن ذلكم خير لكم من مصالحكم هذا ولما حجر جل شأنه عليهم فى التصرف بعد النداء وأمرهم بالاجتماع أذن لهم بعد الفراغ فى الانتشار فى الارض والابتغاء من فضل الله فقال (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله) أى اذا فعلتم الصلاة وفرغتم منها فانتشروا وتفرقوا فى الارض للتجارة فيما تحتاجون اليه من أمر معاشكم واطلبوا من فضل الله ورزقه ثم قال جل شأنه (واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) أى واذكروه كثيرا بالشكر له على ماهداكم اليه من الخير الاخروى والدنيوى وبكل مايقربكم اليه من الاذكار كالتسبيح والتحميد والتكبير والاستغفار ونحو ذلك ولا تقصروا ذكره على الصلاة
		صلاة القصر
		اعلم أن الصلاة من أجلّ القربات وأفضل العبادات ولذا لم يبح الشارع التخلف عنها ولا التساهل فيها بحال من الاحوال مهما توالت الضرورات وتتابعت الاعذار غير أن الله تعالى لرحمته بعباده ورأفته بهم قد خفف المؤنة عليهم فى أدائها بقصر بعضها على عدد مخصوص من الركعات فى حال ما اذا كان الانسان مسافرا لما يعتوره فيه من الآلام

والمشاق

سورة	آية	
		ليخطبهم امامهم فيها ويبين لهم معالم دينهم ويرشدهم الى مافيه صلاح حالهم واستقامة أحوالهم وذلك غير ممكن فى غير يوم الجمعة وانما كانت الصلاة فى هذا اليوم ركعتين ولم تكن أربعا كبقية الايام لان كل صلاة تجمع الاقاصى والادانى فانها شفع واحد لئلا تثقل عليهم وفيهم الضعيف والسقيم وذو الحاجة وكانت القراءة فيها جهرا ليكون أمكن لتدبرهم القرآن فيعملوا بما فيه ويتعظوا بمواعظه ويقفوا عند حدوده وما سنه من القوانين والشرائع
		(وقد أمر الله المؤمنين بالاجتماع لعبادته فى هذا اليوم فقال)
الجمعه	٩	يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اِذَا نُودِىَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا اِلَى ذِكْرِ اللّٰهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ اِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ١٠ فَاِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِى الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللّٰهِ وَاذْكُرُوا اللّٰهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ
		(ماترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان)
		ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الى الحث على الاهتمام بأمر الصلاة اذا نودى اليها فى يوم الجمعة وأذن لها وهذا هو المراد بالسعى فى قوله تعالى (فاسعوا الى ذكر الله) أى اقصدوا واعمدوا واهتموا فى سيركم الى ذكر الله يعنى الصلاة وليس المراد بالسعى المشى السريع لانه منهى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اذا سمعتم الاقامة فامشوا الى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولاتسرعوا فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا)

سورة	آية

كلمة الله هى العليا وأن لاذين فى الارض أعلى من دين الاسلام فلهذه المعانى انصرفت العناية التشريعية الى شرع الجمعة والجماعات والترغيب فيها وتغليظ النهى عن تركها فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (والذى نفسى بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحتطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ثم آمر رجلا فيؤمّ الناس ثم أخالف الى رجال لايشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم) وقوله صلى الله عليه وسلم (صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ (أى المنفرد) بسبع وعشرين درجة)

ثم لما كان فى شهود الجماعة حرج للضعيف والسقيم وذى الحاجة اقتضت الحكمة أن يرخص لهم فى تركها . فمن أنواع الحرج ليلة ذات برد ومطر وحاجة يعسر التربص بها كالعَشاء اذا حضر فان النفس ربما تنشغل به وتتشوف اليه فى الصلاة فيضيع المقصود منها والخوف والمرض

ثم وقعت الحاجة الى بيان الاحق بالامامة وكيفية الاجتماع ووصية الامام أن يخفف بالمأمومين والمأمومين أن يحافظوا على اتباعه فبين ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله (يؤمّ القوم أقرؤهم لكتاب الله (أى أعلمهم به ولا يكون كذلك الا اذا كان عالما باحكام الصلاة) فان كانوا فى القراءة سواء فأعلمهم بالسنة فان كانوا فى السنة سواء فأقدمهم هجرة فان كانوا فى الهجرة سواء فأقدمهم سنا ولا يؤمّنّ الرجل الرجل فى سلطانه) أى فى محل حكمه وقوله صلى الله عليه وسلم (اذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فان فيهم السقيم والضعيف والكبير واذا صلى أحدكم لنفسه فليطوّل ماشاء) وقوله صلى الله عليه وسلم (ليلينى منكم أولو الاحلام والنُّهى ثم الذين يلونهم ثلاثا واياكم وهيشات الاسواق) أى اللغط ورفع الاصوات الذى من شأنه أن يكون فى الاسواق وقوله صلى الله عليه وسلم (ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها فقلنا يارسول الله وكيف تصف الملائكة عند ربها قال يتمون الصفوف الاولى ويتراصون فى الصف) وأوكد هذه الجماعات جماعة الجمعة فانها لاتصح الا فى جماعة وذلك

آية	سورة

الانسانية فان ستر العورة هو ذلك الامر الذى امتاز به الانسان عن سائر البهائم وهو أحسن حالاته الامن قضى الله عليهم من نوع الانسان بالالتحاق بالبهيمية فانهم لايستترون عوراتهم فمثل هؤلاء أشبه شئ بالبهائم ولستر العورة حدان حدلابدمنه وهوالذى الكلام فيه أى الذى هو شرط صحة الصلاة وحدّ هو مندوب اليه فالأول ستر السوأتين وهوآكدهما وألحق بهما الفخذان وهذا بالنسبة للرجل أماالمرأة فسائر بدنها لقوله صلى الله عليه وسلم (لاتقبل صلاة حائض الابخمار) والمراد بالحائض البالغة والثانى ماأفاده صلى الله عليه وسلم بقوله (لايصلين أحدكم فى الثوب الواحد ليس على عاتقه منه شئ)والله أعلم

صلاة الجمعة والجماعة

اعلم أن لله تعالى على عباده نعما لاتعد ومننا لايحصيها أحد فمن ذلك أنه علم أن أهل البلد الواحد يحتاجون الى بعضهم احتياج بعض أجزاء الجسم الى البعض الآخر منه لان منهم الغنى والفقير والعالم والجاهل والقوى والضعيف والكل محتاج الى الآخر فيجتمعون فى الصلاة لتتحد كلمتهم وتتوثق عرى المودة والمحبة فيما بينهم ويتعاونون على مايجلب لهم الخير ويدفع عنهم الضير ويطلع الغنى على شئون الفقير فيتصدق عليه ويحسن اليه ويسترشد الجاهل من العالم فى جميع أموره الدينية والدنيوية ويستعين الضعيف بالقوى فى قضاء مهامه وأيضا فلاجتماع المسلمين فى مكان واحد ووجهة الكل واحدة وهى التوجه الى الله تعالى راغبين فيما عنده من الثواب راجين راهبين منه متضرعين اليه متذللين بين يديه مسلمين وجوههم اليه خاصية عجيبة فى نزول البركات وأيضا فاجتماع المسلمين خاصتهم وعامتهم وحاضرهم وباديهم وصغيرهم وكبيرهم للصلاة وهى من أعظم شعائر الدين وأشهر طاعته مما يجعل

سورة	آية

ومعنى الآية الشريفة قد نرى تقلب وجهك وتحوله الى جهة السماء يعنى متطلعا الى الوحى ومتشوقا للامر باستقبال الكعبة فابشر فلنعطينك مطلوبك ومرغوبك من تحولك الى الكعبة وتوجهك فى الصلاة شطرها وجهتها وهى المرادة بالمسجد الحرام فى قوله تعالى (فول وجهك شطر المسجد الحرام) وعبر عنها بالمسجد الحرام اشارة الى أنه يكفى البعيد عنها محاذاة جهتها وان لم يصب عينها ثم خاطب جل شأنه أمته صلى الله عليه وسلم بقوله (وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) أى فى أى مكان وجدتم من بر أو بحر أو فى أى جهة من جهات الارض شرقا وغربا وشمالا وجنوبا فولوا وجوهكم شطره أى نحو البيت وتلقاءه وهذا يقضى بايجاب استقبال الكعبة فى كل صلاة فرضا كانت أو نفلا فى كل مكان حضرا أو سفرا

وفى معنى هذه الآية مما يوجب استقبال القبلة قوله تعالى (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشونى ولأتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون) فان فيه الامر باستقبال الكعبة مكررا لزيادة التأكيد

(ومن الشروط المتقدمة للصلاة ستر العورة)

وذلك لما فيه من تعظيم الصلاة وتحقيق أدب المناجاة بين يدى رب العالمين اذ أى شخص عنده أدنى مسكة من العقل يرى من أقبح القبائح وأفظع المنكرات وأكبر المثالب والمعايب أن يقف بين يدى مخلوق مثله مكشوف العورة بادى البشرة فكيف برب الارباب خالق الارض والسموات الذى خلقه وصوره وفى أحسن صورة ركبه فضلا عما فى كشف العورة من الاخلال بما تقتضيه الطبيعة البشرية والانسلاخ عن أحكام

الانسانية

سورة	آية	
		عليه وسلم (جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وبيعكم وشراءكم وخصوماتكم ورفع أصواتكم) وكذلك نهى عن مرور الحائض فيها اذا خيف تقاطر شئ من الدم منها فيحصل التلويث وكذا كل شئ يحصل منه التلويث أو النجاسة فيها فهو منهى عنه
		﴿وقال تبارك اسمه فى بيان اشتراط استقبال القبلة﴾
البقرة	١٤٤	قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ
		﴿ماتفيده هذه الآية الكريمة﴾
		تفيد هذه الآية الكريمة بيان القبلة التى حوّل الله اليها نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وهى الكعبة بعد أن كان يتولى قبلة غيرها وهى بيت المقدس استقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا وكان قد ألهم أن سيولى الكعبة فكان يدعو الله أن يجعل بما ألهمه وينظر الى السماء ويقلب وجهه فيها فأنزل الله عليه (قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) فصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقبل الكعبة بعد ذلك وصارت قبلته فى الصلاة فارتاب من ذلك اليهود وقالوا ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها فردّ الله عليهم بقوله (قل لله المشرق والمغرب) وقال (فأينما تولوا فثم وجه الله) وقال (وماجعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه) والشطر الجهة والناحية

سورة	آية

أى بالتراب على معنى أنه يرفع ماقام بكم من الحدث المانع من الصلاة لاعلى معنى أنه يزيل النجاسة لان الحدث ليس نجاسة بلا خلاف وليتم أى بذلك نعمته عليكم بالتخفيف ودفع الحرج والضيق عنكم لعلكم تشكرون هذه النعمة بطاعتكم اياه فيما أمركم به ونهاكم عنه

(وقال جل شأنه فى بيان اشتراط طهارة الخبث فى المكان الصلاة)

وَعَهِدْنَا الَى ابْرٰهِيمَ وَاسْمٰعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ

(ماتفيده هذه الآية الكريمة)

تفيد وجوب طهارة المساجد من الاخباث والنجاسات وذلك لما أمر الله به نبيه ابراهيم عليه السلام وابنه اسمعيل عليه السلام من تطهير بيته وهو الكعبة للطائفين وهم الذين يدورون حوله والعاكفين وهم المقيمون بمكة والركع السجود وهم المصلون وخص هذين الركنين لانهما أشرف أركان الصلاة ففى الآية أمر بتطهير المساجد للمصلين وفى ذلك من اشتراط طهارة المكان مالايخفى وقد أفاد الله تعالى ذلك أيضا فى آية أخرى وهى قوله تعالى (فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ماعملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب) فان معنى أذن الله أن ترفع أمر الله أن تطهر من النجاسات والاوساخ والدنس واللغو والاقوال والافعال التى لاتليق بها وهذا صريح فى اشتراط طهارتها وعلى اشتراط طهارة المساجد نهى عن وجود الصبيان والمجانين فيها لما يترتب على وجودهما فيها من تقذيرها وتلويثها بالنجاسات لانهم لا يعقلون شيأ وذلك قوله صلى الله

آية	سورة

وأنتم جنب أومحدثون أو جاء أحد منكم من الغائط أى المكان المنخفض وهو كناية عن الحدث لان العادة أن من يريده يذهب اليه ليوارى شخصه فيه عن أعين الناس أولا مستم النساء أى جامعتموهن فلم تجدوا مع كل ذلك ماء لتتطهروا به للدخول فى الصلاة (وهو راجع لما عدا المرضى) فتيمموا صعيدا طيبا أى فاستعيضوا عن الماء لعدم وجودكم له أو عدم قدرتكم على استعماله بشئ من أجزاء الارض طاهر فاقصدوه وكيفية هذا العمل المستعاض به عن الوضوء أو الغسل بينها الله تعالى بقوله (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه) أى من هذا الصعيد وذلك بأن يضرب بيديه على هذا الصعيد الطاهر ضربتين يمسح باحداهما وجهه فيستوعبه بالمسح وبالاخرى يديه الى المرفقين مستوعبا لهما كذلك

هذا وانما خص الصعيد لان التيمم انما شرع لدفع الحرج الذى نشأ من عدم وجود الماء وهو لايكاد يفقد فهو أحق ما يرفع به الحرج ولما فيه من التذلل والانكسار والخضوع التى تنشأ من تعفير الوجه وهو أشرف عضو فى الانسان بأخس الاشياء وهو التراب

وانما لم يفرق بين بدل الوضوء والغسل بأن يكون بدل الوضوء التيمم بالكيفية المتقدمة وبدل الغسل التمرّغ فى التراب مثلا لان التمرغ فيه بعض الحرج فلا يصلح رافعا للحرج

ولعل سر التيمم ما فيه من تهذيب النفس وخضوعها وقبولها تعفير أشرف عضو فى الانسان وهو الوجه بأخس الاشياء وهو التراب فضلا عما فيه من نعمة التخفيف وعدم الحرج والضيق المشار لها بقوله تعالى (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون) أى ما يريد الله بمشروعية التيمم لكم ليجعل عليكم من حرج أى ضيق فلذا سهل لكم ولم يعسر بل أباح التيمم عند المرض وعند فقد الماء توسعة عليكم ورحمة بكم ولكن يريد ليطهركم

سورة	آية

ولعل سر ذلك والله أعلم تنشيط البدن وازالة مابه من الفتور والضعف اللذين حصلا عقب الوقاع وذلك لان عقبه يحصل له فتور عام فى قواه البدنية بسبب استرخاء الجسم وهو وجدانى يجده كل من باشر هذه الحالة وسببه أن الاعصاب والعضلات عنده قامت بأعمال زائدة فقدت بها مقدارا عظيما من قوتها واستهلكت جزأ وافرا من أنسجتها ففرض الشارع الحكيم الغسل من الجنابة لاسترجاع تلك القوة المفقودة وازالة ذلك الفتور الذى حصل من هذا النقص وأيضا فانه فى حالة المباشرة قد استولى على قلبه الغفلة عن الله تعالى فبالغسل يزيل حجاب تلك الغفلة التى استولت على قلبه وجميع جوارحه مدة المباشرة فيرجع الى الله تعالى ويتذكر عظمته فيطهر عند ذلك قلبه من كل الذنوب وجميع الشواغل الدنيوية بالتوبة والرجوع الى الله تعالى فيحجم عن العصيان ويهجر أمانى الشيطان وفى الغسل غير ذلك من الفوائد كتنظيف الجسم من الاعيان المستقذرة الخارجة مع العرق من جميع أجزاء الجسم التى ببقائها يختل نظام أعمال الاعضاء

ومحل الوضوء والغسل بالكيفية المتقدمة اذا لم يكن المصلى مريضا مرضا يخشى معه الضرر باستعمال الماء أوكان مسافرا ولم يجد ماء أو وجده وكان قليلا يخشى باستعماله الهلاك من العطش أوفقد الماء بسبب من الاسباب مع تحقق ما يوجب استعماله من الحدث الاصغر أوالاكبر فيجب التيمم فى هذه الاحوال كلها وكيفيته أن يضرب بيديه على شئ من أجزاء الارض طاهر ضربتين يمسح باحداهما وجهه وبالاخرى يديه الى المرفقين وقد بين الله ذلك كله بقوله (وان كنتم مرضى أوعلى سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أولامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه مايريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون) أى وان كنتم مرضى مرضا تخشون الضرر معه باستعمال الماء أوكنتم مسافرين

سورة	آية	
		الانسانية فان ستر العورة هو ذلك الامر الذى امتاز به الانسان عن سائر البهائم وهو أحسن حالاته الامن قضى الله عليهم من نوع الانسان بالالتحاق بالبهيمية فانهم لايسترون عوراتهم فمثل هؤلاء أشبه شئ بالبهائم ولستر العورة حدان حد لابدمنه وهوالذى الكلام فيه أى الذى هو شرط صحة الصلاة وحد هو مندوب اليه فالأول ستر السوأتين وهوآكدهما وألحق بهما الفخذان وهذا بالنسبة للرجل أماالمرأة فسائر بدنها لقوله صلى الله عليه وسلم (لاتقبل صلاة حائض الابخمار) والمراد بالحائض البالغة والثانى ماأفاده صلى الله عليه وسلم بقوله (لايصلين أحدكم فى الثوب الواحد ليس على عاتقه منه شئ) والله أعلم
		صلاة الجمعة والجماعة
		اعلم أن الله تعالى على عباده نعما لاتعد ومننا لايحصيها أحد فمن ذلك أنه علم أن أهل البلد الواحد يحتاجون الى بعضهم احتياج بعض أجزاء الجسم الى البعض الآخر منه لان منهم الغنى والفقير والعالم والجاهل والقوى والضعيف والكل محتاج الى الآخر فيجتمعون فى الصلاة لتتحد كلمتهم وتتوثق عرى المودة والمحبة فيما بينهم ويتعاونون على مايجلب لهم الخير ويدفع عنهم الضير ويطلع الغنى على شئون الفقير فيتصدق عليه ويحسن اليه ويسترشد الجاهل من العالم فى جميع أموره الدينية والدنيوية ويستعين الضعيف بالقوى فى قضاء مهامه وأيضا فلاجتماع المسلمين فى مكان واحد و وجهة الكل واحدة وهى التوجه الى الله تعالى راغبين فيما عنده من الثواب راجين راهبين منه متضرعين اليه متذللين بين يديه مسلمين وجوههم اليه خاصية عجيبة فى نزول البركات وأيضا فاجتماع المسلمين خاصتهم وعامتهم وحاضرهم وباديهم وصغيرهم وكبيرهم للصلاة وهى من أعظم شعائر الدين وأشهر طاعته مما يجعل

سورة	آية	
		ومعنى الآية الشريفة قد نرى تقلب وجهك وتحوله الى جهة السماء يعنى متطلعا الى الوحى ومتشوقا للامر باستقبال الكعبة فابشر فلنعطينك مطلوبك ومرغوبك من تحولك الى الكعبة وتوجهك فى الصلاة شطرها وجهتها وهى المرادة بالمسجد الحرام فى قوله تعالى (فول وجهك شطر المسجد الحرام) وعبر عنها بالمسجد الحرام اشارة الى أنه يكفى البعيد عنها محاذاة جهتها وان لم يصب عينها ثم خاطب جل شأنه أمته صلى الله عليه وسلم بقوله (وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) أى فى أى مكان وجدتم من بر أو بحر أو فى أى جهة من جهات الارض شرقا وغربا وشمالا وجنوبا فولوا وجوهكم شطره أى نحو البيت وتلقاءه وهذا يقضى بايجاب استقبال الكعبة فى كل صلاة فرضا كانت أو نفلا فى كل مكان حضرا أو سفرا
		وفى معنى هذه الآية مما يوجب استقبال القبلة قوله تعالى (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشونى ولأتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون) فان فيه الامر باستقبال الكعبة مكررا لزيادة التأكيد
		(ومن الشروط المتقدمة للصلاة ستر العورة)
		وذلك لما فيه من تعظيم الصلاة وتحقيق أدب المناجاة بين يدى رب العالمين اذ أى شخص عنده أدنى مسكة من العقل يرى من أقبح القبائح وأفظع المنكرات وأكبر المثالب والمعايب أن يقف بين يدى مخلوق مثله مكشوف العورة بادى البشرة فكيف برب الارباب خالق الارض والسموات الذى خلقه وصوره وفى أحسن صورة ركبه فضلا عما فى كشف العورة من الاخلال بما تقتضيه الطبيعة البشرية والانسلاخ عن أحكام

الانسانية

سورة	آية	
		عليه وسلم (جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وبيعكم وشراءكم وخصوماتكم ورفع أصواتكم) وكذلك نهى عن مرور الحائض فيها اذا خيف تقاطر شئ من الدم منها فيحصل التلويث وكذا كل شئ يحصل منه التلويث أو النجاسة فيها فهو منهى عنه
		(وقال تبارك اسمه في بيان اشتراط استقبال القبلة)
البقرة	١٤٤	قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ
		(ماتفيده هذه الآية الكريمة)
		تفيد هذه الآية الكريمة بيان القبلة التى حول الله اليها نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وهى الكعبة بعد أن كان يتولى قبلة غيرها وهى بيت المقدس استقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا وكان قد ألهم أن سيولى الكعبة فكان يدعو الله أن يعجل بما ألهمه وينظر الى السماء ويقلب وجهه فيها فأنزل الله عليه (قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) فصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقبل الكعبة بعد ذلك وصارت قبلته فى الصلاة فارتاب من ذلك اليهود وقالوا ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها فرد الله عليهم بقوله (قل لله المشرق والمغرب) وقال (فأينما تولوا فثم وجه الله) وقال (وماجعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه) والشطر الجهة والناحية

سورة	آية

أى بالتراب على معنى أنه يرفع ماقام بكم من الحدث المانع من الصلاة لاعلى معنى أنه يزيل النجاسة لان الحدث ليس نجاسة بلا خلاف وليتم أى بذلك نعمته عليكم بالتخفيف ودفع الحرج والضيق عنكم لعلكم تشكرون هذه النعمة بطاعتكم اياه فيما أمركم به ونهاكم عنه

(وقال جل شأنه فى بيان اشتراط طهارة الخبث فى المكان للصلاة)

وَعَهِدْنَا الَى ابْرٰهِيمَ وَاسْمٰعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ

(ماتفيده هذه الآية الكريمة)

تفيد وجوب طهارة المساجد من الاخباث والنجاسات وذلك لما أمر الله به نبيه ابراهيم عليه السلام وابنه اسمعيل عليه السلام من تطهير بيته وهو الكعبة للطائفين وهم الذين يدورون حوله والعاكفين وهم المقيمون بمكة والركع السجود وهم المصلون وخص هذين الركنين لانهما أشرف أركان الصلاة ففى الآية أمر بتطهير المساجد للمصلين وفى ذلك من اشتراط طهارة المكان مالايخفى وقد أفاد الله تعالى ذلك أيضا فى آية أخرى وهى قوله تعالى (فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ماعملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب) فان معنى أذن الله أن ترفع أمر الله أن تطهر من النجاسات والاوساخ والدنس واللغو والاقوال والافعال التى لاتليق بها وهذا صريح فى اشتراط طهارتها وعلى اشتراط طهارة المساجد نهى عن وجود الصبيان والمجانين فيها لما يترتب على وجودهما فيها من تقذيرها وتلويثها بالنجاسات لانهم لا يعقلون شيأ وذلك قوله صلى الله

سورة	آية

وأنتم جنب أومحدثون أو جاء أحد منكم من الغائط أى المكان المنخفض وهو كناية عن الحدث لان العادة أن من يريده يذهب اليه ليوارى شخصه فيه عن أعين الناس أولا مستم النساء أى جامعتموهن فلم تجدوا مع كل ذلك ماء لتتطهروا به للدخول فى الصلاة (وهو راجع لما عدا المرضى) فتيمموا صعيدا طيبا أى فاستعيضوا عن الماء لعدم وجودكم له أو عدم قدرتكم على استعماله بشئ من أجزاء الارض طاهر فاقصدوه وكيفية هذا العمل المستعاض به عن الوضوء أو الغسل بينها الله تعالى بقوله (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه) أى من هذا الصعيد وذلك بأن يضرب بيديه على هذا الصعيد الطاهر ضربتين يمسح باحداهما وجهه فيستوعبه بالمسح وبالاخرى يديه الى المرفقين مستوعبا لهما كذلك

هذا وانما خص الصعيد لان التيمم انما شرع لدفع الحرج الذى نشأ من عدم وجود الماء وهو لايكاد يفقد فهو أحق ما يرفع به الحرج ولما فيه من التذلل والانكسار والخضوع التى تنشأ من تعفير الوجه وهوأشرف عضو فى الانسان بأخس الاشياء وهو التراب

وانما لم يفرق بين بدل الوضوء والغسل بأن يكون بدل الوضوء التيمم بالكيفية المتقدمة وبدل الغسل التمرّغ فى التراب مثلا لان التمرغ فيه بعض الحرج فلايصلح رافعا للحرج

ولعل سر التيمم ما فيه من تهذيب النفس وخضوعها وقبولها تعفير أشرف عضو فى الانسان وهو الوجه بأخس الاشياء وهو التراب فضلا عما فيه من نعمة التخفيف وعدم الحرج والضيق المشار لها بقوله تعالى (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون) أى مايريد الله بمشروعية التيمم لكم ليجعل عليكم من حرج أى ضيق فلذا سهل لكم ولم يعسر بل أباح التيمم عند المرض وعند فقد الماء توسعة عليكم ورحمة بكم ولكن يريد ليطهركم

سورة	اية

ولعل سرّ ذلك والله أعلم تنشيط البدن وازالة مابه من الفتور والضعف الذين حصلا عقب الوقاع وذلك لان عقبه يحصل له فتور عام فى قواه البدنية بسبب استرخاء الجسم وهو وجدانى يجده كل من باشر هذه الحالة وسببه أن الاعصاب والعضلات عنده قامت بأعمال زائدة فقدت بها مقدارا عظيما من قوتها واستهلكت جزأ وافرا من أنسجتها ففرض الشارع الحكيم الغسل من الجنابة لاسترجاع تلك القوة المفقودة وازالة ذلك الفتور الذى حصل من هذا النقص وأيضافانه فى حالة المباشرة قد استولى على قلبه الغفلة عن الله تعالى فبالغسل يزيل حجاب تلك الغفلة التى استولت على قلبه وجميع جوارحه مدة المباشرة فيرجع الى الله تعالى ويتذكر عظمته فيطهر عند ذلك قلبه من كل الذنوب وجميع الشواغل الدنيوية بالتوبة والرجوع الى الله تعالى فيحجم عن العصيان ويهجر أمانىّ الشيطان وفى الغسل غير ذلك من الفوائد كتنظيف الجسم من الاعيان المستقذرة الخارجة مع العرق من جميع أجزاء الجسم التى ببقائها يختل نظام أعمال الاعضاء

ومحل الوضوء والغسل بالكيفية المتقدمة اذا لم يكن المصلى مريضا مرضا يخشى معه الضرر باستعمال الماء أوكان مسافرا ولم يجد ماء أو وجده وكان قليلا يخشى باستعماله الهلاك من العطش أوفقد الماء بسبب من الاسباب مع تحقق ما يوجب استعماله من الحدث الاصغر أوالاكبر فيجب التيمم فى هذه الاحوال كلها وكيفيته أن يضرب بيديه على شئ من أجزاء الارض طاهر ضربتين يمسح باحداهما وجهه وبالاخرى يديه الى المرفقين وقد بين الله ذلك كله بقوله (وان كنتم مرضى أوعلى سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أولامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه مايريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون) أى وان كنتم مرضى مرضا تخشون الضرر معه باستعمال الماء أوكنتم مسافرين

وانتم

سورة	آية

اقترفتها هذه الاعضاء المخصوصة لانها أسرع أعضاء البدن تحركا للمخالفة والمعصية لان الوجه فيه الفم وبه الغيبة والنميمة والسب والشتم وغيرها وفيه العينان وبهما النظر الى ماحرم الله وفيه الانف وبه شم مالايحل شمه فيغسله ليتذكر أن طهارة الظاهر انما هى اشارة الى طهارة الباطن فيتوب الى الله تعالى و يقلع عما لفظه لسانه أو نظرته عيناه أو شمه أنفه ثم يغسل اليدين لانه اذا تكلم اللسان ونظرت العينان بطشت اليدان فيتذكر بطهارتهما الظاهرية طهارتهما الباطنية فيتوب عما تحركتافيه ثم يمسح رأسه ليتذكر بهذا المسح فيتوب ويطهر الباطن مما وقع من الرأس من مجاورة هذه الاعضاء المخطئة التى هى اللسان والعينان والانف ولعل حكمة مسح الرأس دون غسلها كبقية الاعضاء أنه لم يقع منها مخالفة وانما هى مجاورة لما وقعت منه المخالفة وهو اللسان والعينان والانف ثم يغسل رجليه ليتذكر بذلك طهارتهما مما سعتا فيه من المخالفة والى هذه الاسرار والحكم المتقدمة يشير الله تعالى فى آخر هذه الآية بقوله (ولكن يريد ليطهركم) أى ولكن يريد بما فرضه عليكم من الوضوء وما بعده ليطهركم أى يكفر عنكم من الذنوب مااقترفته هذه الاعضاء ويشير صلى الله عليه وسلم بقوله (اذا توضأ العبد المسلم فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر اليها بعينيه مع الماء فاذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة بطشتها يداه مع الماء فاذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب)

هذا كله اذا لم يكن مقيم الصلاة جنبا أما اذا كان جنبا فالواجب عليه أن يغتسل وقد أفاد الله ذلك بقوله (وان كنتم جنبا فاطهروا) أى وان كنتم عند القيام للصلاة جنبا فاطهروا أى فاغتسلوا على أتم وجه وذلك بأن تمضمضوا وتستنشقوا وتتوضؤا بالكيفية المتقدمة ثم تغسلوا جميع جسدكم

سورة	آية	

أجزاء واحتج الفريقان بحديث المغيرة بن شعبة قال تخلف النبى صلى الله عليه وسلم فتخلفت معه فلما قضى حاجته قال هل معك ماء فأتيته بطهرة فغسل كفيه ووجهه ثم ذهب يحسر عن ذراعيه ومسح بناصيته وعلى العمامة وعلى خفيه ولكل فريق أدلة غير هذه ليس هنا محل ذكرها

ثم قال تعالى (وأرجلكم الى الكعبين) أى واغسلوا أرجلكم الى الكعبين وهما العظمان البارزان من الجانبين عند مفصل الساق والقدم — فهذه هى أعمال الوضوء التى فرض الله على كل محدث أن يأتى بها عند القيام الى الصلاة

بقى أنه لم كانت هذه الاحداث موجبة للوضوء والاصل فى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (لاتقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ) وبيان ذلك فى النوم أن النوم يوجب استرخاء الاعضاء ورؤس العظام والعروق فلا يخلو عن خروج حدث غالبا وفيه غير ذلك أنه يبلد النفس ويفعل فعل الاحداث وفى الدم السائل والقىء الكثير والقيح أنها ملوثة للبدن مبلدة للنفس وفى القهقهة أنها خطيئة تحتاج الى كفارة فكان الوضوء منها بمثابة الكفارة لها وفى الخارج من السبيلين كالمذى والبول والغائط والريح أن المذى وهو الحاصل من الملاعبة قضاء شهوة دون شهوة الجماع فكان من حقه أن يستوجب طهارة دون الطهارة الكبرى وأن البول والغائط استفراغ فضلات فى الجسم لو بقيت لتسمم الجسم وهلك صاحبه فكان من حقهما أن يتطهر منهما وأيضا ففى حال افرازهما يسترخى الجسم وتضعف الاعصاب وهو أمر وجدانى يشعر به كل انسان فكان لذلك غسل الاطراف فى الوضوء لانها مجمع الأعصاب وفى الريح لانه نتيجة استرخاء الاعضاء فيتوضأ منه لتقوى والله بسر عبادته عليم

ولعل سر تخصيص أعمال الوضوء بهذه الاعضاء المخصوصة عند قيام أحد هذه الاحداث بفاعلها والله أعلم الاشارة الى التوبة من الذنوب التى

اقترفتها

سورة	آية

بدلهما وهو التيمم اذا مست الحاجة اليه بان فقد الماء أو منع من استعماله أحد الموانع الآتية فى الآية بعد فلبيان الطهارة الصغرى وهى الوضوء قال الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤسكم وأرجلكم الى الكعبين) أى ياأيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة وكنتم محدثين كابين ذلك عله صلى الله عليه وسلم أى قام بكم أحد هذه الاحداث الآتية وهى خروج خارج من السبيلين عينا كان أوريحا وخروج الدم والقيح والقيء ملء الفم والنوم مضطجعا أومستندا لشئ يسقط بزواله وزوال العقل والقهقهة فى صلاة ذات ركوع وسجود (فاغسلوا وجوهكم) أى أسيلوا عليها الماء بحيث يتقاطر (وأيديكم الى المرافق) أى واغسلوا أيديكم الى المرافق أى معها وهى جمع مرفق وهو موصل الذراع فى العضد (وامسحوا برؤسكم) أى امسحوا رؤسكم أى جميعها وهو مذهب مالك وأحمد بن حنبل وقد استدلا على ذلك بقوله تعالى فى التيمم فامسحوا بوجوهكم أى امسحوا وجوهكم لأنه لايجزئ مسح بعض الوجه اتفاقا وبماثبت فى الصحيحين أن رجلا قال لعبد الله بن زيد بن عاصم وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ لنا وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا عبد الله هذا بوضوء فأفرغ على يديه مرتين مرتين ثم مضمض واستنشق ثلاثا وغسل وجهه ثلاثا ثم غسل يديه مرتين الى المرفقين ثم مسح رأسه بيديه فأقبل بهما وأدبر بدأ بمقدم رأسه ثم ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما حتى رجع الى المكان الذى بدأ منه ثم غسل رجليه الى الكعبين ثم قال هكذا كان وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذهب أبوحنيفة الى وجوب مسح ربع الرأس وهو مقدار الناصية والشافعية الى أنه انما يجب مايطلق عليه اسم مسح لاينقدر ذلك بحد بل لو مسح بعض شعرة من رأسه

سورة	آية	
		سنة الله فى شرائعه أن يسهل على عباده كل مالا يستطيعونه وكان أحق أنواع التيسير والتسهيل أن يسقط مافيه حرج الى بدل لتطمئن نفوسهم ولا تختلف الخواطر عليهم باهمال ما التزموه غاية الالتزام مرة واحدة ولا بألفوائد الطهارات لذلك استعاض جل شأنه عن الوضوء والغسل عند حصول عذر من الاعذار المتقدمة بالتيمم وهو من خصائص هذه الامة المحمدية لقوله صلى الله عليه وسلم (جعلت لى الأرض مسجدا وترابها طهورا) ومن شروطها ستر العورة واستقبال القبلة والنية فمن فقد شرطا من هذه الشروط المتقدمة بطلت صلاته
		﴿ وقد بين الله تعالى طهارة الحدث باقسامها الثلاثة وكيفيتها بقوله ﴾
المائده	٧	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اِذَا قُمْتُمْ اِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ اِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ اِلَى الْكَعْبَيْنِ وَاِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَاِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْعَلَى سَفَرٍ أَوْجَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْلَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَايُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
		﴿ ماتفيده هذه الآية الكريمة ﴾
		تفيد هذه الآية الكريمة بيان طهارة الحدث صغرى وكبرى وبيان

بدلهما

سورة	آية	(ما تشير اليه هذه الآية الكريمة)
		تشير الى بيان أوقات الصلوات الخمس المفروضة وذلك لان معنى قوله تعالى (أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل) أدّ الصلاة من وقت دلوك الشمس أى من وقت زوالها من كبد السماء وتحولها منه الى الجهة الغربية وهذا يتناول الظهر والعصر ويمتد ذلك الى غسق الليل أى ظلامه والصلاة التى تصلى فيه المغرب والعشاء فهذه أربع أوقات وقد بقى خامس وهو الذى أفاده الله تعالى بقوله (وقرآن الفجر) أى أقمه والمراد به صلاة الصبح وعبر عنها ببعض أركانها وهو قراءة القرآن فيها اشارة الى أنه لاتصح صلاة الا بقراءة القرآن فيها حتى سميت الصلاة قرآنا ثم قال تعالى (ان قرآن الفجر كان مشهودا) أى ان صلاة الصبح تشهدها وتحضرها ملائكة الليل وملائكة النهار كما ورد فى قوله صلى الله عليه وسلم (يجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار فى صلاة الفجر) والله بكلامه عليم
		بيان شروط الصلاة
		اعلم أن للصلاة شروطا لابد منها ولا تصح الا بها ولا تنعقد الا بفعلها وهى أولا طهارة بدن المصلى وثوبه ومكانه من أعيان مستقذرة وهذه تسمى طهارة الخبث وطهارة بدنه من أحوال اعتبارية تسمى أحداثا يعتبر قيامها فى بدنه عند حدوث أمور مخصوصة وهذه تسمى طهارة الحدث وهى قسمان طهارة صغرى وتسمى وضوأ وكبرى وتسمى غسلا ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (لاتقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ) وقوله صلى الله عليه وسلم (لاتقبل صلاة بغير طهور) وقوله صلى الله عليه وسلم (مفتاح الصلاة الطهور) ومحل ذلك كله اذا وجد ماء ليتوضأ به أو يغتسل منه وقدر على استعماله فان لم يجده أو وجده ولم يقدر على استعماله لخوف مرض أو اشتداده استعاض عنهما بالتيمم لان من

سورة	آية	
		اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ

﴿ماتشير اليه هاتان الآيتان الكريمتان﴾

تشير هاتان الآيتان الكريمتان الى بيان أوقات الصلوات الخمس وذلك لان قوله تعالى (وأقم الصلاة طرفى النهار) معناه وأدّ الصلاة فى أول وقتها على تمامها طرفى النهار أى فى الغدوة والعشية فصلاة الغدوة الصبح وصلاة العشية الظهر والعصر لان مابعد الزوال الى الغروب عند العرب عشى وقوله (وزلفا من الليل) أى ساعات قريبات من الليل والصلاة التى تصلى فيها هى المغرب والعشاء وقد أخذ جل شأنه بعد أن بين أوقات الصلوات المفروضة وأشار الى أنها خمس فى اليوم والليلة يبين مالهذه الصلوات الخمس من الفضائل والفوائد والمنافع حيث قال (ان الحسنات يذهبن السيئات) أى ان الصلوات الخمس يذهبن السيئات أى يكفرنها ويذهبن المؤاخذة عليها والمراد بالسيئات الذنوب الصغائر لان الكبائر لايكفرها الا التوبة أو عفو الله تعالى يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (الصلوات الخمس كفارة لما بينها مااجتنبت الكبائر) وبعد أن حث على اقامة الصلوات وبين أوقاتها كر الى التذكير بالصبر لفضل خصوصية وعظيم مزية فقال واصبر أى على امتثال ماأمرت به والانتهاء عما نهيت عنه اذ لايتم شئ من ذلك الابه فان الله لايضيع أجر المحسنين أى يوفيهم أجورهم ولايضيع منها شيأ فلا يهمله ولا يبخسه بنقص

﴿وقال تبارك اسمه أيضا مشيرا الى بيان هذه الاوقات﴾

سورة	آية	
الاسرى	٧٨	أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا

سورة	آية	

تعيين أوقات لها ومن المعلوم أن مجموع الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ولا يجوز أن يكون لليل كله حظ من هذه الاوقات لما فى ذلك من المشقة على الناس ولان الليل جعل للاستراحة من عناء مايقاسيه الناس فى النهار من المشقات والمتاعب بمصداق قوله تعالى (وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا) فوجب أن تكون الاوقات التى يجب تعينها لهذه الصلوات فى النهار وبعض الليل وهو قوله تعالى (أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا) كما وجب أن تقسم هذه الاوقات بالحكمة والعدل فلم يكن الفصل بين كل صلاتين كثيرا جدا لأنه بذلك يفوت معنى المحافظة وينسى ما كسبه أول مرة وتقل فائدة المداومة التى ربما كانت المقصودة من الصلاة — ولا قليلا جدا لانه يترتب عليه تعطيل الناس عن أشغالهم وتركهم السعى وراء مايقتاتون به و يعملون لاجله من أمر معاشهم ولايصلح ذلك الاحيث يكون بين كل صلاة وأخرى ربع النهار وهو ثلاث ساعات لذلك ترى الشارع الحكيم قسم هذه الاوقات بهذه الكيفية اذ لايمكن غير ذلك فترى مابين الظهر والعصر وما بين العصر والمغرب وما بين المغرب والعشاء نحوا من ربع النهار وكانت المسافة مابين الصبح والظهر أكثر من ربع النهار لانه وقت تفرغ الناس لاشغالهم المعاشية غالبا كما قال تعالى وجعلنا النهار معاشا

وبالجملة ففى تعيين الاوقات سر عميق من وجوه كثيرة وقد تمثل جبريل عليه السلام وصلى بالنبى صلى الله عليه وسلم وعلمه هذه الاوقات

﴿وقد قال الله تعالى فى بيان هذه الاوقات لتلك الصلوات﴾

| هود | ١١٥ | وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ اِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ١١٦ وَاصْبِرْ فَاِنَّ |

آية	سورة

ان قرآن الفجر كان مشهودا) لان القلب فيه قد خلا من الشواغل الدنيوية وصفا وصار مستعدا للفيوضات الرحمانية والتجليات والنفحات الربانية فترى صلاة الصبح فى وقت لم يبتدأ فيه من العمل بشئ وصلاة الظهر فى وقت القيلولة والاستراحة من عناء العمل ثم اذا ابتدأ فى تكميل عمله لابد أن يعتريه بعد زمن قريب من الكلل والتعب مايلجئه الى الراحة فيصلى صلاة العصر حين ذاك حتى اذا رجع من عمله الى منزله واطمأنت نفسه فيه وجب أن يؤدى صلاة المغرب وبعد ذلك كله واستراحته الراحة التامة وليكون آخر عمل له فى ليله ونهاره طاعة الله تعالى حتى يكون ذلك كفارة لما مضى وصقلا للصدا وجب عليه أن يؤدى صلاة العشاء وهو قوله صلى الله عليه وسلم (من صلى العشاء فى جماعة كان كقيام نصف الليل الأول ومن صلى العشاء والفجر فى جماعة كان كقيام ليلة) (الامر الثانى) ان الله تعالى شرع لعباده المؤمنين أن يجتمعوا فى أوقات العبادات لتحصل بينهم الألفة والمحبة فيعين القوى الضعيف ويحسن الغنى على الفقير ويقضى البعض للآخر حاجته اذا كان مضيقا عليه الى غير ذلك ولما كان هذا الاجتماع لابد أن يكون فى أوقات معينة ليكون من السهل على كل واحد من المؤمنين سواء كان من عامتهم أو خاصتهم أن يحضر فيه وكانت هذه الاوقات الخمسة أقرب الاوقات وأسهلها تعيينا لكل فرد من أفراد الامة شرعت هذه الصلوات فى تلك الاوقات وانما كانت هذه الاوقات أسهل الاوقات تعيينا وخصوصا للعامة لان وقت الصبح من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ووقت الظهر تحوّل الشمس ووقت العصر أن يصير ظل كل شئ مثله ووقت المغرب غروب الشمس ووقت العشاء مغيب الحمرة التى تظهر بعد غروب الشمس ولاشك أن معرفة هذه الاوقات ضرورية لكل واحد بدون أدنى كلفة سواء العالم والجاهل (الامر الثالث) ان الصلوات فى اليوم والليلة خمس ومن الضرورى

تعيين

سورة	آية

وأنتم جنب أومحدثون أو جاء أحد منكم من الغائط أى المكان المنخفض
وهو كناية عن الحدث لان العادة أن من يريده يذهب اليه ليوارى
شخصه فيه عن أعين الناس أولا مستم النساء أى جامعتموهن فلم تجدوا
مع كل ذلك ماء لتتطهروا به للدخول فى الصلاة (وهو راجع لما عدا
المرضى) فتيمموا صعيدا طيبا أى فاستعيضوا عن الماء لعدم وجودكم له
أو عدم قدرتكم على استعماله بشئ من أجزاء الارض طاهر فاقصدوه
وكيفية هذا العمل المستعاض به عن الوضوء أو الغسل بينها الله تعالى
بقوله (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه) أى من هذا الصعيد وذلك بأن
يضرب بيديه على هذا الصعيد الطاهر ضربتين يمسح باحداهما
وجهه فيستوعبه بالمسح وبالاخرى يديه الى المرفقين مستوعبا لهما
كذلك

هذا وانما خص الصعيد لان التيمم انما شرع لدفع الحرج الذى نشأ
من عدم وجود الماء وهو لايكاد يفقد فهو أحق ما يرفع به الحرج
ولما فيه من التذلل والانكسار والخضوع التى تنشأ من تعفير الوجه
وهو أشرف عضو فى الانسان بأخس الاشياء وهو التراب

وانما لم يفرق بين بدل الوضوء والغسل بأن يكون بدل الوضوء التيمم
بالكيفية المتقدمة وبدل الغسل التمرغ فى التراب مثلا لان التمرغ فيه
بعض الحرج فلا يصلح رافعا للحرج

ولعل سر التيمم ما فيه من تهذيب النفس وخضوعها وقبولها تعفير
أشرف عضو فى الانسان وهو الوجه بأخس الاشياء وهو التراب فضلا
عما فيه من نعمة التخفيف وعدم الحرج والضيق المشار لها بقوله تعالى
(ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته
عليكم لعلكم تشكرون) أى ما يريد الله بمشروعية التيمم لكم ليجعل
عليكم من حرج أى ضيق فلذا سهل لكم ولم يعسر بل أباح التيمم
عند المرض وعند فقد الماء توسعة عليكم ورحمة بكم ولكن يريد ليطهركم

سورة	آية	
		ولعل سر ذلك والله أعلم تنشيط البدن وازالة مابه من الفتور والضعف اللذين حصلا عقب الوقاع وذلك لان عقبه يحصل له فتور عام فى قواه البدنية بسبب استرخاء الجسم وهو وجدانى يجده كل من باشر هذه الحالة وسببه أن الاعصاب والعضلات عنده قامت بأعمال زائدة فقدت بها مقدارا عظيما من قوتها واستهلكت جزأ وافرا من أنسجتها ففرض الشارع الحكيم الغسل من الجنابة لاسترجاع تلك القوة المفقودة وازالة ذلك الفتور الذى حصل من هذا النقص وأيضافانه فى حالة المباشرة قد استولى على قلبه الغفلة عن الله تعالى فبالغسل يزيل حجاب تلك الغفلة التى استولت على قلبه وجميع جوارحه مدة المباشرة فيرجع الى الله تعالى ويتذكر عظمته فيطهر عند ذلك قلبه من كل الذنوب وجميع الشواغل الدنيوية بالتوبة والرجوع الى الله تعالى فيحجم عن العصيان ويهجر أمانى الشيطان وفى الغسل غير ذلك من الفوائد كتنظيف الجسم من الاعيان المستقذرة الخارجة مع العرق من جميع أجزاء الجسم التى ببقائها يختل نظام أعمال الاعضاء
		ومحل الوضوء والغسل بالكيفية المتقدمة اذا لم يكن المصلى مريضا مرضا يخشى معه الضرر باستعمال الماء أوكان مسافرا ولم يجد ماء أو وجده وكان قليلا يخشى باستعماله الهلاك من العطش أوفقد الماء بسبب من الاسباب مع تحقق ما يوجب استعماله من الحدث الاصغر أوالاكبر فيجب التيمم فى هذه الاحوال كلها وكيفيته أن يضرب بيديه على شئ من أجزاء الارض طاهر ضربتين يمسح باحداهما وجهه وبالاخرى يديه الى المرفقين وقد بين الله ذلك كله بقوله (وان كنتم مرضى أوعلى سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أولامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه مايريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون) أى وان كنتم مرضى مرضا تخشون الضرر معه باستعمال الماء أوكنتم مسافرين

وانتم

سورة	آية

اقترفتها هذه الاعضاء المخصوصة لانها أسرع أعضاء البدن تحركا للمخالفة والمعصية لان الوجه فيه الفم وبه الغيبة والنميمة والسب والشتم وغيرها وفيه العينان وبهما النظر الى ماحرم الله وفيه الانف وبه شم مالايحل شمه فيغسله ليتذكر أن طهارة الظاهر انما هى اشارة الى طهارة الباطن فيتوب الى الله تعالى ويقلع عما لفظه لسانه أو نظرته عيناه أو شمه أنفه ثم يغسل اليدين لانه اذا تكلم اللسان ونظرت العينان بطشت اليدان فيتذكر بطهارتهما الظاهرية طهارتهما الباطنية فيتوب عما تحركتا فيه ثم يمسح رأسه ليتذكر بهذا المسح فيتوب ويطهر الباطن عما وقع من الرأس من مجاورة هذه الاعضاء المخطئة التى هى اللسان والعينان والانف ولعل حكمة مسح الرأس دون غسلها كبقية الاعضاء أنه لم يقع منها مخالفة وانما هى مجاورة لما وقعت منه المخالفة وهو اللسان والعينان والانف ثم يغسل رجليه ليتذكر بذلك طهارتهما مما سعتا فيه من المخالفة والى هذه الاسرار والحكم المتقدمة يشير الله تعالى فى آخر هذه الآية بقوله (ولكن يريد ليطهركم) أى ولكن يريد بما فرضه عليكم من الوضوء وما بعده ليطهركم أى يكفر عنكم من الذنوب مااقترفته هذه الاعضاء ويشير صلى الله عليه وسلم بقوله (اذا توضأ العبد المسلم فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر اليها بعينيه مع الماء فاذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة بطشتها يداه مع الماء فاذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب)

هذا كله اذا لم يكن مقيم الصلاة جنبا أما اذا كان جنبا فالواجب عليه أن يغتسل وقد أفاد الله ذلك بقوله (وان كنتم جنبا فاطهروا) أى وان كنتم عند القيام للصلاة جنبا فاطهروا أى فاغتسلوا على أتم وجه وذلك بأن تمضمضوا وتستنشقوا وتتوضؤا بالكيفية المتقدمة ثم تغسلوا جميع جسدكم

سورة	آية	

أجزاء واحتج الفريقان بحديث المغيرة بن شعبة قال تخلف النبي صلى الله عليه وسلم فتخلفت معه فلما قضى حاجته قال هل معك ماء فأتيته بطهرة فغسل كفيه ووجهه ثم ذهب يحسر عن ذراعيه ومسح بناصيته وعلى العمامة وعلى خفيه ولكل فريق أدلة غير هذه ليس هنا محل ذكرها

ثم قال تعالى (وأرجلكم الى الكعبين) أى واغسلوا أرجلكم الى الكعبين وهما العظمان البارزان من الجانبين عند مفصل الساق والقدم — فهذه هى أعمال الوضوء التى فرض الله على كل محدث أن يأتى بها عند القيام الى الصلاة

بقى أنه لم كانت هذه الاحداث موجبة للوضوء والاصل فى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (لاتقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ) وبيان ذلك فى النوم أن النوم يوجب استرخاء الاعضاء ورؤس العظام والعروق فلا يخلو عن خروج حدث غالبا وفيه غير ذلك أنه يبلد النفس ويفعل فعل الاحداث وفى الدم السائل والقىء الكثير والقيح أنها ملوثة للبدن مبلدة للنفس وفى القهقهة أنها خطيئة تحتاج الى كفارة فكان الوضوء منها بمثابة الكفارة لها وفى الخارج من السبيلين كالمذى والبول والغائط والريح أن المذى وهو الحاصل من الملاعبة قضاء شهوة دون شهوة الجماع فكان من حقه أن يستوجب طهارة دون الطهارة الكبرى وأن البول والغائط استفراغ فضلات فى الجسم لو بقيت لتسمم الجسم وهلك صاحبه فكان من حقهما أن يتطهر منهما وأيضا ففى حال افرازهما يسترخى الجسم وتضعف الاعصاب وهو أمر وجدانى يشعر به كل انسان فكان لذلك غسل الاطراف فى الوضوء لانها مجمع الأعصاب وفى الريح لانه نتيجة استرخاء الاعضاء فيتوضأ منه لتقوى والله بسر عبادته عليم

ولعل سر تخصيص أعمال الوضوء بهذه الاعضاء المخصوصة عند قيام أحد هذه الاحداث بفاعلها والله أعلم الاشارة الى التوبة من الذنوب التى

اقترفتها

آية	سورة

بدلهما وهو التيمم اذا مست الحاجة اليه بان فقد الماء أو منع من استعماله أحد الموانع الآتية فى الآية بعد فلبيان الطهارة الصغرى وهى الوضوء قال الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤسكم وأرجلكم الى الكعبين) أى ياأيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة وكنتم محدثين كما بين ذلك عمله صلى الله عليه وسلم أى قام بكم أحد هذه الاحداث الآتية وهى خروج خارج من السبيلين عينا كان أو ريحا وخروج الدم والقيح والقىء ملء الفم والنوم مضطجعا أومستندا لشئ يسقط بزواله وزوال العقل والقهقهة فى صلاة ذات ركوع وسجود (فاغسلوا وجوهكم) أى أسيلوا عليها الماء بحيث يتقاطر (وأيديكم الى المرافق) أى واغسلوا أيديكم الى المرافق أى معها وهى جمع مرفق وهو موصل الذراع فى العضد (وامسحوا برؤسكم) أى امسحوا رؤسكم أى جميعها وهو مذهب مالك وأحمد بن حنبل وقد استدلا على ذلك بقوله تعالى فى التيمم فامسحوا بوجوهكم أى امسحوا وجوهكم لأنه لايجزئ مسح بعض الوجه اتفاقا وبما ثبت فى الصحيحين أن رجلا قال لعبد الله بن زيد بن عاصم وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ لنا وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا عبد الله هذا بوضوء فأفرغ على يديه مرتين مرتين ثم مضمض واستنشق ثلاثا وغسل وجهه ثلاثا ثم غسل يديه مرتين الى المرفقين ثم مسح رأسه بيديه فأقبل بهما وأدبر بدأ بمقدم رأسه ثم ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما حتى رجع الى المكان الذى بدأ منه ثم غسل رجليه الى الكعبين ثم قال هكذا كان وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذهب أبوحنيفة الى وجوب مسح ربع الرأس وهو مقدار الناصية والشافعية الى أنه انما يجب مايطلق عليه اسم مسح لايتقدر ذلك بحد بل لو مسح بعض شعرة من رأسه

سورة	آية	
		سنة الله فى شرائعه أن يسهل على عباده كل مالا يستطيعونه وكان أحق أنواع التيسير والتسهيل أن يسقط مافيه حرج الى بدل لتطمئن نفوسهم ولا تختلف الخواطر عليهم باهمال ما التزموه غاية الالتزام مرة واحدة ولابأالفوائد الطهارات لذلك استعاض جل شأنه عن الوضوء والغسل عند حصول عذر من الاعذار المتقدمة بالتيمم وهومن خصائص هذه الامة المحمدية لقوله صلى الله عليه وسلم (جعلت لى الأرض مسجدا وترابها طهورا) ومن شروطها ستر العورة واستقبال القبلة والنية فمن فقد شرطا من هذه الشروط المتقدمة بطلت صلاته
		(وقد بين الله تعالى طهارة الحدث باقسامها الثلاثة وكيفيتها بقوله)
المائده	٧	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اِذَا قُمْتُمْ اِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ اِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ اِلَى الْكَعْبَيْنِ وَاِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَاِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْعَلَى سَفَرٍأَوْجَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْلَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَايُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
		(ماتفيده هذه الآية الكريمة)
		تفيد هذه الآية الكريمة بيان طهارة الحدث صغرى وكبرى وبيان

بدلهما

آية	سورة

(ماتشيراليه هذه الآية الكريمة)

تشيرالى بيان أوقات الصلوات الخمس المفروضة وذلك لان معنى قوله تعالى (أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل) أدّ الصلاة من وقت دلوك الشمس أى من وقت زوالها من كبد السماء وتحولها منه الى الجهة الغربية وهذا يتناول الظهر والعصر وينتهى ذلك الى غسق الليل أى ظلامه والصلاة التى تصلى فيه المغرب والعشاء فهذه أربع أوقات وقد بقى خامس وهو الذى أفاده الله تعالى بقوله (وقرآن الفجر) أى أقمه والمراد به صلاة الصبح وعبر عنها ببعض أركانها وهو قراءة القرآن فيها اشارة الى أنه لاتصح صلاة الا بقراءة القرآن فيها حتى سميت الصلاة قرآنا ثم قال تعالى (ان قرآن الفجر كان مشهودا) أى ان صلاة الصبح تشهدها وتحضرها ملائكة الليل وملائكة النهار كما ورد فى قوله صلى الله عليه وسلم (يجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار فى صلاة الفجر) والله بكلامه عليم

بيان شروط الصلاة

اعلم أن للصلاة شروطا لابد منها ولا تصح الا بها ولا تنعقد الا بفعلها وهى أولا طهارة بدن المصلى وثوبه ومكانه من أعيان مستقذرة وهذه تسمى طهارة الخبث وطهارة بدنه من أحوال اعتبارية تسمى أحداثا يعتبر قيامها فى بدنه عند حدوث أمور مخصوصة وهذه تسمى طهارة الحدث وهى قسمان طهارة صغرى وتسمى وضوأ وكبرى وتسمى غسلا ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (لاتقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ) وقوله صلى الله عليه وسلم (لاتقبل صلاة بغيرطهور) وقوله صلى الله عليه وسلم (مفتاح الصلاة الطهور) ومحل ذلك كله اذا وجد ماء ليتوضأبه أويغتسل منه وقدر على استعماله فان لم يجده أو وجده ولم يقدر على استعماله لخوف مرض أواشتداده استعاض عنهما بالتيمم لان من

سورة	آية	
		اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ

﴿ماتشير اليه هاتان الآيتان الكريمتان﴾

تشير هاتان الآيتان الكريمتان الى بيان أوقات الصلوات الخمس وذلك لان قوله تعالى (وأقم الصلاة طرفى النهار) معناه وأدّ الصلاة فى أول وقتها على تمامها طرفى النهار أى فى الغدوة والعشية فصلاة الغدوة الصبح وصلاة العشية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال الى الغروب عند العرب عشى وقوله (وزلفا من الليل) أى ساعات قريبات من الليل والصلاة التى تصلى فيها هى المغرب والعشاء وقد أخذ جل شأنه بعد أن بين أوقات الصلوات المفروضة وأشار الى أنها خمس فى اليوم والليلة يبين ما لهذه الصلوات الخمس من الفضائل والفوائد والمنافع حيث قال (ان الحسنات يذهبن السيئات) أى ان الصلوات الخمس يذهبن السيئات أى يكفرنها ويذهبن المؤاخذة عليها والمراد بالسيئات الذنوب الصغائر لان الكبائر لا يكفرها الا التوبة أو عفو الله تعالى يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (الصلوات الخمس كفارة لما بينها ما اجتنبت الكبائر) وبعد أن حث على اقامة الصلوات وبين أوقاتها كر الى التذكير بالصبر لفضل خصوصية وعظيم مزية فقال واصبر أى على امتثال ما أمرت به والانتهاء عما نهيت عنه اذ لا يتم شئ من ذلك الا به فان الله لا يضيع أجر المحسنين أى يوفيهم أجورهم ولا يضيع منها شيأ فلا يهمله ولا يبخسه بنقص

﴿وقال تبارك اسمه أيضا مشيرا الى بيان هذه الاوقات﴾

سورة	آية	
الاسرى	٧٨	أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا

(ماتشير

سورة	آية	

تعيين أوقات لها ومن المعلوم أن مجموع الليـل والنهار أربع وعشرون ساعة ولا يجوز أن يكون لليل كله حظ من هذه الاوقات لما فى ذلك من المشقة على الناس ولان الليـل جعل للاستراحة من عناء مايقاسيه الناس فى النهار من المشقات والمتاعب بمصداق قوله تعالى (وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا) فوجب أن تكون الاوقات التى يجب تعينها لهذه الصلوات فى النهار وبعض الليل وهو قوله تعالى (أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا) كما وجب أن تقسم هذه الاوقات بالحكمة والعدل فلم يكن الفصل بين كل صـلاتين كثيرا جـدا لأنه بذلك يفوت معنى المحافظة وينسى ما كسبه أول مرة وتقل فائدة المداومة التى ربما كانت المقصودة من الصلاة - ولا قليلا جدا لانه يترتب عليه تعطيل الناس عن أشغالهم وتركهم السـعى وراء مايقتاتون به و يعولون لاجـله من أمر معاشهم ولايصلح ذلك الاحيث يكون بـين كل صلاة وأخرى ربع النهار وهو ثلاث ساعات لذلك ترى الشـارع الحكيم قسم هـذه الاوقات بهذه الكيفية اذ لايمكن غير ذلك فترى مابين الظهر والعصر وما بـين العصر والمغرب وما بـين المغرب والعشاء نحوا من ربع النهار وكانت المسافـة مابين الصبح والظهر أكثر من ربع النهار لانه وقت تفرغ الناس لاشـغالهم المعاشية غالبا كما قال تعـالى وجعلنا النهار معـاشا

وبالجملة ففى تعيين الاوقات سر عميق من وجوه كثيرة وقد تمثـل جبريل عليه السلام وصلى بالنبى صلى الله عليه وسلم وعلمه هذه الاوقات

(وقد قال الله تعـالى فى بيان هذه الاوقات لتلك الصلوات)

هود	١١٥	وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ اِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ١١٦ وَاصْبِرْ فَاِنَّ

سورة	آية	

ان قرآن الفجر كان مشهودا) لان القلب فيه قد خلا من الشواغل الدنيوية وصفا وصار مستعدا للفيوضات الرحانية والتجليات والنفحات الربانية فترى صلاة الصبح فى وقت لم يبتدأ فيه من العمل بشئ وصلاة الظهر فى وقت القيلولة والاستراحة من عناء العمل ثم اذا ابتدأ فى تكميل عمله لابد أن يعتريه بعد زمن قريب من الكلل والتعب ما يلجئه الى الراحة فيصلى صلاة العصر حين ذلك حتى اذا رجع من عمله الى منزله واطمأنت نفسه فيه وجب أن يؤدى صلاة المغرب وبعد ذلك كله واستراحته الراحة التامة وليكون آخر عمل له فى ليله ونهاره طاعة الله تعالى حتى يكون ذلك كفارة لما مضى وصقلا للصدا وجب عليه أن يؤدى صلاة العشاء وهو قوله صلى الله عليه وسلم (من صلى العشاء فى جماعة كان كقيام نصف الليل الأول ومن صلى العشاء والفجر فى جماعة كان كقيام ليلة) (الامر الثانى) ان الله تعالى شرع لعباده المؤمنين أن يجتمعوا فى أوقات العبادات لتحصل بينهم الألفة والمحبة فيعين القوىّ الضعيف ويحسن الغنى على الفقير ويقضى البعض للآخر حاجته اذا كان مضيقا عليه الى غير ذلك ولما كان هذا الاجتماع لابد أن يكون فى أوقات معينة ليكون من السهل على كل واحد من المؤمنين سواء كان من عامتهم أو خاصتهم أن يحضر فيه وكانت هذه الاوقات الخمسة أقرب الاوقات وأسهلها تعيينا لكل فرد من أفراد الامة شرعت هذه الصلوات فى تلك الاوقات وانما كانت هذه الاوقات أسهل الاوقات تعيينا وخصوصا للعامة لانّ وقت الصبح من طلوع الفجر الى طلوع الشمس ووقت الظهر تحوّل الشمس ووقت العصر أن يصير ظل كل شئ مثله ووقت المغرب غروب الشمس ووقت العشاء مغيب الحمرة التى تظهر بعد غروب الشمس ولاشك أن معرفة هذه الاوقات ضرورية لكل واحد بدون أدنى كلفة سواء العالم والجاهل (الامر الثالث) ان الصلوات فى اليوم والليلة خمس ومن الضرورى

سورة	آية

أوقات الصلوات المفروضة

اعلم أن الصلاة أعظم العبادات شانا وأوضحها برهانا وأشهرها فى الناس وأنفعها فى النفس ولذا اعتنى الشارع ببيان فضلها وتعيين أوقاتها وغير ذلك من شؤنها وأحوالها اعتناء عظيما لم يفعل فى سائر الطاعات فمن ذلك أنه عين لصلاة الصبح وقتا من طلوع الفجر الى طلوع الشمس وللظهر من تحول الشمس عن وسط السماء الى الجهة الغربية حتى يصير ظل كل شئ مثله وللعصر من خروج وقت الظهر الى غروب الشمس وللمغرب من غروب الشمس الى مغيب الشفق الاحمر وللعشاء من مغيب الشفق الاحمر الى طلوع الفجر وذلك والله أعلم لان فائدة الصلاة وهى مراقبة جانب الحق جل جلاله وتمثل عظمته تعالى فى قلب العبد لاتحصل الا بالمداومة عليها والملازمة لها والإكثار منها ولما كان الدوام المستمر الحقيقى غير ممكن لانه يترتب عليه ترك جميع المصالح الضرورية والانسلاخ عن أحكام الطبيعة بالكلية أوجبت الحكمة الالهية أن يؤمروا بالمحافظة عليها والتعهد لها بعد كل برهة من الزمن ليكون فى ترقب الصلاة التالية وانتظارها بعد الصلاة التى قبلها محو للغفلة التى ربما دخلت فى جذور القلوب فحالت بينها وبين مراقبتها للحق فتحيط الخطيئة بها وتكتنفها ظلمات الذنوب فتحجب عن كل مطلوب وتمنع من كل مرغوب فوجب لذلك تعيين الاوقات لهذه الصلوات وانما خصت هذه الاوقات الخمسة بالتعيين لامور

(الاول) ان هذه الاوقات الخمسة هى أوقات فراغ الانسان من عمله وكان أحق مايؤدى فيه الصلوات الاوقات التى تكون فيها النفس خالية عن الاشغال المعاشية المنسية لذكر الله تعالى لتصادف قلبا فارغا فتتمكن منه وتكون أشد تأثيرا فيه وهو قوله تعالى (وقرآن الفجر

سورة	آية	
		الاشياء الا كفرهم وعدم اتيانهم بالصلاة الا فى حالة كونهم متكاسلين متثاقلين عن فعلها لانهم لا يرجون بفعلها ثوابا ولا يخشون بتركها عقابا فهى لذلك ثقيلة عليهم كما فى قوله تعالى (وانها لكبيرة الا على الخاشعين) وعدم انفاقهم المال الا فى حالة كونهم كارهين لانفاقه فهذه الثلاث خصال هى السبب فى عدم قبول الله تعالى ما يجودون به من أموالهم ويتصدقون به على الفقراء منها ويحسنون به عليهم وذلك لما علمت من أن القبول داعية الرضا والمحبة وهى داعية الغضب والكراهة وهما ضدان
		﴿ وقال تبارك اسمه فى بيان جزاء من يؤخر الصلاة عن أوقاتها المعينة لها ﴾
الماعون	٤	فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ
		﴿ ما تفيده هذه الآية الكريمة ﴾
		تفيد هذه الآية الكريمة بيان ما أعده الله من العقاب الاليم والعذاب الشديد لمن سها عن صلاته وغفل عنها وذلك إما عن فعلها بالكلية بان تركها ولم يأت بها أبدا واما عن فعلها فى الوقت المقدر لها شرعا فيخرجها عن وقتها بالكلية أو عن وقتها الاول فيؤخرها الى آخره دائما أو غالبا واما عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به من الخشوع فيها والتدبر لمعانيها فمن اتصف بشئ من ذلك كان له نصيب مما يحل به من العذاب ومن اتصف بجميع ذلك تم له نصيبه منه وكمل له النفاق العملى كما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى اذا اصفرت وكانت بين قرنى شيطان قام فنقر أربعا لا يذكر الله فيها الا قليلا)

أوقات

آية	سورة

فضله وصلاحه المزعومين فيودعونه الودائع ويؤتمنونه على الامانات فيأكلها بالباطل فانهم عند ذلك يبالغون فى مقته ويجتهدون فى خزيه وطرده فيضر نفسه من حيث يريد أن ينفعها وهذا هو الاحمق بعينه

(وقال جل ثناؤه فى بيان أن الاتيان بالصلاة مع الكسل وعدم الرغبة من الموانع من قبول مايتصدق به فاعلها وينذله من النفقات)

وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ — ٥٥ — التوبة

(ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة)

ترشد الى وجوب الاعتناء بأمر الصلاة ونزوع النفس اليها بهمة ونشاط تامين وذلك يتحقق اذا وجه المصلى قلبه اليها عند إقامتها برغبة شديدة ونشاط لافتور فيه وتنبه فى ذلك سائر جوارحه فاذا قام اليها فكأنما أُنشط من عقال وبخلاف ذلك يكون من المتقاعدين المتباطئين الذين حالت شقوتهم دون التمثل بين يدى خالقهم يناجونه و يتضرعون اليه ويسألونه قضاء حوائجهم ويقرون بربوبيته ويعترفون بوحدانيته ولعمرالحق ان من كانت هذه حالته فهو جدير من الله بالمقت والغضب وخليق بالخسف والعطب ومن غضب الله عليه أذاقه مرارة بأسائه وخلعه من لباس نعمائه وحرمه قبول مايحسن به ويتصدق لان قبوله داعية الرضا وهو والغضب ضدان ولذا يقول جل شأنه (وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة الاوهم كسالى ولاينفقون الاوهم كارهون) أى ومامنعهم من قبول نفقاتهم شئ من

سورة	آية

﴿ ماتشير اليه هذه الآية الكريمة ﴾

تشير هذه الآية الكريمة الى بيان المنافقين وأحوالهم المستحقين بها العقوبة المذكورة فى قوله تعالى (ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار) بأنهم هم (الذين يخادعون الله) أى يفعلون مايفعل المخادع فأعمالهم فى صورها أعمال المؤمنين ولكن بواطنهم خاوية من حقيقة الايمان ووجدانهم محروم من ذوق حلاوته (والذين اذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى) أى متثاقلين متباطئين لانشاط لهم فى فعلها ولا رغبة لهم فى اقامتها كما ترى من يفعل شيأ على كره منه لاعن طيب نفس ورغبة (والذين يراؤن الناس) أى يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة (ولا يذكرون الله الا قليلا) أى ولا يصلون الا قليلا لانهم لايصلون غائبين عن أعين الناس بل لايفعلونها الابحضرة من يراؤنهم وهو أقل أحوالهم لانهم ماوجدوا مندوحة من تكلف مالبس فى قلوبهم هذه هى حالة المنافقين التى بينها الله تعالى ولعمر الحق ان من كانت هذه حالته مع الله الذى عنده مفاتح الغيب لايعلمها الا هو ويعلم مافى البر والبحر وما تسقط من ورقة الايعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا وهو حاضر فى علمه لايغيب عنه منه شئ كان مبلغه من الحماقة مبلغ الظليم اذا طلبه القانص فانه يدس رأسه فى الكثيب من الرمل ظنا منه لحماقته أنه لا يراه حيث لا يرى هو نفسه وان شخصا لايعمل من الخير الاريثما يراه الناس ليثنوا عليه خيرا لجدير بالسخافة وحقيق بالملامة فما أضعف عقله وأقل معرفته وأبعده عن تحقيق النظر وتصحيح الفكر اذلو لم يجد نفسه زمن المروءة حقيرا فى أعين أصحابه لما لجأ الى استكمال نفسه بما يظن أنه يكملها وما درى أنه ينقصها وخصوصا اذا اطلعوا على حاله وعلموا ما يكنه من أعظم الكبائر ويضمره من أخبث الضمائر وعلموا أنه انما يعمل مايعمل ليشتهر عند الناس

فضله

سورة	آية	
		(كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين فى جنات يتساءلون عن المجرمين ماسلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين) أى كل نفس بما كسبته من الأعمال خيرية أو شرية مرهونة عند الله تعالى مؤاخذة عليه بما تستحقه من النعيم أو العذاب الاليم الا أصحاب اليمين وهم المؤمنون المخلصون فان نفوسهم غير مرهونة لانهم فكوها بما أحسنوا من أعمالهم كما يفك الراهن رهنه بأداء الدين وهم لذلك فى جنات يتنعمون فيها ويتلذذون بجميع أنواع الملاذ ويسألون المجرمين عن أحوالهم وهم فى الغرفات وأولئك فى الدركات قائلين لهم أى شئ أدخلكم فى سقر قالوا جوابا لهم عن سؤالهم لم نك من المصلين أى سبب دخولنا النار وما نقاسيه فيها من العذاب الاليم هو تركنا الصلاة فانظر كيف حاق بهم من العذاب الشديد والعقاب الاليم بسبب تركهم الصلاة وعدم اعتنائهم بشأنها ولعمرى انهم لجديرون بأكثر من ذلك اذ أى عاقل يشغل جميع أوقاته فى قضاء شهواته الدنية ولذاته البهيمية ويكسل عن أداء هذه الصلاة مع مافيها من الخير العميم والنفع العظيم والثمار اليانعه والفوائد النافعه على أنها لاتكلفه من المشقة شيأ ولا تشغل من أوقاته الاجزأ قليلا لايتجاوز الساعتين فى جميع ليله ونهاره
		(وقال جل ذكره فى بيان أن من يأتى بالصلاة وهو متكاسل كان من المنافقين)
١٤١	النساء	انَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَاِذَا قَامُوا الَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُنَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ الَّا قَلِيلاً

سورة	آية	
		اعلم أن الناس مجزيون باعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر وقد علمت أن الصلاة أفضل العبادات وأعظم أنواع القربات وأن من أقامها فقد أقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين وأنها سبب الفلاح والفوز بالسعادة وأنها جامعة لصنوف البر والخير وأنها أنجح الوسائل الى الله تعالى وأعظم القربات لديه فى تفريج الكروب وازالة البؤس وقضاء الحوائج وأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر وتغير الطباع الثابتة وتمنح صاحبها فضيلة الثبات وقوة العزيمة الى غير ذلك من صنوف الخير وأنواع البر فلا جرم اذا عوقب تاركها بأنواع العذاب وشديد العقاب وباء بالخسران ورجع بالحسرة والندامة والخذلان على مافرّط فى جنب هذا الخير الجسيم والفضل العظيم العميم
		﴿ ولذا يقول الله تعالى فى بيان جزاء تارك الصلاة وما يستحق من النكال وما يحيق به من الوبال ﴾
المدثر	٣٨	كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ٣٩ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ٤٠ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ٤١ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ٤٢ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ٤٣ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ
		﴿ ماتفيده هذه الآيات الكريمات ﴾
		تفيد تفخيم أمر الصلاة وتعظيم شأنها بما قررته من النكال الشديد والعذاب الاليم لمن ترك الصلاة ولم يحافظ عليها ولم يعتن بشأنها حاكية أحوالهم فى الدار الآخرة وما يقولونه عند مايسئلون عن سبب دخولهم النار وتعذيبهم فيها العذاب الاكبر من أن سبب ذلك أنهم لم يكونوا من المصلين الذين يؤدّن الصلوات فى أوقاتها وذلك قوله تعالى

آية	سورة
٢٣٧	البقرة

حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ

﴿ماتفيده هذه الآية الكريمة﴾

تفيد هذه الآية الكريمة الحث على المحافظة على الصلوات والمداومة على أدائها فى أوقاتها من غير اخلال بركن أو شرط وذلك لما علمت مما تقدم من الثمرات والمنافع التى لها فلا وأبيك ماتجد عاقلا عنده مسكة من العقل يعرف بعض مالهذه الصلوات من الفوائد والمنافع ولا يستمسك بعروتها الوثقى التى لاانفصام لها ولا يعض على المحافظة عليها بالنواجذ وخصوصا الصلاة الوسطى وهى صلاة العصر على أصح الاقوال لقوله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب (شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارا)

وبعد أن حث الله جل شأنه على المحافظة على الصلاة بيّن مايجب أن يكون عليه المصلى فى حال صلاته من الخشوع وطول الركوع وغض البصر وعدم الالتفات وعدم العبث بشئ من ثيابه أوأعضائه وعدم حديثه نفسه بأمر من أمور الدنيا فقال (وقوموا لله قانتين) أى وقوموا فى الصلاة قانتين أى مكملين لها ومتميها على أحسن وجه من غير اخلال بشئ مما ينبغى أن يكون فيها من الخضوع والخشوع وطول الركوع وغض النظر وعدم الالتفات وغيرها مما هو خارج عن هيئة الصلاة فان حافظ المصلى وداوم عليها على النحو المتقدم من غير اخلال بشئ مما ينبغى فيها كان من الذين وفقهم الله لطاعته ورزقهم حسن عبادته وهداهم الى سبيله السوىّ ونور قلوبهم حتى عرفوا الرشد من الغىّ

جزاء تارك الصلاة

سورة	آية

الحياة كالسعى على المعاش فان الله سبحانه وتعالى قد كفاك مؤنة ذلك كما قال تعالى (لانسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى) أى لانسألك أن ترزق نفسك وأهلك فلا تشغل نفسك فى تحصيله حتى يحول بينك وبين أداء ما افترضته عليك من الصلاة فانا نرزقك واياهم فاكف نفسك مؤنة المشقة فى تحصيله فان الجنة وحسن العاقبة لمن اتقى الله تعالى وأطاعه لا لمن شغل بأمور الدنيا قلبه وبدنه حتى نسى الله فنسيه ودخل تحت النهى فى قوله تعالى (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون) وقوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون) والخطاب فى الآية الكريمة وان كان ظاهره التخصيص به صلى الله عليه وسلم وبأهله الا أن المقصود منه عموم أمته فهو تعليم لنا بارشاد النبى عليه السلام اليه

ثم اعلم أنه ليس الغرض أن يداوم الانسان على الصلاة ليله ونهاره ويشغل بها جميع أوقاته ويترك السعى على المعاش بالمرة حتى يعطل حياته ويصير عضوا فى الهيئة الاجتماعية غير عامل ويتكفف الناس ويريق ماء وجهه بذل السؤال فان ذلك يناقض نصوص الشريعة الاسلامية الغراء بل المقصود أن يواظب على أدائها فى أوقاتها المعينة لها بحيث لايشغله أمر المعاش عن أدائها فى تلك الاوقات لانه كما لايخفى لايستغرق فى أداء هذه الصلوات فى أوقاتها المعينة لها أكثر من ساعتين من الزمن وهو لعمر الحق زمن لايصح لعاقل أن يأبى مناجاة الحق فيه مع أنه فى كل أوقاته الأخرى متفرغ لقضاء لذاته الدنيه وشهواته البهيميه فافهم ذلك ولا تغفل عنه

﴿وقد علم الله عزوجل ما لها من جليل المنفعة وعظيم الفائدة فأمر بالمحافظة عليها والمثابرة على فعلها فقال﴾

حافظوا

سورة	آية	
		ولما كانت هذه الصلاة من أعظم القربات لما اشتملت عليه من صنوف العبادات وكونها كذلك لايكون الااذا أتى بها مستوفية الشرائط والاركان وقل من يأتى بها كذلك كانت ثقيلة وصعبة على من يفعلها الاعلى قوم وفقهم الله لطاعته وذاقوا حلاوتها وتحققوا بما عند الله من الثواب الذى ادخره لهم وهم الخاشعون الذين بينهم الله جل شأنه بقوله (وانها لكبيرة الا على الخاشعين) أى ان الصلاة لكبيرة أى ثقيلة شاقة الاعلى الخاشعين أى الخاضعين المستكينين وانما لم تثقل عليهم لانهم عارفون بما يحصل لهم بسببها متوقعون ماادخر من ثوابها فتهون عليهم ولذا قيل من عرف مايطلب هان عليه مايبذل ومن أيقن بالخلف جاد بالعطية ـ اللهم اجعلنا ممن وفقتهم لطاعتك ومنحوا كمال رضاك بامتثال أوامرك انك رؤف رحيم جواد كريم
		﴿ولما فى الصلاة من هذا الخير العظيم أمر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يأمر أهله بها ويداوموا على فعلها فقال﴾
طه	١٣٢	وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى
		﴿مايؤخذ من هذه الآية الكريمة﴾
		يؤخذ منها وجوب المثابرة على فعل الصلاة والمحافظة على أدائها فى أوقاتها والمداومة عليها مع استيفاء الشرائط والاركان مهما كان فى ذلك من المشقة على النفس وقد أشار الله تعالى الى ذلك بقوله (واصطبر عليها) أى داوم عليها معتصما بالصبر فى تأديتها مستكملة الاركان مهما شق ذلك على نفسك حتى لايشغلك عن ذلك شاغل من شواغل الدنيا ورغائب

سورة	آية	
		﴿ ولاستجماع الصلاة أنواع البر والخير كانت أنجح الوسائل فى بلوغ الانسان أمنيته وقضاء حوائجه ولذا أمرنا جل شأنه بالاستعانة بها والالتجاء اليها عند مانقع فى مهم فقال ﴾
البقره	٤٥	وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ
		﴿ ماتشير اليه هذه الآية الكريمة ﴾
		تشير هذه الآية الكريمة الى أن الانسان اذا دهمه أمر من الامور أو ألمت به ملمة وعز التخلص منها فعليه أن يتوسل بالصلاة فى دفع ذلك ويطلب المعونة من الله جل شأنه فى ازالة مانزل به بأنجح الوسائل اليه وأعظم القربات لديه وهى الصلاة وذلك لانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية والمالية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فى تحصيلهما واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان فى دفع مايوسوس به ويدسه اليه من الشواغل الدنيوية والرغائب الدنية ومناجاة الحق وتضرعه اليه وقراءة القرآن مع مافيه من الاوامر والنواهي مما هو أكبر العوامل فى كبح النفس عن استرسالها فى شهواتها الى غير ذلك مما اشتملت عليه الصلاة من الفوائد والمنافع ولا شك أن عملا كهذا وعبادة كهذه قد اشتملت على جميع أنواع العبادات النفسانية والبدنية والمالية وصنوف البر والخير لجديرة بأن تكون أقرب الوسائل وأنجحها فى تحصيل المآرب وجبر المصائب لذا أمر الله جل شأنه بالاستعانة بها والالتجاء اليها عند قضاء الحوائج وناهيك بعبادة تكرر فى اليوم والليلة خمس مرات يناجي فيها العبد ربه ويغسل بها العاصي درن ذنبه ولذا كان صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر قام الى الصلاة أى اذا نزل به مهم أو أصابه غم صلى

ولما

سورة	آية	
		خواتهم من نعمه فان ذلك أدعى للمزيد والله ولى الرشد والتسديد
		﴿ وقال عز من قائل فى بيان ان الذين يتلون القرآن ويعملون بما فيه من إقام الصلاة وفعلها مع كمال أركانها وأذكارها و ينفقون مما رزقهم الله يرجون ثوابا عند الله تعالى ولا بد من حصوله ﴾
فاطر	٢٩	إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ ٣٠ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ
		﴿ ماترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان ﴾
		ترشدهاتان الآيتان الكريمتان الى أن أعظم شئ يقرب الى الله تعالى ويكون وسيلة لنيل ثوابه وبلوغ مرجو معاملته له بما لايكسد ولا يلحقه الخسران هو تلاوة كتابه الكريم مع تدبر معانيه والعمل بما فيه من إقام الصلاة وأدائها بشروطها وتمام أركانها وأذكارها مع المداومة عليها والانفاق من رزق الله تعالى كيفما تيسر وأمكن فان أمكن فى السر فهو أفضل والا فعلانية
		فمن فعل ذلك كان من الذين يرجون تجارة لن تبور أى يرجون ثوابا عند الله ولابد من حصوله ولهذا قال تعالى ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله أى ليوفيهم ثواب مافعلوه ويضاعفه لهم بزيادات لم تخطر لهم ثم علل جل شأنه ما ذكره من التوفية والزيادة بقوله (انه غفور شكور) أى غفور لذنوبهم شكور للقليل من أعمالهم ومثل هذه الآية قوله تعالى (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله)

سورة	آية	
		وبعد أن بين سبحانه فى هذه الآيات المؤمنين المتصفين بما فيه الفلاح والسعادة والنجاح بين جزاءهم فى الآخرة حيث قال (أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) أى أولئك المؤمنون المتصفون بالاوصاف المذكورة هم الوارثون للجنة خالدين فيها لا يموتون ولايخرجون منها أبدا جعلنا الله منهم بمنه وكرمه
		(وقال جل ثناؤه يبشر الذين يقيمون الصلاة ويؤدونها على الوجه المطلوب من الخشوع والتعظيم والحياء بالجنة)
الحج	٣٤	وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ٣٥ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ
		(ما يؤخذ من هاتين الآيتين الكريمتين)
		يؤخذ منهما عظم شأن الصلاة وعلو مكانتها حيث أمر جل شأنه نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يبشر الذين يقيمونها ويؤدونها على الوجه المطلوب الشرعى بالجنة وذلك فى قوله تعالى وبشر المخبتين أى المطمئنين الراضين بقضاء الله تعالى الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وخافت منه لمكانته فيها وعلو شأنه وعظمته وكبريائه وكذا الذين اذا أصابتهم مصيبة قابلوها بالرضا والتسليم لاطمئنان قلوبهم ورسوخ ايمانهم وقوة يقينهم بالله جل شأنه وتحققهم من أن كل ماأصابهم انما هو بقضاء الله تعالى الذى لا يقابل بغير التسليم وقدره الذى ليس له عدة سوى الصبر الكريم وكذا الذين لايبخلون بما آتاهم الله من فضله فينفقون فى وجوه البر والخير مما رزقهم الله تعالى فيوسعون على الفقير ولا يمنعونه حق الله تعالى فيما

سورة	آية	
		قلبه غافلا وأى مشقة فى تحريك لسانه به مع الغفلة لاسيما بعد الاعتياد اذا لم يقصد بما يقرؤه التضرع والدعاء وأما الركوع والسجود فالمقصود منهما التعظيم ولو أتى بهما مع الغفلة لايكون معظما البتة اذ لو جاز أن يكون معظما لله عزوجل بركوعه وسجوده وهو غافل عنه لجاز أن يكون معظما لصنم موضوع أمامه وهو غافل عنه واذا خرج عن كونه تعظيما فلم يبق الا كونه مجرد حركة الظهر والرأس ولعمرى ان حركة اللسان فى القراءة والذكر مع الغفلة عن قصد التضرع والدعاء بها وحركة الظهر والرأس فى الركوع والسجود مع الغفلة عن قصد التعظيم لعمل لافائدة فيه فضلا عن أن يجعل عماد الدين والفاصل بين الاسلام والكفر ويفضل على سائر العبادات
		فقد تبين أن الصلاة مع الغفلة وعدم الخشوع عمل بلا فائدة وقد علمت سبب ذلك فمن لم يخشع فى صلاته فقد أنقض نفسه وكلفها من العمل ما كانت فى غنى عن ضياع الوقت فيه بدون أدنى فائدة ترجع عليها وياليته لم يكن الا عملا لافائدة فيه فقط بل هو مطالب بادائه على أى حال محاسب على ضياعه باشتغال باله ومطاوعته شهوة نفسه فى اهماله
		هذا وقد ختم الله هذه الآيات الشريفة بما يفيد الحث على المحافظة على الصلاة بتأديتها فى أوقاتها بشروطها واتمام ركوعها وسجودها وسائر أركانها على الوجه الشرعى المرضى اشارة الى عظم شأنها وعلو مكانتها فكأنه جل شأنه يقول ان الفلاح فى الصلاة متوقف على الامرين معا وهما الخشوع فيها والمحافظة عليها بتأديتها فى أوقاتها وفى الآيات غير اشتراط الخشوع والحث على المحافظة عليها الحث على ترك الاشتغال بما لايعنى ولايفيد من لغو القول والفعل أى القبيح منهما والحث على أداء الزكاة التى هى عبادة مالية بها تتزكى النفس وتتطهر من كل رذيلة ودنيئة وتحريم الزنا وعدم التمتع بغير ما أحله الله له من زوجته وما ملكت يمينه من الاماء والحث على الامانة وحفظ العهد وانجاز الوعد

سورة	آية	
		تفيد هذه الآيات الكريمات اشتراط الخشوع في الصلاة وأن لا صحة لها إلا به وذلك قوله تعالى (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون) حيث علق الفلاح على الخشية والخشوع في الصلاة وذلك لأن المقصود من الصلاة أثرها وهو التعظيم والخشوع القلبيان لا هذه الحركات الظاهرية من الركوع والسجود والقيام والقعود وحيث كان التعظيم والخشوع القلبيان لا يظهر أثرهما في الخارج الا بهذه الحركات شرعت الصلاة بهذه الحركات المخصوصة التي هي نهاية التعظيم والخشوع لتدل على ما في القلب منهما فخشوعها إذًا عنوان خشوع القلب وعلامة الخشوع بالنسبة للقلب حضوره وخلوه من كل شئ غير ما هو فيه ولو من أمور الآخرة وبالنسبة للجوارح سكونها وعدم العبث بها فلا يميل منه طرف ولا يتحرك منه عضو ولا يلتفت ذات اليمين ولا ذات الشمال فان ذلك كله يستدعي الغفلة عما هو فيه والله تعالى يقول (وأقم الصلاة لذكري) وظاهر الأمر للوجوب والغفلة تضاد الذكر فمن غفل في جميع صلاته كيف يكون مقيما الصلاة لذكره ويقول صلى الله عليه وسلم (من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بُعدا) وصلاة الغافل لا تمنع من الفحشاء والمنكر بالتحقيق ويقول صلى الله عليه وسلم (كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب) وما أراد به الا الغافل لأن هذا العمل ليس له نتيجة غير ذلك وأصرح من ذلك وأوضح قوله صلى الله عليه وسلم (ليس للعبد من صلاته الا ما عقل منها) ولا ريب في أن الغافل عما استولى على قلبه من الهواجس والوساوس الشيطانية لا يعقل من صلاته شيأ فهي لا شك وبال عليه وعمل بلا فائدة تعود عليه
		وذلك لأن الصلاة كما علمت فيما تقدم ذكر وركوع وسجود وقيام وقعود فاما الذكر فهو مناجاة مع الله عز وجل والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة البتة بل خرج عن كونه ذكرا الى أنه ألفاظ يقولها بحكم العادة والا فأي سؤال في قوله وهو يقرأ فاتحة الكتاب (اهدنا الصراط المستقيم) اذا كان

قلبه

سورة | آية

والأفعال بما لا يصح معه أن ينابذ صاحب هذه العظمة والكبرياء بالعصيان أو يجاهره بالمنكر لان الاقدام على المعصية يدل على عدم مبالاة العاصي وقلة اكتراثه بمن يعصيه واعتقاد عظمته وكبريائه وما يفعل فيها من الخشوع والخضوع والتعظيم يناقض ذلك فكأنها تقول لمن يأتي بها لا تفعل الفحشاء والمنكر ولا تعص ربا هو أهل لما أتيت به وكيف يليق بك أن تفعل ذلك وتعصيه عز وجل وقد أتيت بما يدل على عظمته وكبريائه بما تكون به ان عصيت وفعلت الفحشاء والمنكر كالمتناقض فى أفعالك .

(وقال تبارك اسمه فى بيان ان الصلاة لا تكون سبب الفلاح والنجاح الا باصطحاب الخشوع فى جميع أقوالها وأفعالها مع المحافظة عليها والمداومة على أدائها فى أوقاتها المعينة لها)

المؤمنون ١ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ٢ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ٣
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ
فَاعِلُونَ ٥ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ٦ إِلَّا عَلَى
أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ٧
فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ٨ وَالَّذِينَ هُمْ
لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ٩ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ
يُحَافِظُونَ ١٠ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ١١ الَّذِينَ يَرِثُونَ
الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

(ما تفيده هذه الآيات الكريمات)

سورة	آية
العنكبوت	٤٥

الثابتة من أخس الأخلاق وأدناها وهو شدة الحرص الذى هو أصل المفاسد والاخلاق الذميمة من التحاسد والتباغض والتنافر والتشاجر والمنازعات وطالما تولدت بسببه الشرور المبيدة الى أجل الاخلاق وأعلاها من ترك الحرص وما ينشأ عنه مما علمت بعضه - وأنها تمنح صاحبها فضيلة الثبات وقوة العزيمة وتوطين النفس على التؤدة فى الامور لكفاها شرفا وفضلا وفخرا وذكرا والله أعلم بموارد كلامه ومصادره انه ولى التوفيق

(وقال جل ثناؤه فى بيان أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)

وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ

(ما تشير اليه هذه الآية الكريمة)

تشير هذه الآية الكريمة الى بعض مايترتب على فعل الصلاة من الثمار اليانعة والفوائد النافعة وهى أنها تنهى فاعلها عن ارتكاب الفحشاء وفعل المنكر وذلك لان الصلاة قداشتملت على صنوف العبادات من الذكر والقراءة والركوع والسجود والقيام والقعود الدالة على نهاية التعظيم وغاية الخضوع لله جل وعلا وهو مع ذلك كله لابد أن يكون حاضر القلب خالى الفكر من كل الشواغل الدنيوية مستحضرا عظمة الله تعالى وخشيته بقلبه جازما بأنه بحضرة مولاه وواقف بين يديه يناجيه ويتضرع اليه ويخضع لارادته ويمتثل لمشيئته فتتمثل بذلك عظمته تعالى بقلبه فترتدع نفسه عن الشهوات وتعدل عما كانت تصر عليه من المنكرات وبذلك ينتهى فاعلها عن الاتيان بما يكرهه منه مولاه من الفحشاء والمنكر قل ذلك أوكثر والا كان كالمتناقض فى أفعاله لانه أتى فى الصلاة بما يدل على عظمته تعالى وكبريائه من الاقوال

والافعال

سورة	آية	
المعارج	١٩	انّ الانسان خُلِقَ هلوعا ٢٠ اذا مسّه الشرّ جزوعا ٢١ وَاذا مسّه الخيرُ منوعا ٢٢ الّا المصلّين

(ماترشد اليه هذه الآيات الكريمات)

ترشد هذه الآيات الكريمات الى أمرين (الاول) ان الصلاة اذا أتى بها المصلى على وجهها المطلوب وحقها المرغوب من الخشوع والتعظيم والحياء غيرت ما جبلت عليه نفسه بطريق الفطرة من الهلع وهو شدة الحرص اذ منشؤه الركون الى الدنيا وايثار العاجل على الآجل والصلاة بما فيها من الخضوع لعظمة الله عند مايناجيه ويقف بين يديه يتضرع اليه ويتذلل لديه ويستحضر خشيته فى قلبه ويتذكر عظمته ويخاف عقابه تدفع بصاحبها إلى ترك الدنيا ونبذ العاجل والرغبة فى الآجل فينتزع بذلك ما كان كامنا فى قلبه من الركون الى الدنيا وايثاره العاجل على الآجل فينبو قلبه عن الحرص ويترك ماكان عليه من الهلع

(الامر الثانى) ان الانسان خلق بفطرته متقلبا فى أعماله غير ثابت فى أحواله ان رزقه الله من الخير بطر وطغى ومنع حقه فيه وان رزقه الشر جزع وسخط وتقطعت نفسه حسرات عليه فاذا أتى من هذه حالته بالصلاة كل يوم خمس مرات فى أوقاتها المحدودة وعلم أنه ملزم بها على أى حالة من الحالات مهما اعتوره من الاعذار والضرورات لاجرم كانت المداومة على ذلك سببا فى توطين نفسه على الثبات وقوة الجأش وخضوعها لكل مايجرى عليها من خير أو شر لعلمها أن الخير والشر من الله الذى تناجيه فى اليوم خمس مرات وتستكين لعظمته وتخضع لمشيئته وتقر بربوبيته وتعترف بوحدانيته

ولولم يكن لهذا العمل المبرور والعبادة المحمودة الا أنها تغير الطباع

سورة	آية

واسطة بينه وبينهم فى تبليغ أحكامه المتكفلة بمصالحهم الدنيوية والأخروية فاذا اعتقد ذلك كله حق الاعتقاد تهذبت نفسه وكرمت طباعه وشملت قلبه الشفقة والرأفة فيجود بما فضل من ماله مع فرط حبه له وكثرة شغفه به على ذوى قرابته المحتاجين اليه واليتامى والمساكين الذين ألجأتهم الفاقة وشدة الحاجة الى التكفف وذل السؤال والمكاتبين الذين يبتغون فك رقابهم من ربقة الرق ليستعينوا بذلك على تخليصها وتحريرها ولم يقف عند هذا الحد من التهذيب بل رسوخ اعتقاده وكمال ايمانه يلجئانه الى شدة مراقبته لجانب الله تعالى فى جميع أحواله وأوقاته وأخصها وقت مناجاته له تعالى فى الصلاة فيقيمها أى يزيل عوجها (من قوم العود اذا عدله) بأن يؤديها على الوجه المطلوب الذى قرره الشرع من الخضوع والخشوع والتعظيم والحياء ويؤدى زكاة نفسه بأن يزكيها ويطهرها ويخلصها من الاخلاق الرديئة الدنيئة الرذيلة ويحتمل أن يكون المراد زكاة المال المفروضة وعليه فيكون المراد بالايتاء المتقدم صدقة التطوع لاصدقة الفريضة

وناهيك بما يترتب على هذه المراقبة لجانب هذا الاله من حسن معاشرته لصنوف الخلق وجميل معاملته معهم فاذا وعد أحدهم وعدا أنجزه له ووفى به واذا أصابته مصيبة فى نفسه أوماله مع اعتقاده بأن الكل من الله قابل ذلك بالصبر وحسن الثبات واطمأنت نفسه لقضاء الله تعالى وقابله بالرضا والتسليم

فاذا فعلوا ذلك كله واتصفوا بهذه الاوصاف الجيدة صح أن يتصفوا بالصدق فى المعاملة مع الله تعالى وفى الايمان لانهم حققوا الايمان القلبى بالاقوال والافعال كما صح أن يتصفوا بالتقوى لانهم اتقوا المحارم وفعلوا الطاعات

(وقال جل ثناؤه فى بيان أنها تغير الطباع الثابتة وتمنح صاحبها فضيلة الثبات وقوة العزيمة)

ان

سورة	آية	
		﴿وقد بين الله جل شأنه أن لا اعتداد بصورة الصلاة الظاهرية وإنما المعتد به أثرها حيث يقول﴾
البقرة	١٧٦	لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ
		﴿ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة﴾
		ترشد هذه الآية الكريمة الى أن البر والخير ليس هو أن يتوجه الانسان بجسمه ووجهه فى الصلاة جهة المشرق والمغرب أو أية جهة من الجهات مع خلو قلبه ونبوه عن المقصود بهذا التوجه وهو الله تعالى بل الخير كل الخير أن يؤمن بالله تعالى ويعتقد اعتقادا جازما بأنه تعالى متصف بسائر صفات الكمال ومنزه عن سائر صفات النقصان وباليوم الآخر وما فيه من البعث والحشر والحساب والميزان والجنة والنار وغيرها - وبأن لله تعالى ملائكة اصطفاهم لعبادته لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ومنهم المتوسطون بينه تعالى و بين أنبيائه عليهم السلام بالقاء الوحى وانزال الكتب السماوية - وبكتبه المنزلة على أنبيائه وهم خيرته من خلقه اصطفاهم على سائر عباده ليكونوا

سورة	آية	
		رؤيا حق وصيغتهما أن يقول فى الاذان (الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله حى على الصلاة حى على الصلاة حى على الفلاح حى على الفلاح الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله) وفى الاقامة هذه الالفاظ بعينها غير أنه يزيد بين التكبير الاخير وبين حى على الفلاح قوله (قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة) وقد زاد صلى الله عليه وسلم على صيغة الاذان المتقدمة فى أذان الصبح (الصلاة خير من النوم الصلاة خير من النوم) وذلك لان الوقت وقت نوم وغفلة فاقتضى أن ينبهوا من غفلتهم ويوقظوا من نومهم وكفى فى فضل الاذان أنه من شعائر الاسلام وأنه شعبة من شعب النبوة لانه حث على أعظم الاركان وأم القربات وأن قبوله من القوم علامة انقيادهم لدين الله تعالى * وقد ورد فى فضله من الاحاديث قوله صلى الله عليه وسلم (المؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيمة) وقوله صلى الله عليه وسلم (المؤذن يغفر له مدى صوته ويشهد له الجن والانس) وذلك والله أعلم لان أمر المجازاة مبنى على مناسبة المعانى بالصور وعلاقة الارواح بالاشباح فوجب أن يظهر عظم شأن المؤذن من جهة عنقه وصوته وتتسع رحمة الله عليه اتساع دعوته الى الحق وينبغى لمن يسمع المؤذن أن يقول مثل قوله لان الاذان جعل ليعرف به قبول القوم للهداية الالهية فكانت محاكاتهم لقول المؤذن تصريحا بما أريد منهم لكن عند طلبه منهم الاقبال على الصلاة والاقبال على الفلاح لا يقولون مثل قوله لان تلفظ المأمور بلفظ آمره يعد كالسخرية بل يقولون لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم كأنهم يقولون ان تحصيل هذا الخير العظيم من الدخول فى تلك العبادة ونوال فلاحها لا طمع لنا فيه الا بحول الله تعالى وقوته

(وقد

الآية	سورة

صلاته صلاة الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم على صلاتهم يحافظون والذين هم على صلاتهم دائمون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون

ومن أداها على غير هذا الوجه من الخضوع والخشوع والحياء والتعظيم كانت صلاته وبالا عليه وعملا بلا فائدة تعود عليه

وان أردت شرح كيفية الصلاة بعبارة أخصر مع شمولها لجميع الشروط والاركان التى لابد منها ولاتصح الصلاة الابها فهى أن يتطهر ويستر عورته ويقوم ويستقبل القبلة بوجهه ويتوجه الى الله بقلبه ويخلص له العمل ويقول الله أكبر بلسانه ويقرأ فاتحة الكتاب ويضم معها الا فى ثالثة الفرض ورابعته سورة من القرآن ثم يركع وينحنى بحيث يقدر أن يمس ركبتيه برؤس أصابعه حتى يطمئن راكعا ثم يرفع رأسه حتى يطمئن قائما ثم يسجد على الاعضاء السبعة اليدين والرجلين والركبتين والوجه ثم يرفع رأسه حتى يستوى جالسا ثم يسجد ثانيا كذلك فهذه ركعة ثم يقعد على رأس كل ركعتين ويتشهد فان كان آخر صلاته صلى على النبى صلى الله عليه وسلم ودعا بأحب الدعاء اليه وسلم على من يليه من الملائكة والمسلمين

فصل فيما يتقدم الصلاة من الاذان والاقامة

لما علمت الصحابة رضوان الله عليهم أن الجماعة مطلوبة مؤكدة ولا يتيسر الاجتماع فى زمان واحد ومكان واحد بدون اعلام وتنبيه تكلموا فيما يحصل به الاعلام فذكروا النار فردّها رسول الله صلى الله عليه وسلم لمشابهة المجوس وذكروا القرن فردّه لمشابهة اليهود وذكروا الناقوس فردّه لمشابهة النصارى فرجعوا من غير تعيين فأرى عبد الله بن زيد الاذان والاقامة فى منامه فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال

سورة	آية	
		والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله) كأنه يشير بذلك الى تهيئه للخروج من تلك الحضرة والرجوع الى حالته التي كان عليها قبل دخوله في تلك الحضرة فيأخذ في تقديم التحيات وعرض الصلوات والطيبات لدى مولاه الذي هداه ويسلم ويترحم ويبارك على من كان السبب في هدايته لدخوله تلك الحضرة وتشرفه بتلك الخدمة وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا يسلم على اخوانه الذين اشتركوا معه في تلك العبادة ويطلب لهم الامان رجاء القبول ثم يشهد من صميم قلبه بتفرد الله الذي هو المنعم الحقيق بالالوهية وبأكمل المراتب وأشرف المناصب من العبودية والرسالة لسيد الوجود سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حيث كان هو الواسطة العظمى في بلوغ هذا الخير العميم ثم ينعطف بالصلاة على هذا الرسول الكريم فيطلب له الصلاة بقوله (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد) ثم يدعو الله بما شاء أن يدعوه ومما ورد من صيغ الدعاء في التشهد (اللهم اني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب الا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني انك أنت الغفور الرحيم
		ثم يسلم ان كانت الصلاة ثنائية وان كانت ثلاثية أو رباعية كبر بعد فراغه من التشهد قائما ليأتي بركعة ثالثة في الثلاثية وباثنتين في الرباعية ثم اذا أتم الثالثة في الثلاثية والرابعة في الرباعية جلس وتشهد بالكيفية المتقدمة وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وتكون بعد التشهد الاخير من كل صلاة وكذا الدعاء عقبها
		فمن صلى بهذه الكيفية مراعيا فيها هذه الاعتبارات الاولية كانت

آية	سورة

لذلك الدواء مكبرا له وشاهدا له بالعظمة وأنه أعظم من كل عظيم ثم يسبح مولاه وينزهه عن كل نقص قائلا سبحان ربى العظيم ويكرره ثلاثا ليؤكده بالتكرار ثم يرفع من ركوعه ويستوى قائما حتى يعود كل فقار مكانه حامدا لله على هدايته الى هذا الدواء قائلا سمع الله لمن حمده أى أجاب لمن شكره ثم يردف ذلك بالشكر المقتضى للمزيد فيقول ربنا ولك الحمد ثم يهوى الى السجود واضعا ركبتيه قبل يديه غير باسط ذراعيه انبساط الكلب مجافيا يديه مستقبلا بأطراف أصابع رجليه القبلة قائلا الله أكبر ممثلا كمال صورة العجز عن أداء الشكر لمولاه على نعمة الهداية وأنه لاحيلة له الاوضع أشرف أعضائه اليه وأعزها لديه وهو الوجه على أخس الاشياء وأحقرها وهو التراب ولما فيه من غاية الذل والخضوع يتذكر عظمة الله تعالى الذى له هذا الذل والانكسار فينطلق لسانه قائلا سبحان ربى الاعلى مؤكدا ذلك بالتكرار ثلاثا ثم يرفع من سجوده قائلا الله أكبر كأنه يشير الى أنه تعالى أكبر من أن يستوفى لعظيمه مهما قطع من العمر فى بذل المجهود فى تحصيل ذلك ويجلس بعد الرفع وبين السجدتين على رجله اليسرى وينصب اليمنى ويضع راحتيه على ركبتيه وبعد رفعه من السجود يجد أن هذه الحالة السجودية التى هى نهاية الخضوع والذل والاستكانة لم يقض أربه منها فيسجد ثانيا لتحصيل ذلك الارب منزها مولاه عن كل مالايليق به قائلا سبحان ربى الاعلى مؤكدا ذلك بالتكرار كما فعل ذلك فى السجدة الاولى ثم يرفع رأسه من السجدة الثانية وبذلك يسمى ماعمله ركعة ثم يقوم ليأتى بركعة ثانية ويفعل بها مافعل فى الاولى ملاحظا كل الاعتبارات المتقدمة الا أنه لايستفتح ولا يتعوذ ولايرفع يديه اذ لايرفعهما الا فى التكبيرة الاولى وبعد تمام الركعة الثانية يتشهد وأصح صيغ التشهد تشهد ابن مسعود رضى الله عنه ولفظه (التحيات لله والصلوات

سورة	آية

والجزاء والحساب وجدير بمن كان مربيا للعالمين وواسع الرحمة ومتصفا بالجبروت والقوة أن يتوجه اليه بعبادته التى هى بعض الشكر على نعمه ويتقرب اليه بخدمته ثم ينظر الى حاله فيجد أنه عاجز أشد العجز عن القيام بتلك الخدمة وأداء ذلك الشكر ان لم يعنه الله تعالى ويوجد فى قلبه الباعث ويدفع عنه المانع فيطلب الاعانة منه تعالى على أداء تلك الخدمة والقيام بتلك العبادة ثم يلاحظ أنه وجد من نفسه فى توجهه ذلك بالعبادة وطلب المعونة منه تعالى ستعدادا وتهيؤا لقبول دعائه فيطلب منه تعالى الهداية الى الصراط المستقيم صراط الذين أفاض عليهم نعمة الهداية من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين دون الذين غضب عليهم من الكفار والزائغين من جميع الامم الضالة ثم يختم ذلك الدعاء بطلب الاجابة لما دعا به مولاه اذ هو أكرم مسؤل وأقرب مجيب فيقول آمين أى استجب لنا يا ربنا مادعوناك به

ثم لما كانت الفاتحة بمنزلة شكوى المريض الى طبيبه وهو فى طلبه الهداية الى ذلك الصراط المستقيم يطلب الدواء الشافى من أمراض الاعمال والاعتقادات السيئة وكان فى كلام الله تعالى غير الفاتحة من أنفع الادواء وأنجع أسباب الشفاء مابه يستأصل شأفة هذا الداء اذ فيه الدلائل الوافية والمواعظ الكافية كان على المصلى أن يتلو شيأ من القرآن غير الفاتحة لاستئصال هذا الداء وينبغى أن تكون قراءته الفاتحة وهذا الجزء من القرآن غيرها سرا فى الظهر والعصر وجهرا فى الصبح وأولى المغرب والعشاء ان كان اماما أو منفردا وان كان مأموما وجب عليه الانصات والاستماع ان كان الامام يجهر والسر فى مخافتة الظهر والعصر أن النهار مظنة الغوغاء واللغط فى الاسواق والدور فالمخافتة فيهما أقرب الى الخشوع وأدعى الى عدم التشويش وأما غيرهما ففى وقت هدو الاصوات والجهر أقرب للتذكر والاتعاظ ثم بعد ذلك يخر راكعا ممثلا صورة عجزه واحتياجه الى مولاه فى هدايته

سورة	آية	

الخضوع والتنبيه للنفس على مثل هذه الحالة التى تعترى السوقة عند مناجاة الملوك من الهيبة والدهشة والسكون والأدب والخوف ثم يستفتح بقوله سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك والغرض منه التمهيد لحضور القلب وتنبيه الخاطر الى المناجاة فهو بمنزلة استفتاح خطاب الملوك بذكر الالقاب التى تذكر قبل مخاطبتهم مشتملة على التعظيم والتبجيل ولله المثل الاعلى ثم يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم لقوله تعالى (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) والسر فى ذلك أن من أعظم ضرر الشيطان أن يوسوس له فى تأويل كتاب الله تعالى بما ليس بمرضى أو يصده عن التدبر لانه عدوه وحريص على تفريق قلبه بوساوسه حسدا له على مناجاته مع الله عز وجل وسجوده له مع أنه طرد من رحمة الله بسبب سجدة واحدة تركها ولم يُوَفَّق لها وكل ما شغل عن فهم معانى القراءة فهو وسواس يجب أن ينبذه ويعلم أنه من مكايد الشيطان فانه ليس الغرض من التعوذ مجرد قوله أعوذ بالله من الشيطان الرجيم مع أنه مقيم على ما يوسوس له به بل لابد من ترك كل ما يحول بينه وبين مناجاة ربه من وساوسه ثم يقول بسم الله الرحمن الرحيم سرا لما شرع الله لنا من تقديم التبرك باسم الله على القراءة ولان فيه احتياطا اذ قد اختلفت الرواية هل هى آية من الفاتحة أم لا — ثم يقرأ فاتحة الكتاب وكان الاشارة فى قراءتها ما يأتى وهو أنه يلاحظ أن كل النعم من الله عز وجل فيأخذ فى الثناء عليه لذاته العلية المستحقة لجميع المحامد ومن تلك النعم وأجلها أنه رب العالمين على موائد كرمه الذى هو فرد منهم واشعوره من نفسه بالتقصير فى جانب تلك النعمة فما عليه الا أن يلتجئ الى رحمته الواسعة ويصفه بها لعله ينال شيأ منها ولما كان التجاوز الى الرحمة الصرف ربما يكون داعية البطر والغرور ناسب أن يؤتى له بصفة الجلال والقهر وهى أنه مالك يوم الدين

سورة	آية

بعث فى الأميين الآخذين بالملة الاسماعيلية وقدر الله فى سابق علمه أنهم هم القائمون بنصرته ونصرة دينه وهم شهداء الله على الناس من بعده وهم خلفاؤه فى أمته بخلاف اليهود فانه لايؤمن منهم الاشرذمة قليلة فكانت المصلحة فى رعاية حال المتدينين بدين اسمعيل عليه السلام فى اتباع قبلتهم اذ الاصل أن يراعى فى أوضاع القربات حال الأمة التى بعث الرسول فيها فأمر لذلك صلى الله عليه وسلم أن يستقبل الكعبة فاستقر الأمر على ذلك

ويلاحظ فى النية أن يمتثل أمر الله تعالى بالصلاة يخلص فيها لوجهه رجاء لثوابه وخوفا من عقابه وطلبا للقرب منه وأنه يناجى الله تعالى بعمله ذلك فينظر كيف يناجى وبأى شئ يناجى وعندها يعرق جبينه من الخجل وترتعد فرائصه من الهيبة ويصفر وجهه من الخوف

فاذا استوفى هذه الشروط ولاحظ هذه الاعتبارات المتقدمة فما عليه بعد ذلك الا أن يقوم لاداء هذه الخدمة فيمثل بين يدى الله قائما صافا قدميه مطأطئا رأسه هادئة جميع أطرافه خاشعة جميع جوارحه ساكنة جميع أجزائه ثم يفتتح الصلاة

هيئة الصلاة وما تشتمل عليه من الاركان وما ينبغى أن يلاحظه المصلى عند أداء كل ركن من أركانها

أول عمل يدخل به المصلى فى الصلاة أن يرفع يديه حذاء أذنيه قائلا الله أكبر وفيه الاشارة للمصلى أن يستحضر أن مولاه الذى هو عازم على التمثل بين يديه أكبر من كل شئ فلا يشغل قلبه بشئ سواه ثم يضع يده اليمنى على اليسرى تحت سرته بهيئة أدب مطرقا بنظره الى الارض غير ملتفت الى شئ سوى ماهو متلبس بفعله وذلك لما فيه من تحقق

سورة	آية	
		ويلاحظ فى استقبال القبلة صرف قلبه عن كل ماعدا الله تعالى الى الله عز وجل كما صرف ظاهر وجهه عن سائر الجهات الى جهة بيت الله تعالى فان ذلك هو المقصود وانما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالثبات فى جهة واحدة فقد قال صلى الله عليه وسلم (اذا قام العبد الى صلاته فكان هواه ووجهه وقلبه الى الله عزوجل انصرف كيوم ولدته أمه) على أن فى تعيين جهة مخصوصة دفع ماعساه أن يعترضه من الاضطراب والحيرة عند ما يريد الدخول فى حضرة مولاه بمناجيه ويطلب إقباله عليه فلايدرى أىّ الجهات أقرب وأوفق لاقبال مولاه عليه واجابة دعائه فبهذا التعيين يجتمع قلبه عند مناجاة ربه وتطمئن نفسه بأنه استقبل أفضل الجهات وأقربها وأوفقها لاقبال ربه عليه وحظوته باجابة دعائه والسر فى ذلك والله أعلم انه لما كان تعظيم شعائرالله وبيوته واجبا لاسيما فيما هو أصل أركان الاسلام وأم القربات وأشهر شعائر الدين وكان التوجه فى الصلاة الى ماهو مختص بالله لطلب رضا الله بالتقرب منه أجمع للخاطر وأحث على صفة الخشوع وأقرب لحضور القلب لانه يشبه مواجهة الملك فى مناجاته اقتضت الحكمة الالهية أن يجعل استقبال قبلة ما شرطا فى الصلاة فى جميع الشرائع فلما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة حكم باستقبال بيت المقدس الذى هو قبلة أهل الكتاب وبقى على ذلك ستة أو سبعة عشر شهرا ثم أحكم الله آياته وأطلع نبيه على ماهو أوفق بالمصلحة وأقعد بقوانين التشريع بالنفث فى روعه أولا فكان يتمنى أن يؤمر باستقبال الكعبة بدل بيت المقدس وكان يقلب وجهه فى السماء طمعا أن يكون جبريل نزل بذلك وثانيا بما أنزل فى القرآن الكريم من قوله تعالى (قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام) وانما عدل عن بيت المقدس الى الكعبة لانها كانت قبلة ابراهيم واسمعيل عليهما السلام ومن تدين بدينهما والنبى صلى الله عليه وسلم

سورة	آية	
		وستر عورته واستقباله القبلة ونيته الدخول فى الصلاة ثم بعد ذلك يدخل فيها وعليه أن يلاحظ عند مباشرته لهذه الاعمال الاعتبارات الآتية
		فيلاحظ فى فعل الطهارة أن الغرض منها الدخول فى حضرة مولاه والتمثل بين يديه قائما فلا يكون مع ذلك الاطاهر البدن والمكان والثوب والقلب بالتوبة والندم على مافرط وتصميم العزم على ترك ما اقترفه من الذنب فى المستقبل كما أن من يدخل حضرة ملك من ملوك الدنيا ويتمثل بين يديه يجتهد أن لايقع نظر الملك على شئ يكرهه أو تشمئز نفسه منه والله جل شأنه يستوى عنده الظاهر والباطن فيستوى عنده طهارة البدن والثوب والقلب لان الكل لديه سواء
		وفى ستر عورته يلاحظ أنه ليس الغرض منها تغطية مقابح البدن فقط بل المقصود ستر معايبه الباطنية وعورات سرائره الداخلية التى لايطلع عليها أحد غير الله تعالى ولا يسترها عنه ساتر حتى اذا لاحظ ذلك انبعثت جنود الخشية من قلبه فتذل بذلك نفسه ويستكين تحت الخشية قلبه فيقوم بين يدى الله عزوجل قيام العبد المسىء المجرم الذى ندم فرجع الى مولاه نا كسا رأسه من الحياء والخوف فضلا عما فيه من تعظيم الصلاة وتحقيق أدب المناجاة بين يدى رب العالمين وهوذلك الامر الذى امتاز به الانسان عن سائر الحيوانات وينبغى مع ذلك أن لايكون الساتر للعورة مما يشغل الانسان ويلهيه عن الصلاة لحسن هيئته أو لاعجاب النفس به فان ذلك مناف للخشوع الذى هولب الصلاة والاصل فى ذلك أنه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم قباء مشقوق من خلفه وكان مزينا منقشا فلبسه وصلى فيه ثم نزعه نزعا شديدا كالكاره له وقال (لاينبغى هذا للمتقين) وقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها وكان عليها ستر رقيق مزين منقش (أميطى عنا قرامك فانه لايزال تصاويره تعرض فى صلاتى

ويلاحظ

آية	سورة

في صحتها بحيث لاتصح صلاة جمعة الا به وذلك أن يقوم بعض المسلمين في المسجد الجامع في يوم الجمعة والناس مجتمعون فيخطبهم ويرشدهم الى بيان آداب الدين وفضائله ومافيه صلاح عامتهم وخاصتهم سواء كان ذلك من جهة الدنيا أوالدين

ولما للصلاة من هذه الفوائد الجمة والمنافع العامة كانت معراجا للمؤمن يصعد به الى حظيرة القدس وينال القرب به من ذى العرش وهو قوله صلى الله عليه وسلم (انكم سترون ربكم فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا) أى فان استطعتم أن لا تصيروا مغلوبين بالاشتغال عن صلاة الصبح والعصر فافعلوا فلا جرم اذا كانت سببا عظيما لمحبة الله ورحمته وهو قوله صلى الله عليه وسلم (أعنى على نفسك بكثرة السجود) وشعارا للمسلم يتميزبه من الكافر وهو قوله صلى الله عليه وسلم (العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر)

وهذا ماتيسر للفقير ذكره مما انبث فى هذه الصلاة من الفوائد والثمرات ولها غير ذلك ماالله ورسوله أعلم به والراسخون فى العلم وكفى به هداية للمسترشد والله الموفق والمسدد

واليك بيان كيفية الصلاة وما ينبغى للمصلى أن يلاحظه عند أداء كل ركن أوشرط من أعمالها

كيفية الصلاة

﴿ومايبنغى أن يلاحظه المصلى عند أداء كل ركن وشرط من أعمالها﴾

﴿شروط الصلاة﴾

اعلم أنه لايصح لمن يريد الدخول فى الصلاة أن يدخلها الا اذا استوفى شرائطها السابقة عليها وهى طهارة ثوبه و بدنه ومكانه الذى يصلى فيه

سورة	آية	
		وناهيك بما اشتملت عليه من أفعال التعظيم ففيها يخضع القلب عند ملاحظة جلال الله وعظمته ويعبر اللسان عن تلك العظمة وذلك الخضوع بأفصح عبارة وتتأدب الجوارح حسب ذلك الخضوع
		ومن أفعال التعظيم أن يقوم بين يدى خالقه مناجيا ويقبل عليه مواجها وأعظم من ذلك وأكبر أن يستشعر ذلته وعزة ربه فينكس رأسه اذمن الامر المجبول فى كافة البشر والبهائم أن رفع العنق علامة العجب والكبر وتنكيسه علامة الخضوع والاخبات وهو قوله تعالى (فظلت أعناقهم لها خاضعين) وأعظم من هذا وذلك أن يعفر وجهه الذى هو أشرف أعضائه ويجمع حواسه بين يدى ربه الى غير ذلك من الثمار اليانعة والفوائد النافعة ومايعقلها الا العالمون
		وهناك لها من الثمار ما هو أدنى اقتطافا وأشهى مذاقا من تلك الثمرات وذلك أنها تغير الطباع وتقلب الاوضاع فتخرج الشئ عن أصله وتقلبه الى ضده فتخرج النفوس عما كمن فيها بطريق الفطرة من الهلع وشدة الحرص وقلة الصبر الى حد الاعتدال والتوسط فى الامور كما يرشد الى ذلك قوله تعالى (إن الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين) أى ان الانسان خلق مجبولا على الهلع وهو شدة الحرص اذا مسه الشر أى الضر يكثر الجزع واذا مسه الخير أى السعة والغنى بالغ فى الامساك ومنع ما يجب عليه أن يؤديه من ذلك المال الا المصلين فانهم ليسوا كذلك لان الصلاة بها الاستغراق فى طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل وما نشأ الحرص وشدة الشره الا من الانهماك فى حب العاجل وقصور النظر عليه وهما متضادان
		واليك ما أوجبته الشريعة الاسلامية قبل صلاة الجمعة وجعلته شرطا

فى

آية	سورة

اصلاحه وعنوان نجاحه وباعث على الاستفادة وجامع لشمل منافع الانسان فلاغرو اذا أخذ الانسان نفسه باستعماله وروّض طباعه على القيام بامتثاله حتى يصيرله كالعادة وتكون نفسهُ لمتابعته منقادة فتنتظم أحواله وتستقيم أموره وهنالك تكون السعادة الكبرى والخير العميم كما أن فى اطمئنان المصلى فى جميع حركاته وسكناته وأعماله فى صلاته وعدم ابداء أىّ حركة فلا يلتفت يَمْنَة ولا يسرة مع سكون جميع أعضائه كأنما على رأسه الطير الارشادَ الى تعليم الانسان السكون والتؤدة فى جميع أعماله فلا تنازعه عوامل الطيش والخفة فاذا حكم تبصر واذا أقدم على أمر تدبر وتفكر فيسلم من الزلل والخطل فى جميع أقواله وأفعاله فان السكون قانون النجاح فى جميع الاعمال

وحسبك ما أودع فى هذه الصلوات وماترشد اليه من الاخلاق الفاضلة والصفات الكاملة من الأدب حيث يجلس جِلسة المتأدب ولايرفع صوته على صوت إمامه وينصت الى استماع مايقرؤه ولا يتقدم عليه ولا يساويه فى الوقوف وفى ذلك من الادب مالا يخفى

ومن التواضع حيث يضع أشرف أعضائه وهو الوجه على الارض ويقف بجوار من هو أحط عنه وأقل منزلة منه وينقاد لأن يكون تابعا فى الامامة لمن هو أقل منه رُواء وأخس بزة وبهاء

ومن الحلم حيث يوطن نفسه على متابعة امامه مهما فعل مالا يلائم نفسه من الاطالة فى القراءة والركوع والسجود اذ يعلم أنه لامناص له من متابعته ولا يمكنه الخروج من صلاته الاحيث يخرج وفى ذلك من الصبر وهو مقاومة الآلام والاهوال مالا يخفى

ومن الحياء حيث يحفظ نفسه فيها من كل مايشينها ويعيبها فلاترى منه عضوا بارزا ولا بشرة بادية كما لاتراه يحمل درنا أويلمّ شعثا بل تراه نظيف الثياب حسن السمت جميل الهيئة لطيف المنظر الى غير ذلك من الاخلاق الفاضلة والصفات الكاملة

سورة	آية	

ويتعاونون ويتآلفون فشرع لهم الاجتماع فى أوقات هذه الصلوات فأهل المحلة يجتمعون فى أوقات الصلوات المفروضة كل يوم خمس مرات وأهل البلد فى الاسبوع مرة فى صلاة الجمعة وأهل البلدة ومن جاورها فى العام مرتين فى صلاة العيدين

ثم فى صلاة الجماعة واتباع المصلين لامامهم وانقيادهم له فى جميع أعمال الصلاة تمرين النفس على الاطاعة والانقياد للرئيس كما أن فيها تمرين النفس على انقياد الطبيعة للعقل وجريانها فى حكمه

وفيها أيضا من الارشاد والتعليم الى بث فضيلة العدل وحب الانصاف الذى هو قوام الامم وملاك حياتها وعليه مدار نظامها وحفظ كيانها وبه تأمن سبلها وتنمو تجاراتها وتخصب أرضها وتعمر بلادها وتدرّ أرزاقها ويعم الصلاح الخاصة والعامة وذلك لانك ترى الغنىّ المترفه على وفرة ماله وقوة سلطانه وعظم جاهه وشدة بطشه وكثرة خوله وأعوانه يقف فيها مع الفقير البائس الذى لا يملك قوت يومه مع رثاثة هيئته وخسة رتبته وقلة ذات يده كتفا لكتف وجنبا لجنب وقدما لقدم لا تأنف من ذلك نفسه ولا تعاف الوقوف بجانبه بل تجد من هو أعظم من ذلك مكانة وأسمى منزلة وأعلى مرتبة كالملوك فان الشريعة تسوّى بينهم وبين السوقة فيها فلا غرو اذا تذللت نفوسهم بذلك وصار العدل فيهم ملكة فيعدلون فى الرعية ولا يجورون فى القضية خصوصا وان ذلك يتكرر فى اليوم خمس مرات وذلك أدعى الى كسر سَوْرة نفوسهم وركونها الى الذل والخضوع والتواضع ومقاومة ما هو كامن فيها من الانفة والعظمة والجبروت التى هى وسائل الظلم والجور والله بسر عبادته عليم

وفى انتظام صفوفها واستقامتها وتحديد أوقاتها وتعيينها من الارشاد الى النظام فى جميع الاحوال والاستقامة فى جميع الاقوال والافعال ما يكفى فى الاقرار بعظيم منفعتها وجليل فائدتها فان النظام فى كل شئ أساس

سورة	آية	
		والمثابرة على جميع الاعمال ورزق سداد الرأى وثبات الجأش والطمأنينة فى كل أعماله والمداومة على ما يعود عليه بالسعادة ثم طوّح ببصره الى ما يرمى اليه غرض الشارع الحكيم من جعل الصلوات خمسا فى اليوم والليلة فى أوقات مخصوصة وأزمنة محدودة وماأعده من العقاب لمن تكاسل عن فعلها فى تلك الاوقات وإلزام المكلف بها على أي حال من الحالات مهما توالت الضرورات وتكاثرت النكبات وتعددت الاعذار تعلّم من ذلك درسا فى الثبات وقوة العزيمة وحب الدأب على العمل وبغض العجز والكسل مابه يقاوم أعظم الصعوبات فى سبيل ترقيه الى أوج الكمال ويذلل به جموح الاعمال وهنالك تكون السعادة الكبرى والنجاح الاعظم
		وناهيك بما يقوم به المصلى من مناجاة ربه والاقرار بربوبيته والاعتراف بوحدانيته وتذكره عظمته تعالى ليأمن من الغفلة عنه فى ليله ونهاره بما يستولى على قلبه من شواغل الدنيا فتلازمه المراقبة بأن عليه رقيبا مهيمنا قريبا فيحجم بذلك عن العصيان ويهجر أمانىّ الشيطان
		وحدّث عما يترتب على الاجتماع فيها من الثمار اليانعة والفوائد النافعة ولاحرج وذلك من اتحاد كلمة المسلمين وتوثيق عرى المودة والمحبة فيما بينهم وتعاونهم على مايجلب لهم الخير ويدفع عنهم الضير واطلاع بعضهم على شؤن البعض الآخر المحتاجة للتعاون والتوازر فيقضى له حاجته إذا كان محتاجا ويفرج عنه اذا كان مضيقا عليه أوينفق عليه ويحسن اليه اذا كان مقترا ويقضى دينه اذا رأى ازدحام الغرماء عليه أو يهديه الى مافيه صلاح دينه ودنياه كل ذلك هو سر الاجتماع فى تلك الصلوات فان الله جلت قدرته وعلت كلمته أراد أن يجمع المسلمين من سائر أقطار العالم فى يوم واحد وساعة واحدة يؤم الكل غرضا واحدا وهو توجه قلوبهم اليه تعالى بمناجاتهم له وخضوعهم لذاته العلية ليرشدهم كيف يجتمعون ويتحدون

سورة	آية

أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات فما يبقى ذلك من الدنس) شبه المذنب المحافظ عليها بحال مغتسل فى نهر كل يوم خمسا بجامع أن كلا منهما يزيل الاقذار

وقد عرفها الفقهاء بانها أقوال وأفعال مخصوصة مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم وهو ولا شك تعريف جامع لاعمالها الظاهرية من قراءة وركوع وسجود وقيام وقعود ولكن ليست هذه الالفاظ اللسانية والحركات الجسمانية هى المقصود من الصلاة والغرض الذى يرمى اليه الشارع من مشروعيتها (كلا) فان من يتأمل فيما ورد من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية فى عظم قدرها وجلالة مكانتها من الدين وتأثيرها فى النفوس الى درجة أنها تحولها عن طبيعتها وتخلعها عن ربقتها وتقف بفاعلها الى حدّ الاعتدال كما يشير الى ذلك قول الله وعزوجل (ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين) وكذا من يتأمل فيما يترتب عليها من الثمار اليانعة والفوائد النافعة كنهيها عن الفحشاء والمنكر الذى نبه الله تعالى عليه بقوله (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) والنبى صلى الله عليه وسلم بقوله (من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الابعدا) يظهر له جليا أن وراء تلك الاقوال اللسانية والحركات الجسمانية سرا مكنونا وكنزا مدفونا ورمزا مصونا ضرورة أن مجرّد هذه الاقوال والحركات لا يترتب عليه شئ من الثمرات ولم تكن أتم الاعمال المقربة الى الله تعالى دون غيرها من سائر العبادات

سر الصلاة وما اشتملت عليه من الفوائد والمنافع

ان من منح الثبات وقوة العزيمة وحبب اليه فضيلة العمل والاجتهاد

والمثابرة

آية	سورة

تباين الناس واختلاف درجاتهم في العبادة

العبادة وجوه ودرجات تختلف باختلاف العابدين وقوة ايمانهم وضعفه فنهم من يعبد الله لاستحقاقه الذاتي من غير نظر الى نفسه بوجه من الوجوه ولا الى أن هذا العمل يعود عليه بالفائدة أولا يعود ولا يقتضي ذلك الا الخضوع والذلة لذات المعبود بمقتضى هذا الاستحقاق وهذه أعلى الدرجات وأكملها

ومنهم من يعبد الله تعالى تشرفا بعبادته وامتثالا لامره وقبولا لتكاليفه التي كلفه بها وهذه أقل من الاولى وأحط منها منزلة

ومنهم من يعبد الله رغبة في ثوابه ورهبة من عقابه وهذه أحط من التي قبلها

ومنهم من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين

أنواع العبادات

أنواع العبادات أربعة صلاة وصيام وزكاة وحج واليك بيانها ومايتعلق بها من الاحكام وما تشتمل عليه من الاسرار والحكم والفوائد والمنافع

النوع الاول

الصلاة

هي عماد الدين وعصام اليقين كما أخبر بذلك الصادق الامين حيث يقول (الصلاة عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين) وقد أشار صلى الله عليه وسلم الى بعض ما اشتملت عليه من الفوائد والمنافع بقوله (مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار عذب على باب

سورة	آية	
		(ومنها كمال المراقبة لجانب الله تعالى)
		وهى أن يعبد الله كأنه يراه متيقنا أنه معه فى كل عمل من أعماله وفى سائر حركاته وسكناته ماخفى منه وما ظهر وما غاب وما حضر وما أعلن وما وما أسر كما قال جل شأنه (وهو معكم أينما كنتم) فان راقب مولاه فى أثناء قيامه بالعبادة على هذا النحو وتذكر عظمته تذكرا ملء قلبه خشعت جميع جوارحه وخلا قلبه من شواغل الدنيا وتفرغ لمناجاة ربه والائتناس به فامتلأ من جلاله وأشرق فيه نور جماله وهذا بعينه نهاية الايمان وكماله
		(ومنها المبادرة بها)
		وهى أن يسرع بفعلها عند حلول أدائها ويترك التسويف فى فعلها من غير عذر مانع ولا سبب قاطع فان قصر طمعا فى العفو أوسوّف رجاء استدراك مافات فهو ظاهر الجهل ضعيف العقل فان الطمع فى النوال من غير سعى فى أسبابه الموصلة له نهاية الجهل وخبل فى العقل والتسويف رجاء الاستدراك تحكم فانه لايدرى أىّ يوم ينتهى فيه أجله حتى يدرك فيه أمله بل كان مَثَلُه فى ذلك مَثَلَ رجل مقعد تحدّثه نفسه بالصعود على جبل شامخ أوالجرى وراء غزال ليصطاده مع علمه بتكنع أعضائه وعدم قدرته على العدو فضلا عن الجرى وهو رأى غير حكيم وفكرة غير صائبة
		فمن أتى بالعبادة على وجوهها المتقدمة واستقصى وسائلها السابقة كان ممن كمل ايمانه ورسخ يقينه وكانت عبادته الى القبول أقرب منها الى عدمه فان الله لايضيع أجر من أحسن عملا

سورة	آية	
		يبلغ المأمول وتكون مرجوة القبول

(منها الاخلاص فيها)

وهو أن يقصد العابد بعبادته ذات المعبود من غير رجاء لمثوبة أو خوف من عقوبة فان قصد بها واحدا منهما فهو غير كامل الاخلاص لانه لنفسه سعى ولذا يقول صلى الله عليه وسلم (لايكون أحدكم كالعبد السوء ان خاف عمل ولا كالاجير السوء ان لم يعط أجرا لم يعمل) ولله در أعرابية وقفت على جماعة وقالت لهم ما الكرم يرحمكم الله فقالوا بذل المعروف والايثار على النفس قالت هذا فى الدنيا فما هو فى الدين قالوا طاعة الله سبحانه وبذل المجهود فى عبادته واجتناب محارمه والوقوف عند حدوده قالت أفتريدون بذلك جزاء قالوا نعم قالت ولمَ قالوا لان الله وعد بالحسنة عشر أمثالها قالت سبحان الله فاذا أعطيتم واحدة على أنكم تأخذون عشرة فأين الكرم قالوا فما هو يرحمك الله قالت هو أن يعبد الله حق عبادته لايراد على ذلك جزاء يفعل بكم مولاكم مايشاء ألاتستحيون من الله أن يطلع على قلوبكم فيعلم منها أنكم تريدون شيأ بشئ . فانها قد بينت من الاخلاص أكمله ومن العبادة أحسنها وأكملها

(ومنها ترك الرياء)

فان الرياء اشراك غيره تعالى له فى العبادة وقد قال الله تعالى (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) وقال صلى الله عليه وسلم (ان أخوف ماأخاف عليكم الشرك الاصغر قيل وما الشرك الاصغر يارسول الله قال الرياء)

سورة	آية

السموات والارض وأنزل مـن السماء ماء فأخرج به من الثمـرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحـر بأمره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها) وقوله تعالى (وسخر لكم مافى السموات وما فى الارض جميعا منـه) فكان لذلك من أوجب الواجبات عليه أن يشـكر هذا المنعم ليؤدّى له بعض الواجب فيما خوّله من هذه المسخرات الالهية ويستديم ذكره فيخضع لأمره ويسعد بخضوعـه ولا طريق الى الشكر واستدامـة الذكر والخضوع للاوامر والوقوف عنـد حدود الاحكام الا هذه العبادات فلذا اقتضت حكمته تعالى أن يكلف الانسان بها ليرشده السبيل الى أداء بعض الشكر على نعمه التى لاتحصى والى ذلك الاشارة بقوله تعالى (انا هديناه السبيل إماشاكرا وإما كفورا) ولذا لايجوز شرعا ولا عقلا فعل هـذه العبادات الا له تعالى لانه هـو المستحق لها دون سـواه فهـى من حقـوق الله تعالى على عباده التى لا يمكن أن يحيدوا عنها طرفة عين وقد بين ذلك صـلى الله عليه وسـلم فى قوله لمعاذ يا معاذ هـل تدرى ما حق الله عـلى عباده وما حق العباد عـلى الله قال معاذ الله ورسوله أعـلم قال فان حـق الله على العباد أن يعبـدوه ولا يشركوا به شيأ وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شـيأ

ومع ذلك فلم يكلف بها الانسان على أنها أعمال لايقصـد منها الامجرد الشـكر بل بث الله فيها من الفوائد والمنافع ما يعود على فاعلها بأعظم الفوائد وأكبر المنافع مما يجعلها من أكبر النعم وأعظم المنن

الوسائل التى تكـون بها العبادة مرجوة القبول

اعلم أن للعبادة وسائل هى لبنيانها قواعد وعلى القيام بها شواهد بها

يبلغ

سورة	آية	

لقبول تلك العبادات بما منحه من العقل والنطق وميزه بهما عن سائر الحيوانات والجمادات لذلك كلف بهذه العبادات وحده دونها كما يشير الى ذلك قوله تعالى (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما) وقد قالوا ان المراد بالامانة في الآية الكريمة المعروضة على السموات والارض والجبال تقلد عهد التكليف بأن تتعرض لخطر الثواب والعقاب بالطاعة والمعصية والمراد بالعرض عليهن كمال تهيئها واستعدادها لتلقي هذه التكاليف والمراد بابائهن الاباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها وعليه فقوله تعالى انه كان ظلوما جهولا خرج مخرج التعليل فان الظلوم من لايكون عادلا ومن شأنه أن يعدل والجهول من لايكون عالما ومن شأنه أن يعلم وهذه حالة الانسان أما غيره فهو اما عادل عالم لايتطرق اليه الظلم والجهل كالملائكة أوليس بعادل ولاعالم ولا من شأنه أن يكون كذلك وذلك كالبهائم والجمادات فليس لها استعداد لتلقي هذه التكاليف بطريق الفطرة وانما يليق بالتكليف ويستعد له من كان ذا كمال بالقوة لابالفعل وذلك انما هو متوفر في الانسان دون غيره لذلك وقع التكليف له دون سواه

وأيضا فان الانسان مع كمال استعداده وتهيئه بطريق الفطرة الى قبول تلك العبادات جعله الله جلت قدرته وعلت كلمته خلاصة هذه الموجودات وأفاض عليه من بحار كرمه وينابيع جوده نعما لاتحصى ولا يمكن أن تستقصى وأطلق له النظر في السموات والارض ومافيهما من الأفلاك والكواكب والحيوانات والنباتات والمعادن وغيرها لتكون كلها عوامل في اصلاح معيشته بمصداق قوله تعالى (الله الذي خلق

سورة	آية

الاشياء أقربها اليه وألزمها لديه نفسه وشهوته وهواه وغيرها من المؤثرات التى يشعر الانسان من نفسه بداهة أنه خاضع لسلطانها وقهرها ومتذلل لنيل أمنيته منها ولو أنك فى ذلك كله قلت له انك تعبد هذا الشئ لانك تتذلل له وتخضع لسلطانه لقابلك بالانكار وتبرأ من قولك جهد المستطيع وما ذلك الا لعدم وجود الانبعاث والتأثر المخصوصين عنده وبالعكس فان كثيرا من العبادات مايؤتى به بغاية الذلة والخضوع ومع ذلك لايسميه الشارع عبادة بل ربما سماه شركا وذلك كالعبادات التى تفعل على وجه الرياء فانها مع كون ظاهرها عبادة ويأتى بها صاحبها مع نهاية التذلل والخضوع لأمر كمن فى النفس خبيث فان الشارع سماها شركا فى قوله (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) أى لايرائى فى عمله وما ذلك الا لعدم وجود الانبعاث والتأثر المخصوصين فى نفس المرائى وهذا الانبعاث والتأثر يختلفان باختلاف الاشخاص وقوة ايمانهم وضعفه وكمال يقينهم ونقصه وشدة مراقبتهم لجانب المعبود وعدمها ويتبعهما فى ذلك التذلل والخضوع والخشوع فكلما كمل ايمان العابد وقوى يقينه واشتدت مراقبته لجانب المعبود كثر التذلل وخنعت النفس وخشعت الجوارح وسكنت أثناء تلبسها بالعبادة وقيامها بين يدى المعبود تناجيه وتظهر له مقتضيات عبوديتها وهذه حالة الكمل من عباد الله تعالى الذين حقت لهم الجنة واليهم الاشارة بقوله تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى)

سر تكليف الانسان بالعبادة دون غيره من الحيوانات والجمادات

اعلم أن الله سبحانه وتعالى خلق الانسان متهيئا بطبيعته ومستعدا بفطرته

لقبول

سورة	آية

مقدمة

اعلم أنه سبق القول فى أن الشريعة الاسلامية بل وسائر الشرائع إنما يقصد منها بيان مايرشد الخلق الى معرفة الله تعالى باعتقاد وجوده واتصافه بصفات الكمال وتنزهه عن صفات النقصان والى الأحكام التى توصلهم الى انتظام أحوالهم المعاشية من توطيد الأمن فيما بينهم ووقوف كل عند حده ومنع التعدى من الاشرار وذوى الأطماع على أحد من الأمة والى الآداب الفاضلة والاخلاق الكاملة من الأمانة والصدق والعفة والعدل والوفاء بالعهد وانجاز الوعد والشجاعة والصبر والحلم وغير ذلك من الصفات التى بها تتهذب النفوس وتتكمل العقول وتتجمل الاخلاق — وإلى كيفية عبادته المحتوية على تعظيمه وأداء بعض الشكر على نعمه التى لاتحصى ولايمكن أن تستقصى

وحيث كان غرضنا الذى نرمى اليه الآن وضالتنا التى ننشدها هو بيان أصول هذا القسم الأخير وهو العبادات مع بيان ماانبث فيها من الاسرار والحكم والفوائد والمنافع من السبيل التى نسلكها وهى الاستمداد من نور القرآن الكريم فنطلب من الله جل شأنه المعونة فى اصابة هذا الغرض والرشد والهداية الى هاته الضالة فانه نعم الكفيل لمن التجأ اليه واعتصم به وجعل المعوّل عليه وهذا أوان الشروع

العبادات

العبادة هى أقصى غاية التذلل والخضوع ولكن لابد أن يكون ذلك بانبعاث مخصوص وتأثر مخصوص اذ لايكفى أن يكون مجرد التذلل والخضوع عبادة والاهلك سائر الناس اذ لايخلو أحد منهم أن يخضع لكثير من

آية	سورة

واحتوى على كل خصلة جليلة فاخرة وتكفل بنظام حال البشر وصالح أحوالهم وطهارة نفوسهم وعمار ديارهم وكف أشرارهم وبكل شئ يعود عليهم بالخير ويدفع عنهم الضير لا يصح العقل امكان التصديق باقتداره صلى الله عليه وسلم على الاحاطة بجميع ماجاء به فاذًا لابد أن يكون مرسلا من جانب الله تعالى وهو الذى هداه الى جميع ذلك وأطلعه عليه وفهمه أسراره وأمره بتبليغه فصدقوه صلى الله عليه وسلم فى جميع ماجاء به وآمنوا برسالته والله يهدى من يشاء الى مايشاء

والى هنا تم القسم الاول من هذا السفر الجليل ويليه الثانى فى العبادات ولله الحمد والمنة

القسم الثانى

فى



بسم الله الرحمن الرحيم وبه أستعين الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين (أما بعد) فهذا هو القسم الثانى وهو يشتمل على العبادات التى يقصد بها تعظيم الخالق وأداء بعض الشكر على نعمه التى لا تحصى من صلاة وصيام وزكاة وحج مع بيان الاسرار والحكم والفوائد والمنافع التى تشتمل عليها هذه العبادات والى الله ألتجئ وعليه أعتمد وعلى توفيقه أعوّل فى المعونة على الوصول الى نتيجة حقة ونية خالصة وعمل مبرور فيما أتوخى القول فيه وأسأله تعالى أن يوفقنى لاتمامه مع النفع به انه ولى الرشد والسداد وعليه المعوّل فى المبدا والمعاد

سورة	آية	

الصحيحة الحقة التي لا يمكن للعقول البشرية التوصل الى اعتقاده الا بارشادهم وأمر بكل مايعود على الانسان بالنفع ونهى عن كل مايعود عليه بالضر وأمر بالعبادات المنطوية على تعظيم الخالق وأداء بعض شكره على نعمه التي لا تحصى من صلاة وصيام وزكاة وحج

وسن من القوانين والنظامات ما يأمن معه كل ذى حق على حقه ويدفع التعدى من الاشرار وذوى الاطماع على أحد من الامة أوأهل الذمة

وسن أحكام الزوجية بالطريقة المرضية على أكمل نظام وأبدع احكام وبين حقوق الزوجين على بعضهما مجتمعين أومتفرقين

وسن أحكام المعاملات من نحو البيع والشراء والاجارة والشركة والمداينة وقسمة التركات على طريق الحكمة

وسن بعض العقوبات والقصاصات والتعازير لتحفظ بها الانفس والاموال والاعراض

وسن جميع الآداب من كل باب كآداب الأكل والشرب وآداب النوم وآداب الكلام وآداب المجالسة والمحادثة والزيارة وآداب الحضر والسفر وآداب الزوجية وآداب ذوى الارحام مع بعضهم وآداب الجيران وآداب الاصحاب وآداب جميع المسلمين مع بعضهم وآدابهم مع أهل ذمتهم الى غير ذلك من الآداب

فبعد أن بحثوا فى كل ماجاء به صلى الله عليه وسلم وماسنه من القوانين والنظامات التى هى فى غاية الاحكام والاتقان والابداع جزموا بأن اتيانه بها صلى الله عليه وسلم وهو أمى نشأ بين أمة أمية بدوية جاهلية لم يفارق أوطانه الا أشهرا قلائل لا تصلح مدته لتحصيل أقل القليل من العلوم ولم يجتمع على أحد من أهل المعارف فى مدة حياته فى بلده ولم يشاهد أنه عانى تعلم شئ من الشرائع وقوانين الدول فأنى له بأن يستنبط عقله هذا الترتيب الغريب العجيب الذى أحاط بكل حكمة باهره

سورة	آية	
		وحسن الاسلوب فلما علموا ذلك وتحققوه جزموا بأن هذا القرآن ليس من كلام البشر وأنه من عند الله تعالى أرسل به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ليكون معجزة له تدل على أنه صادق في كل مايبلغه عن الله تعالى فصدقوه عند ذلك وآمنوا بجميع ماجاء به
		وبعضهم مع اعترافهم بعجزهم عن معارضة القرآن قالوا له صلى الله عليه وسلم أنت تعرف من أخبار الامم مالا نعرف فلذلك يمكنك مالا يمكننا فقال لهم صلى الله عليه وسلم فأتوا بعشر سور مثله مفتريات كما حكى الله تعالى عنهم ذلك بقوله (أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) فلم يرم ذلك منهم أحد مع التقريع بالنقص والتوقيف على العجز وهم أشد الخلق أنفة وأكثرهم مفاخرة والكلام سيد عملهم ولازالوا مصرين على جحودهم وعنادهم وراموه بالاذى فاضطر صلى الله عليه وسلم الى مكافحتهم بالحرب والزامهم الحجة بالسيف مع قلة ذات يده وقلة أنصاره وأعوانه ولكن هو النصر من عند الله يؤتيه من يشاء فتعرضوا لسفك دمائهم وهجر أوطانهم وتخريب دورهم ولو أن في قدرتهم واستطاعتهم معارضة هذا القرآن ولو بأقصر سورة منه كما تحداهم به لما أحجموا عن المعارضة وتعرضوا لهذا البلاء العظيم وهم بلاشك أصحاب عقول تمنعهم أن يتركوا السبيل السهل المستطاع ويختاروا أوعر المسالك وأصعب المناهج فاضطروا بعد ذلك الى تصديقه (وقد يدرك بالعنف مالا يدرك باللطف)
		وبعضهم وجهوا كل هممهم وعنايتهم الى البحث فيما جاء به عليه الصلاة والسلام فوجدوا أنه جاء بتوحيد الله تعالى ذاتا وصفات وأفعالا واعتقاد أنه تعالى متصف بصفات الكمال ومنزه عن صفات النقصان وأنه خلق دارين غير هذه الدار احداهما لنعيم من أطاعه والاخرى لعذاب من عصاه وأنه أرسل رسلا الى البشر ليهدوهم الى اعتقاد العقائد

آية	سورة

والاحسان وذلك فى قوله تعالى (اعدلوا هو أقرب للتقوى) - والاقتصاد والتوسط فى الامور وعدم الاسراف فيها وذلك فى قوله تعالى (ولا تسرفوا انه لايحب المسرفين) وقوله (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) والمسارعة الى فعل الخيرات والمبادرة الى انتهاز الفرصة قبل فواتها وذلك فى قوله تعالى (فاستبقوا الخيرات) وقوله (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض) الى غير ذلك من كل خصلة حميدة وصفة جميلة

وينهاهم عن الكفر واتخاذ الشريك لله تعالى وذلك فى قوله تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ) وقوله (قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم أن لاتشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا) - وعن الفسق وعصيان الله تعالى فيما أمر به أو نهى عنه وذلك فى قوله تعالى (وذروا ظاهر الاثم وباطنه ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون) وقوله (ولا تقربوا الفواحش ماظهر منها ومابطن) - وعن الرياء وهو العمل لاجل رؤية الناس ليمدحوه ويثنوا عليه خيرا وذلك فى قوله تعالى (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) أى لايرائى فى عمله - وقوله تعالى (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن) وقوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس) - وعن قتل النفس بغير حق وذلك فى قوله تعالى (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق) - وعن الزنا وذلك فى قوله تعالى (ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا) - وعن الكبر وذلك فى قوله تعالى (ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا) - وعن الربا وذلك فى قوله تعالى (وأحل الله البيع وحرم الربا) - وعن شرب الخمر والقمار وذلك فى قوله تعالى (انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم

سورة	آية

والاخروية فمن ذلك اتحاد الكلمة وعدم التفرق ونبذ التنازع والتباغض والتحاسد وذلك في قوله تعالى (واعتصموا بحبـل الله جميعا ولا تفرّقوا واذكروا نعمـة الله عليكم اذ كنتم أعـداء فألف بين قـلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا) وقوله (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا) وبر الوالدين ومعاملتهما بالملاطفـة والمجاملة والاحـسان اليهما وذلك فى قوله تعالى (واعبـدوا الله ولا تشركوا به شـيأ و بالوالدين إحسـانا) وصـلة الرحم بالاحسان اليها ان كانت من ذوى الفاقـة والا فبالتـودد بالكلام أوالزيارة أوالبدء بالسلام أو بغير ذلك مما يجلب المودة ويزيد فى المحبـة وذلك فى قوله تعـالى (واتقوا الله الذى تسـاءلون به والارحام) والتعاون على الخير وجلب المنفعة لاخيه المسلم ودفع الضرر عنـه وذلك فى قوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) وأداء الامانة وذلك فى قوله تعالى (إن الله يأمركم أن تؤدّوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)وانجاز الوعد والوفاء بالعهد وذلك فى قوله تعالى (وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا)

والعفو وترك المجازاة على الذنب مع القـدرة عليها وذلك فى قوله تعـالى (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدّت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) ومواساة الفقير والاحسان اليه ومساعـدته بقدر الطاقة وذلك فى قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ولاتيمموا الخبيث منه تنفقون ولسـتم بآخذيه الا أن تغمضوا فيـه) والسـعى فى الصلح بين النـاس وازالة البغضاء والشحناء فيما بينهـم وذلك فى قوله تعالى (لاخير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أواصـلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما) ـ والعـدل

والاحسان

سورة	آية	
		ولا ردّا حتى أقرّ الكل بالعجز عن مباراته والتقصير عن مجاراته فانقادوا لطاعته ولجؤا الى متابعته بعد العداء الشديد وايذاء كل كفار عنيد والله ولى التوفيق ومنه الرشد والسداد

رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر ابن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ابن نزار بن معدّ بن عدنان

ولد صلى الله عليه وسلم بمكة يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الاوّل عام الفيل فى عهد كسرى أنوشروان فى ٢٠ ابريل سنة ٥٧١ من ميلاد المسيح عليه السلام فنشأ يتيما فقيرا فآواه الله وأغناه بمصداق قوله تعالى (ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى) وتولى الله تربيته وتأديبه بمصداق قوله عليه الصلاة والسلام (أدبنى ربى فأحسن تأديبى) فنشأ على الاخلاق الفاضلة والصفات الكاملة من العفة والمروءة والكرم والسخاء والشجاعة وحسن الخلق وصدق الحديث وحفظ الامانة والبعد عن الفحش والاخلاق التى تدنس الرجال الى غير ذلك من سائر الكمالات حتى صح أن يخاطبه الله تعالى بقوله (وإنك لعلى خُلق عظيم)

ولما بلغ صلى الله عليه وسلم أربعين سنة أرسله الله تعالى للناس كافة بشيرا ونذيرا لينذر قوما ماأنذر آباؤهم فهم غافلون وقال له ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة فقام صلى الله عليه وسلم يصدع بأمر ربه ويدعوهم الى توحيد الله تعالى وتفرده بالعبادة وحده لا شريك له ويأمرهم بما فيه خيرهم وصلاحهم والفوز بالسعادة الدنيوية

سورة	آية

به فيما تقتضيه أحوال بشر يتهم من اكل والمشرب وغيرهما وثبوت هذه الاحوال لهم عليهم الصلاة والسلام لانهم بشر يحيون كما يحيا البشر قال الله تعالى حكاية عمن شهدوا ذلك فيهم منكرين حصوله منهم (مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق) فرد الله تعالى عليهم بقوله (وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق) أى فكل الرسل قبلك كانوا يأكلون ويمشون فى الاسواق فكيف ينكرون ذلك عليك وقال جل شأنه فى عيسى ابن مريم عليه السلام (ماالمسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام) وقال تعالى (ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم) وقال تبارك اسمه فى بيان أنهم كانوا يتزوجون ويتوالدون (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله) وقال جل شأنه فى بيان أنهم كانوا يمرضون (وأيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبناله فكشفنا مابه من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين) وقال جل ثناؤه فى بيان أنهم كانوا يموتون (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ)

هذا ولنختم الكلام برسالة سيد الوجود سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كما ختم الله به عقد هؤلاء النبيين صلى الله عليه وعليهم أجمعين لنتبين كيف كانت دعوته الى توحيد ربه وما قاساه فى سبيل ذلك من المشقات والمتاعب مع ذكر بعض ماأمر به وبعض مانهى عنه وكيف أنقذهم من الضلالة وأبعدهم عن الجهالة مع ماكانوا عليه من الخضوع للاوهام وفساد الاعتقادات والتمسك بالقبيح من العادات التى ورثوها عن آبائهم وأسلافهم وكيف ألزمهم وأقنعهم بالبرهان الذى لايحتمل نقضا

آية	سورة

أكثر مما آتانا اليوم لكان ذلك خيرا لهم وقال جل شأنه فى تبرئته صلى الله عليه وسلم مما نسب اليه (ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أُذن قل أُذن خير لكم) الآية وقوله جل شأنه فى حقه عليه الصلاة والسلام (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) وقوله تبارك اسمه فى سيدنا ابراهيم عليه السلام (ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين) وقوله فيه (ان ابراهيم لحليم أوّاه منيب) وقوله فى اسمعيل عليه السلام (انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا) وقوله فى ادريس (انه كان صديقا نبيا) وقوله فى اسمعيل واليسع وذى الكفل (واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار) وقوله فى أيوب عليه السلام (نعم العبد انه أوّاب) وقوله فى ابراهيم واسحق ويعقوب (واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولى الأيدى والابصار انا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار) وهكذا مما ذكره تبارك اسمه فى مدح رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام علم أن هؤلاء الرسل عليهم الصلاة والسلام كَمَلَة الخلق وصفوة الله من خلقه منزهون عن كل شئ يُحدث خدشا أو يكون نقصا فى مراتبهم العلية مبرّؤن عن الوقوع فى المعاصى صغيرة أو كبيرة

الجائز فى حق الرسل عليهم الصلاة والسلام

اعلم أن هؤلاء الرسل هم بشر مثلنا تعتريهم أحوال البشرية مثلنا من اللذة والألم والصحة والسقم والحياة والموت والراحة والتعب والزواج والتوالد والأكل والشرب وغير ذلك مما يعترى سائر البشر الا أنه لابد من اعتقاد أنهم فى كل ما يتصفون به ويشتركون فيه مع سائر البشر فى أعلى درجات الكمال فلا يتلذذون الا ليشكروا الله تعالى فيما يتلذذون

سورة	آية

ترشد هذه الآية الكريمة الى الحث على طاعة الرسول عليه السلام مع التحذير من مخالفته والاعراض عنه وأنهم ان أعرضوا عنه وخالفوا ما أمرهم به فلن يضره شئ من ذلك لانه فعل الواجب عليه وهو التبليغ وانما الضرر عليهم حيث لم يمتثلوا ما أمرهم به – وبعد أن حذرهم عن مخالفته وبيّن لهم ما ينتج عنها من الضرر بين لهم أيضا فائدة طاعته وامتثال أوامره بقوله (وان تطيعوه تهتدوا) وغير خاف أن ترتيب الهداية على طاعته لايكون الا حيث كان هذا الرسول جامعا لكل خير منزها عن كل نقص وعيب أسوةً فى أقواله قدوةً فى أفعاله والا كانت طاعته ضلالة وغواية لاسعادة وهداية

وبالجملة فمن نظر فيما نزل من القرآن الكريم فى تنزيه رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام عن النقائص التى كان قومهم ينسبونها اليهم وماوصفهم به فى غير ماموضع منه من الصفات الكاملة والاخلاق الفاضلة مثل قوله جل شأنه فى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم (وماهو على الغيب بضنين) وقوله فيه عليه الصلاة والسلام (وانك لعلى خلق عظيم) وقوله فيه صلوات الله عليه (وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون) وقوله (ولو تقول علينا بعض الاقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين) وقوله فيه (ومنهم من يلمزك فى الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا الى الله راغبون) أى لكان خيرالهم فقد ذم الله جل شأنه من يلمز رسوله صلى الله عليه وسلم فى قسمة الصدقات وذكر أنهم لو رضوا ماأصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت به نفوسهم وان قل نصيبهم وقالوا كفانافضل الله وصنعه وحسبنا ماقسم لنا سيرزقنا الله غنيمة أخرى فيؤتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم

أكثر

سورة	آية	
		كما قال صلى الله عليه وسلم (والذى نفسى بيده لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به) وهذا ماأفاده الله تعالى بقوله (فلا وربك لايؤمنون) الآية وفى هذا من الوعيد الشديد ماتقشعر له الجلود وترجف له الافئدة فانه جل شأنه أولا أقسم بنفسه بأنهم لايؤمنون فنفى عنهم الايمان الذى هو أعظم خير أو تيه الانسان حتى تحصل لهم غاية هى تحكيم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم يكتف سبحانه بذلك حتى قال ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت فضم الى التحكيم أمرا آخر هو عدم وجود حرج وضيق فى صدورهم فلا يكون مجرد التحكيم والاذعان كافيا حتى يكون من صميم القلب وعن رضا واطمئنان وانثلاج صدر وطيب نفس ثم لم يكتف بهذا كله بل ضم اليه أن يسلموا ويذعنوا وينقادوا الى ما حكم به وقضى فيه تسليما كليا من غير منازعة ولا ممانعة وهذا منه جل شأنه بيّن فى أن نبيه صلى الله عليه وسلم مبرّأ من الظلم والجور ومعصوم عن الوقوع فيهما وحينئذ فعدم تحكيمهم له عليه الصلاة والسلام محض عناد وجحود يستحقون عليه هذا الوعيد الشديد
		﴿ وقد أمر الله بطاعتهم وبالغ فى الانكار على من أعرض عنها وعلق عليها الهداية مما هو بين فى كمال عصمتهم فقال ﴾
النور	٥٤	قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ
		﴿ ماترشد اليه هذه الآية الكريمة ﴾

سورة	آية
النساء	٦٣

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ
إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ
الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ٦٤ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ
حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

(ماترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان)

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الى ثلاثة أشياء (الاول) مافرضه الله من طاعة الرسل عليهم الصلاة والسلام على من أرسلوا اليهم فى كل ماجاؤا به عن الله تعالى من الاوامر والنواهى والحكم والاحكام ولايكون ذلك الا حيث كانوا معصومين من الوقوع فى كل منكر أوفعل كل قبيح لانه تعالى لايأمر بفعل محرم ولا مكروه (الثانى) ارشاد العصاة والمذنبين اذا وقع منهم الخطأ والعصيان أن يأتوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيستغفروا الله عنده و يسألوه أن يستغفر لهم فان فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم وهذا ماأفاده الله تعالى بقوله (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما

(الثالث) عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم من الظلم والجور فيما يحكم به ويقضى فيه متوعدا من لم يقف عند حكمه صلى الله عليه وسلم ولم يرض بقضائه بعدم الايمان الذى هوأفضل ماأوتيه العبد من الخيرات حتى يقع منه هذا التحكيم له صلى الله عليه وسلم ثم لايجد ضيقا فى صدره مماقضى عليه ويسلم لحكمه وشرعه تسليما لايخالطه ردّ ولاشك ولاتشوبه مخالفة

سورة	آية	
		معصومون من أن يأمروا الناس بعبادة أحد غير الله تعالى لانبى مرسل ولا ملك مقرب فانهم مابعثوا لذلك ولا أمروا به (ولكن) انما بعثوا ليقولوا للناس (كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) أى كونوا فقهاء حكماء علماء بسبب ماتعلمونه للناس من الكتاب المشتمل على الاوامر والنواهى التى من عند الله تعالى وبسبب كونكم تدرسون العلم
		وفى هذه الآية أعظم باعث لمن علم أن يعمل ومن أعظم العمل بالعلم تعليمه والاخلاص لله سبحانه والدراسة مذاكرة العلم فدلت الآية على أن العلم والتعليم والدراسة توجب كون الانسان ربانيا فمن اشتغل بها لا لهذا المقصود فقد ضاع علمه وخاب سعيه
		وكيف يعقل أنهم عليهم الصلاة والسلام يقولون للناس كونوا عبادا لنا من دون الله أو يأمرونهم بأن يتخذوا الملائكة والنبيين أربابا مع أنهم لو فعلوا ذلك لكانوا داعين الى عبادة غير الله تعالى ومن دعا الى عبادة غير الله تعالى فقد دعا الى الكفر والانبياء عليهم الصلاة والسلام إنما يأمرون بالايمان وهو عبادة الله وحده لاشريك له كما قال تعالى (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) الآية وقال تبارك اسمه (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لااله الا أنا فاعبدون) فهم عليهم الصلاة والسلام السفراء بين الله والخلق فى أداء ماحملوه من الرسالة وابلاغ الأمانة لايأمرون الا بما أمر الله ولا ينهون الا عما نهى الله عنه وقد قاموا بذلك أتم القيام ونصحوا الخلق وبلغوهم الحق صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين
		﴿ وقال جل شأنه فى ارشاد العصاة الى التوسل باتباع شرعه صلى الله عليه وسلم ليغفر الله لهم ولا يكون ذلك الا حيث كان معصوما من الوقوع فى ذنب مع افادة عدم الايمان مع عدم الرضا بحكمه والتسليم لقضائه ﴾

سورة	آية	
		ومدانسة المومسات والكذب والخيانة وغيرها من الافعال الذميمة حاشاهم من جميع ذلك ولو أنهم كانوا عليهم الصلاة والسلام على غير ماوصفنا من النزاهة والعصمة من الوقوع فى كل منكر أو قبيح ونحن مأمورون بالاقتداء بهم فى أقوالهم وأفعالهم لكانوا مضلين لامرشدين فتبطل الحكمة من ارسالهم
		﴿ وقال الله تعالى فى تنزيههم عما لايليق بمنصب رسالتهم من كونهم يأمرون الناس بعبادتهم من دون الله أو يتخذون الملائكة والنبيين أربابا ﴾
آل عمران	٧٩	مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللهِ وَلَـٰكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ٨٠ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ
		﴿ماتشير اليه هاتان الآيتان الكريمتان﴾
		تشير هاتان الآيتان الكريمتان الى تبرئة الرسل عليهم الصلاة والسلام وتنزيههم وعصمتهم من أن يقولوا مثل هذه المقالة الشنعاء وهى قولهم للناس كونوا عبادا لنا من دون الله أى اعبدونا معه كما فعل أهل الكتاب بأحبارهم ورهبانهم حيث اتخذوهم أربابا من دون الله وعبدوهم كما حكى الله تعالى عنهم ذلك فى قوله (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) وكما أنهم معصومون من مثل هذه المقالة كذلك

معصومون

سورة	آية

بعضهم بعضا الا غرورا ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا
ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا)
وقوله لهم أيضا (قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله ان أرادنى الله
بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته
قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون)
ومثل ذلك فى القرآن الكريم كثير ولوأنا توخينا البحث فيما وقع بين
الانبياء والمرسلين مع أممهم وكيف ألزموهم الحجة وألجؤهم الى التصديق
بهم بقوة بيانهم وشدة فطنتهم وذكائهم لوجدنا شيأ كثيرا يطول عليك
ذكره ويغنيك بعضه عن كله والله ولى التوفيق ومنه الرشد والسداد

الصفة الثالثة العصمة

قد علمت أن وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام ارشاد من أرسلوا
اليهم الى الاعمال الحسنة والافعال المستحسنة وهدايتهم الى مافيه صلاح
حالهم وسعادة مآلهم وتقويم ما اعوج من أخلاقهم وتهذيب
نفوسهم وترك مااعتادوا عليه من الافعال المنكرة والاعتقادات الفاسدة
والاوهام الباطلة فلابد إذا أن يكونوا فى أعلى درجات الكمال وأسمى
مدارج الجمال منزهين عمالا يليق بمنصب رسالتهم من الوقوع فى المعاصى
والاتصاف بسفاسف الامور ووجود كل منفر للخلق عن الاقبال اليهم
وما وقع منهم من صور المعصية وسماها الله معصية فهى أمور طفيفة
لا تنقص مراتبهم ولا تحط بشؤنهم وتسميتها معصية ومعاتبتهم عليها
من جانب الله تعالى ليس الا بالنسبة لعلو مراتبهم وسمو مقاماتهم عليهم
السلام وحكمة وقوعها منهم الاشارة الى انفراد الله تعالى وتوحده
بالكمال المطلق فهم مبرؤن من كل مالايليق وقوعه من أحد أتقياء
البشر فضلا عن وقوعه منهم وذلك كالزنا والتسلط على أعراض أتباعهم

سورة	آية

ومما حاج به ابراهيم قومه وألزمهم الحجة به غير ماذكر ماقاله لعبدة الاصنام بعد أن كسر أصنامهم الا كبيرا لهم وأتوا به على مشهد من الناس وقالوا له (ءأنت فعلت هذا بآلهتنا ياابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون) يعرّض عليه السلام بسخافة عقولهم بعبادتهم مالا يسمع ولا يتكلم كما قال لأبيه (ياأبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيأ)

ومنه أيضا ماخاصم به أباه آزر وقومه وحاجهم به وهو ماحكاه الله عنه بقوله (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لاأحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم انى برىء مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وماأنا من المشركين) حتى استحق بذلك أن يقول فيه الله تعالى (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه)

وناهيك بما لسيد الوجود من الحجج الدامغة والبراهين القاطعة مما كان الواحد من العرب مع شدة بلاغته وفصاحته وكمالهما فيه ووفرتهما لديه يخرس دونها ويرتد صاغرا لقوله مقرا بالعجز عن مباراته ومجاراته وذلك فى النظم الكريم كثير. فمن ذلك قوله تعالى على لسانه صلى الله عليه وسلم لعبدة الاصنام الذين أشركوا مع الله غيره فى العبادة (قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق قل الله يهدى للحق أفمن يهدى الى الحق أحق أن يتبع أمن لايهدى الا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون) وقوله لهم أيضا (قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أرونى ما ذا خلقوا من الارض أم لهم شرك فى السموات أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل ان يعد الظالمون

بعضهم

آية	سورة

لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

(مايؤخذ من هذه الآية الكريمة)

يؤخذ من هذه الآية الكريمة بيان ماحصل بين سيدنا ابراهيم عليه السلام وملك بابل نمرود بن كنعان من المناظرة والمحاجة فى وجود الله تعالى وذلك أن نمرود أنكر وجود الله تعالى وأن الاله هو دون غيره وقد حمله على ذلك الطغيان ماآتاه الله تعالى من طول أجله وسعة ملكه وذلك ماأفاده الله تعالى بقوله (أن آتاه الله الملك) فأنكر سيدنا ابراهيم عليه ذلك فطلب منه نمرود الدليل فقال ابراهيم ربى الذى يحيي ويميت أى الدليل على وجوده تعالى حدوث هذه الاشياء المشاهدة بعد عدمها وعدمها بعد وجودها ضرورة أنها لم تحدث بنفسها فلا بد لها من موجد أوجدها وهو الرب الذى أدعو الى عبادته وحده لاشريك له فعند ذلك قال نمرود أنا أحيي وأميت (عنادا منه ومكابرة) فقال له سيدنا ابراهيم عليه السلام ان كنت كما تدعى من أنك تحيي وتميت فالذى يحيي ويميت هو الذى يتصرف فى الوجود فى خلق ذواته وتسخير كواكبه فهذه الشمس تبدو كل يوم من المشرق فان كنت الها كما ادعيت تحيي وتميت فأت بها من المغرب فلما علم عجزه وانقطاعه عن الجواب وأنه لايقدر على المكابرة فى هذا المقام بهت وأخرس ولم يتكلم وقامت الحجة عليه لانه من القوم الظالمين الذين لايهديهم الله تعالى ولايلهمهم حجة ولابرهانا بل حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد .

فانظر كيف قصم ابراهيم عليه السلام حجة هذا اللعين وألقمه حجرا فى فيه فأخرسه ولم يتكلم وألزمه الحجة وأقنعه بالبرهان الذى لايحتمل نقضا ولاردا وذلك بما أوتيه عليه السلام من قوة البيان وشدة العارضة وكمال الذكاء والفطنة وقوة الحجة

سورة	آية	
		ويتزلون عند حكمهم فتتم أسباب السعاده وتكون لهم الحسنى وزياده وما ذاك الابقوة بيانهم وشدة فطانتهم وذكائهم
		﴿ وقد امتن الله تعالى على نبيه داود عليه السلام بما آتاه من الفطنة والحكمة فقال ﴾
ص	٢٠	وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ
		﴿ مايؤخذ من هذه الآية الكريمة ﴾
		يؤخذ منها كمال عناية الله تعالى بنبيه داود عليه السلام وشدة حظوته به وذلك بما منحه إياه من الهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقوة النفوذ ومزيد النعمة ليشتد بذلك أزره ويقوى ملكه وأعطاه من الحكمة والفهم والعقل والفطنة وفصل الخطاب أى الفصل فى الخصومات والقضايا والحكومات وتدبير الملك والمشورات ليتميز الحق من الباطل والصحيح من الفاسد والصواب من الخطا وذلك بما أوتيه من قوة البيان وعظيم البرهان وفى ذلك من الامتنان مالا يخفى
		﴿ وقد ذكر جل شأنه من محاجة ابراهيم عليه السلام ماهو بين الدلالة فيما أعطيه عليه السلام من الفطانة وشدة الذكاء وقوة البيان فقال ﴾
البقره	٢٥٧	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِى حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِى رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىَ الَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِى وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ وَاللَّهُ

لايهدى

سورة	آيه	

وقال تبارك اسمه حكاية عن صالح وقومه (والى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربى قريب مجيب قالوا ياصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا واننا لفى شك مما تدعونا اليه مريب)

وقال جل ذكره حكاية عن شعيب وقومه(والى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان انى أراكم بخير وانى أخاف عليكم عذاب يوم محيط ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ قالوا ياشعيب أصلاتك تأمرك أن نترك مايعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا مانشاء انك لأنت الحليم الرشيد قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى ورزقنى منه رزقا حسنا وماأريد أن أخالفكم الى ماأنهاكم عنه ان أريد الا الاصلاح مااستطعت وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب وياقوم لايجرمنكم شقاقى أن يصيبكم مثل ماأصاب قوم نوح أوقوم هود أوقوم صالح وماقوم لوط منكم ببعيد واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربى رحيم ودود قالوا ياشعيب مانفقه كثيرا مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز)

وهكذا غير هؤلاء من المرسلين عليهم الصلاة والسلام من رب العالمين قاسوا من أنواع الشدائد والمتاعب مع قومهم بما يقابلونهم به من التكذيب ويقيمونه فى وجوههم من حرب التأنيب ومع ذلك يقابلونه بكل صبر وثبات ولا يلبثون بعد ذلك الا أن يقوموا دونهم فيسفهوا أحلامهم و يقبحوا أعمالهم ويدحضوا أقوالهم و يقنعوهم بالحجج الباهرة والدلالات القاطعة مما يلجئهم الى التصديق بهم فى كل ماجاؤا به من عند الله تعالى فتخضع عند ذلك رقابهم وترتاض لهم نفوسهم

سورة	آية

اقامة الحجة على خصومهم باثبات دعواهم فتبطل الحكمة من ارسالهم لذلك لاترى أى نبي من الانبياء قام بين قومه يدعوهم الى توحيد الله والايمان به وبرسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر ويرشدهم الى مابه تقويم مااعوج من أخلاقهم واصلاح مافسد من شؤنهم وتهذيب نفوسهم الاوأقاموا فى وجهه حرب التأنيب وألصقوا به كل ثلمة وأسندوا اليه كل وصمة وقابلوه بأشد أنواع الايذاء وأكبر دواعى العداء كما حكى الله تعالى عنهم ذلك فقال (وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أولتعودن فى ملتنا فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد) وقال تعالى حكاية عن نوح وقومه (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين أن لا تعبدوا الا الله إنى أخاف عليكم عذاب يوم أليم فقال الملأ الذين كفروا من قومه مانراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى ومانرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون وياقوم لاأسألكم عليه مالا ان أجرى الا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا انهم ملاقو ربهم ولكنى أراكم قوما تجهلون)

وقال جل شأنه حكاية عن هود وقومه (والى عاد أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ان أنتم الا مفترون ياقوم لاأسألكم عليه أجرا ان أجرى الا على الذى فطرنى أفلا تعقلون وياقوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولاتتولوا مجرمين قالوا ياهود ماجئتنا ببينة ومانحن بتاركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ان نقول الااعتراك بعض آلهتنا بسوء قال انى أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لاتنظرون)

وقال

سورة	آية	
		صلى الله عليه وسلم وتقوله علينا مالم نقله كما هو زعمكم الباطل فهو عليه الصلاة والسلام صادق فى كل مايقوله البتة وأنتم كاذبون فيما افتريتموه عليه لامحالة
		(وقد صرح جل شأنه بوصف كثير من رسله غيره صلى الله عليه وسلم بالصدق فقال)
مريم	٤٠	وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا
		(وقال)
مريم	٥٤	وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا
		(وقال)
مريم	٥٦	وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا
		الصفة الثانية الفطانة
		قد علمت أن هؤلاء الرسل عليهم الصلاة والسلام لابد أن يقابلوا ممن أرسلوا اليهم بالتكذيب اما عنادا وكبرا أو حسدا أو تقليدا فلا بدّ إذن أن يكونوا بمكانة سامية ودرجة رفيعة من الذكاء وشدة المعارضة وقوة الحجة فى البيان ليمكنهم أن يقيموا الحجج الباهرة والبراهين القاطعة على من ناوأهم من خصومهم بالمعارضة أو وقف لهم موقف المتحدى فيكسرون بذلك سَوْرَةَ عنادهم ويلجؤنهم الى التصديق بهم ولا يصح أن يكونوا الا كذلك ولو أنهم كانوا غير ذلك لما آمن بهم أحد لعدم قدرتهم على

آية	سورة	
		في دعـواه أن القرآن كلام الله تعالى وأنه لا وجه لارتياب هؤلاء المضلين المبطلين في ذلك وذلك لانه صلى الله عليه وسلم أمي نشأ في أمة أمية عامية بدوية لم يسبق له قبل انزال القرآن أن يقرأ أو يكتب حتى يتوهم أنه جاء بهذا القرآن من الكتب القديمة المأثورة عن الانبياء المتقدمين كما قالوا (أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا) وكيف يعقل أن رجلا أميا نشأ في أمة أمية لم يمارسوا العلوم قط ولا نسب اليهم علم ولا تداولوا الفحص عن الموجودات على ما جرت به عادة الامم المتقدمة الذين كملت فيهم الحكمة في الاحقاب الطويلة يقول مثل هذا القرآن مع ما يشتمل عليه مما يستحيل على أحد من البشر أن يأتي به ولو كان من أكبر العلماء وأعظم السياسيين فاتيانه صلى الله عليه وسلم به وهو أمي لم يتعلم القراءة ولا الكتابة قط بهذه الكيفية دليل واضح على أنه من عند الله تعالى أرسل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم به ليكون معجزة له تدل على تصديقه إياه فارتياب المرتاب بعد ذلك وانكار المنكر مجرد عناد وجحود بلا شبهة
		(وقال جل ثناؤه في اقامة الحجة للرد على من زعم الفرية على النبي عليه الصلاة والسلام بادعائه أنه يكذب ويقول من عند نفسه ثم ينسبه الى الله تعالى)
٤٤	الحاقة	وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ٤٦ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ
		أي وحيث لم يحصل ذلك الاخذ والقطع المترتبان على فرض كذبه

صلى

سورة	آية	
		﴿ ومن نظر الى تخاصم أهـل النار وقولهم لخزنة جهنم ادعـوا ربكم يخفف عنا يوما من العـذاب وقول الخزنة لهم انا لن ندعو لمن كـذب برسـل الله علم أن تكذيب الرسـل وعدم اعتقاد صـدقهم من أكـبر ماجـنى المـرء على نفسـه من المصائب وقد حكى الله تعالى عنهـم ذلك بقوله ﴾
غافر	٤٧	وَاِذْ يَتَحَاجُّونَ فِى النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا اِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ٤٨ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا اِنَّا كُلٌّ فِيهَا اِنَّ اللّٰهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ٤٩ وَقَالَ الَّذِينَ فِى النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ٥٠ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ اِلَّا فِى ضَلَالٍ
		﴿ وقال جـل شأنه فى إثبات صـدق نبينا عليه الصلاة والسـلام وأن ماجاء به من القرآن الكريم حق وصدق لامرية فيه ﴾
العنكبوت	٤٨	وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ اِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ
		﴿ ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة ﴾
		ترشد هـذه الآيـة الكريمة الى صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة	آية	
		﴿وقال تبارك اسمه فى اثبات الصدق لهم عليهم الصلاة والسلام بما أيدهم به من المعجزات الباهرات والآيات البينات﴾
الحديد	٢٥	لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ
		﴿ ماتشير اليه هذه الآية الكريمة ﴾
		تشير هذه الآية الكريمة الى بيان أنّ هؤلاء الرسل عليهم الصلاة والسلام صادقون فى كل ما يبلغونه عن الله تعالى لانه جل شأنه أيدهم بالبينات والحجج القاطعات والمعجزات الباهرات ليكون ذلك من أكبر دواعى تصديقهم فى كل ما جاؤا به من أمر ونهى وأنزل معهم الكتب وفيها أحكام الله وحدوده وأوامره ونواهيه من كل مايكفل لهم السعادة وأرشد الناس بهم الى استعمال آلة يقع بها التعامل ويتم معها التساوى والتعادل وهى الميزان ليقوم الناس بالقسط والعدل فى أمور التعامل فلا يظلم بعضهم بعضا بأخذ شئ ليس له ولا من حقه أن يأخذه ثم انه من المعلوم أن الكتاب الجامع للاوامر الالهية والموازين الموضوعة للتعامل بالسوية انما يحافظ على اتباعهما والعمل بمقتضاهما بالقوة التى تردع من خرج عن النظام وجاوز حدود الاحكام وآلات هذه القوة انما تصنع من الحديد لهذا كان فيه البأس الشديد والقوة العظيمة وفيه غير ذلك من المنافع والفوائد للناس فى معايشهم ومصالحهم فانه مامن صنعة الا والحديد أو مايعمل به آلتها والله ولى التوفيق

﴿ومن

سورة	آية	
		(من سحبهم على وجوههم بالاغلال تارة الى الحميم وتارة الى الجحيم)
غافر	٦٩	الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ٧٠ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ٧١ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ٧٢ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ
		(ما ترشد اليه هذه الآيات الكريمات)
		ترشد هذه الآيات الى بيان ما أعده الله تعالى من العذاب الأليم والعقاب الشديد لمن كذب بالكتاب وبما أرسل الله به رسله من الهدى والبيان وهو أن الاغلال توضع فى أعناقهم وتوضع فى الاغلال السلاسل ثم تسحبهم الزبانية منها على وجوههم وتجرهم بها تارة الى الحميم وتارة الى الجحيم ولهذا قال تعالى (يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون) أى يحرقون ظاهرا وباطنا وبعد استقرارهم فى النار يقال لهم على سبيل التوبيخ والتقريع والتحقير والتصغير أين الاصنام التى كنتم تعبدونها من دون الله هل ينصرونكم اليوم قالوا ضلوا عنا وذهبوا وغابوا عن أبصارنا وفقدناهم فلا نراهم ثم لما تبين لهم ما كانوا فيه من الضلالة والجهالة وأنهم كانوا يعبدون مالا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر قالوا بل لم نكن ندعو من قبل شيئا أى بل تبين لنا اليوم أنا كنا لم نعبد فى الدنيا شيئا يعتد به كذلك يضل الله الكافرين حيث عبدوا هذه الاصنام التى أوصلتهم الى النار

سورة	آية

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الى تهديد المكذبين برسالة النبي عليه الصلاة والسلام وحثهم على السير فى الارض لينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم من الامم المكذبة بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وما حل بهم من العذاب والنكال مع أنهم كانوا أشد منهم قوة وآثارا فى الارض من الابنية والمعالم والمعاقل ومع هذه القوة العظيمة والبأس الشديد أخذهم الله وأهلكهم بذنوبهم وتكذيبهم لرسلهم وما قدر أحد أن يدفع عنهم العذاب ولا رده عنهم راد ولاوقاهم واق حتى اذا نظروا فى ذلك وتحققوا أن ما حل بهؤلاء الناس بسبب تكذيبهم لرسلهم من العذاب الاليم والعقاب الشديد يحل بهم رجعوا عما كانوا يصرون عليه من التكذيب برسالته صلى الله عليه وسلم

ثم ذكر جل شأنه علة أخذه إياهم وذنوبهم التى ارتكبوها واجترموها فقال (ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) أى بالدلائل الواضحات والبراهين القاطعات (فكفروا) أى مع هذا البيان والبرهان كفروا وجحدوا (فأخذهم الله) تعالى وأهلكهم (انه قوى شديد العقاب)

فكأنه تعالى يقول لهؤلاء الناس على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم لتصدقوا صدقه عليه السلام فى كل ما بلغكموه عنى والا أحللت بكم من العذاب الاليم والعقاب الشديد ما أحللته بمن قبلكم من الامم الذين كذبوا رسلهم ولم يقدر أحد حين ذاك أن يحول دون تنفيذ مرادى فيهم من حلول العذاب بهم مع أنهم كانوا أشد قوة منكم وأكثر آثارا فى الارض مما لاتقدرون عليه

﴿ وقال جل شأنه فى بيان جزاء الذين لم يصدقوا برسلهم

من

سورة	آية	
		من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذابا أليما وكما ناط بطاعتهم السعادة والفوز بالثواب ناط بعصيانهم ومخالفة ما أمروا به سواء كان قولا أو فعلا الشقاوة والحرمان والعذاب والعقاب فقال (ومن يعص الله ورسوله و يتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) وقال جل ثناؤه (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى و يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) ولا يكون ذلك الا حيث يكون ما يقولونه وما يفعلونه صدقا لانه هو الذي توصل الطاعة فيه الى الفوز بالسعادة والعصيان فيه الى الشقاوة بخلاف الكذب فان الطاعة فيه لا توصل الى خير أبدا
		(وقد أخبر جل شأنه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بما حل بمن كذب المرسلين من قبله وحاق بهم من العذاب الاليم والنكال الشديد فقال)
غافر	٢١	أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ٢٢ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ
		(ما ترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان)

سورة	آية

مايلجئ خصومهم الى الاذعان والتصديق بكل ماجاؤا به عن الله تعالى ويتركون ماكانوا عليه من التباغض والتحاسد والعناد والتقليد وجعل جل شأنه هذه العلامات على نوعين

(الاول) المعجزة التى تدركها الحواس وهذه يطلبها أحد رجلين إما ناقص الادراك ومع نقصه هو غير معاند فيحتاج الى مايدركه بالحس كقلب العصا حية وابراء الاكمه والابرص وانشقاق القمر وغيرها واما معاند فقصده بما يطلبه العناد ليس الا

(الثانى) ما يشتمل عليه ذلك الرسول من الصفات الفاضلة والاخلاق الكاملة مما لايمكن أن توجد لغيره كاملة كما هى فيه وذلك كالصدق فى كل ماأخبر به عن الله تعالى وبلغه الناس وقوة بيانه وشدة ذكائه وفصاحة لسانه وشدة عارضته وقوة مدركته وعصمته من الوقوع فى أى معصية صغيرة كانت أو كبيرة ومن فعل كل شئ يخل بمراتبهم العلية وهذا النوع من العلامات يدركه أولو البصائر والافهام ولذا وجب اعتقاد اتصافهم بهذه الصفات لان عليها مبنى النبوة ونشر الرسالة واليك بيانها وأدلتها والله ولى التوفيق ومنه الرشد والسداد .

الصفة الاولى الصدق

اعلم أنه يجب اعتقاد أن هؤلاء الرسل صادقون فى كل مايبلغونه عن الله تعالى سواء كان قولا أو فعلا لانهم لو كذبوا فيما يقولونه أو يفعلونه لكانوا مضلين لا مرشدين وقد علمت أنهم ما أرسلوا الا للارشاد فتبطل الحكمة من ارسالهم

على أنه كيف يعقل أنهم يكذبون وقد أمر الله بطاعتهم والاقتداء بهم فى أقوالهم وأفعالهم وناط بذلك السعادة الابدية والفوز بالتمتع بدار النعيم وما فيها من النعيم الدائم المقيم فقال (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم) وقال تبارك اسمه (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى

سورة	آية	
		بالتكذيب ويقابلونه برفض ماجاء به مع اعتقادهم بأنه هو الحق الذى لامرية فيه وقد حكى الله تعالى عنهم هذه الحالة بقوله (وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) وقوله تعالى (وكذلك ماأرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون قال أولوجئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما أرسلتم به كافرون) وقوله تعالى (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا أوتسقط السماء كمازعمت علينا كسفا أوتأتى بالله والملائكة قبيلا أويكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا)
		والتقليد لما ورثوه عن آبائهم وأسلافهم من الاعتقادات الباطلة والاخلاق الفاسدة بأن يقولوا انالانترك مانحن عليه ولانفارق ماوجدنا عليه آباءنا ولا نرضى به بديلا تمسكا أعمى وتعصبا أعشى وقد حكى الله عنهم هذه الحالة أيضا بقوله (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولوكان آباؤهم لايعقلون شيأ ولا يهتدون)
		والحسد على اصطفاء الله تعالى لهذا الرسول دونهم وتفضيله عليهم مع أنه ربما كان أقل ثروة وجاها من بعضهم وقد حكى الله تعالى عنهم هذه الحالة أيضا بقوله (قالوا ان أنتم الا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله)
		لذلك اقتضت حكمة الله تعالى أن يجعل لهؤلاء الرسل من الآيات البينات والعلامات الواضحات والحجج القاطعة والبراهين الساطعة

سورة	آية

وأما صالح ففي قوله تعالى (والى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه إن ربي قريب مجيب

وأما ادريس ففي قوله تعالى (واذكر في الكتاب ادريس إنه كان صديقا نبيا)

وأما ذو الكفل ففي قوله تعالى (واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار)

وأما سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ففي قوله تعالى (وما محمد الارسول قد خلت من قبله الرسل)

فهؤلاء هم الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام الذين تجب معرفتهم تفصيلا كما يجب اعتقاد أنهم موصوفون بهذه الصفات الآتية التي سنذكرها مع أدلتها والله ولي التوفيق

صفات الرسل عليهم الصلاة والسلام

تمهيد

في بيان حال الرسل مع من أرسلوا اليهم ولمَ أيدهم الله بالمعجزات ووجبت لهم هذه الصفات

اعلم أنه سبق القول فيما يتعلق بالرسل ووظيفتهم وحكمة إرسالهم وما أرسلوا به ليعلموه الناس ويرشدوهم اليه مما يكفل لهم السعادة في الدنيا والآخرة بقي أن هؤلاء الرسل عليهم الصلاة والسلام لابد أن يقابلوا من الذين أرسلوا اليهم بالتكذيب وذلك اما عنادا وكبرا أوحسدا وتقليدا

فالعناد عما قام في نفوسهم الشريرة وزينه لهم الشيطان من أن هذا الرجل اذا سلمنا له دعواه الرسالة استأثر بالأمر دوننا وكانت له الكلمة النافذة والسلطة العامة فينا فتأخذهم لذلك عزة النفس وعتو الانفة فينابذونه

بالتكذيب

سورة	آية	
الانعام	٨٣	وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا اِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ

مَنْ نَشَاءُ اِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ٨٣ وَوَهَبْنَا لَهُ اسْحٰقَ
وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ
دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهٰرُونَ
وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ٨٤ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى
وَالْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ٨٥ وَاسْمٰعِيلَ وَالْيَسَعَ
وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ٨٦ وَمِنْ آبَائِهِمْ
وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَاِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ اِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ ٨٧ ذٰلِكَ هُدَى اللّٰهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٨٨
أُولٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ

وقد بقي سبعة وهم آدم وهود وشعيب وصالح وادريس وذو الكفل وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

أما آدم فقد ذكر في قوله تعالى (وعلّم آدم الاسماء كلها)

وأما هود ففي قوله تعالى (والى عاد أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ان أنتم الامفترون)

وأما شعيب ففي قوله تعالى (والى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير واني أخاف عليكم عذاب يوم محيط)

سورة	آية	
		شرعة ومنهاجا) فهذه لم تكن الوصاية بها عامة لسائر الرسل عليهم الصلاة والسلام بل كانت لكل رسول بما يناسب استعداد قومه وزمانهم ومكانهم وأخلاقهم وعاداتهم والله الموفق لما فيه السداد بمنه وكرمه
		﴿وقال جل شأنه فى بيان مايترتب على إرسالهم عليهم السلام من الفوائد والمنافع مع بيان ما أنزله معهم وأوحى به اليهم﴾
الحديد	٢٥	لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ
		﴿الغرض من هذه الآية الكريمة﴾
		الغرض منها بيان أن هؤلاء الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام انما جاؤا ليقوم الناس بالقسط والعدل فى جميع أمورهم بما يكفل لهم السعادة الدنيوية والاخروية وذلك بما أنزله معهم وأوحى به اليهم من الكتب المبينة فيها الاحكام المأمور بتبليغها للناس ليكونوا على أتم وأكمل حالات العدل والنصفة فيما بينهم ويتبعوا هؤلاء الرسل فيما أخبروا به ويطيعوهم فيما أمروهم به ولما كانوا مع ذلك لا بد أن يقابلوا من المرسل اليهم بالتكذيب أيدهم الله تعالى بالبينات والحجج القاطعة والمعجزات صلى الله عليهم أجمعين
		﴿ وقد بين جل شأنه من اصطفاه من هؤلاء الرسل وميزه عن غيره منهم بعظم قدره وعلو مرتبته وأوجب الشرع معرفتهم تفصيلا كما ذكرهم القرآن تفصيلا وهم خمسة وعشرون ذكر الله منهم ثمانية عشر فى هذه الآيات وهى﴾

وتلك

سورة	آية	
		والسلام كما قال تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل والله أعلم
		﴿ وبين جل شأنه ماأرسلوا به ليعلموه الناس ويهدوهم اليه بقوله ﴾
شورى	١٣	شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ
		﴿ بيان المقصود من هذه الآية الكريمة ﴾
		المقصود منها الحث على اقامة الدين وعدم التفرق فيه بما يحصل فى أصوله من الخلاف والاضطراب وفيها بيان ما شرعه الله تعالى ووصى به رسله الكرام من لدن نوح عليه السلام الى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليعلموه الناس ويرشدوهم اليه وهو توحيد الله تعالى واعتقاد أنه واحد لا شريك له متصف بصفات الكمال منزه عن صفات النقصان والتخلق بالاخلاق الفاضلة والصفات الكاملة من الصدق وانجاز الوعد والوفاء بالعهد وأداء الامانة وصلة الرحم وحسن المعاملة والمعاشرة مع صنوف الخلق وعدم ايذاء أحد منهم لا بيد ولا بلسان وعدم الاعتداء على الحيوانات وفعل الدنايا وارتكاب المحرمات وكل مايخل بالمروءة فانه مامن نبى من الانبياء الاوصى قومه بذلك وأرشدهم الى مافيه السلامة وحسن العاقبة ـ أما الشرائع التى هى مصالح الأمم فانها تختلف باختلاف الاشخاص والامكنة والازمنة والاخلاق والعادات كما يدل على ذلك قوله تعالى (لكل جعلنا منكم

سورة	آية	
		عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ١٦٤ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا

﴿ مايستفاد من هذه الآيات الكريمات ﴾

يستفاد منها أحكام (الاول) أن الله تعالى أوحى الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم كما أوحى الى اخوانه النبيين من قبله وهم نوح وابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب وأولاده وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمن وداود وموسى وغيرهم ممن قصهم الله على نبيه وبين له أخبارهم ومن لم يقصصهم عليه مع بيان ما خص به بعضهم كاعطائه الزبور لداود وتكليمه لموسى عليهما السلام (الثانى) بيان وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام وهى أنهم يبشرون من صدقهم فيما جاؤا به من عند الله تعالى وعمل به بالجنة والثواب والتنعم بالنعيم الدائم المقيم وينذرون من كذب بهم وعصاهم فيما جاؤا به بالنار والعذاب الاليم وذلك معنى قوله تعالى (رسلا مبشرين ومنذرين) (الثالث) بيان حكمة ارسالهم عليهم الصلاة والسلام وهى المذكورة فى قوله تعالى (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) أى أرسلهم الله تعالى ليبشروا الناس وينذروهم لئلا يكون لهؤلاء الناس معذرة يعتذرون بها بعد إرسال الرسل وتبليغ الشرائع على ألسنتهم فيقولوا يا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فيبين لنا شرائعك و يعلمنا ما لم نكن نعلم من أحكامك لقصور عقولنا عن ادراك جزئيات المصالح وتفردك بعلمها دون سواك فقطع الله حجتهم هذه بارسال الرسل عليهم الصلاة

والسلام

سورة	آية	
		وأسرارها وكيفية علاجها ودرجة الاعتدال منها ليهدوهم ويرشدوهم الى مافيه صلاحهم وتقويم أخلاقهم وتهذيب نفوسهم ويبينوا لهم الخير ليتبعوه والشر ليجتنبوه ويردّوهم الى حد الاعتدال فى مثل هذه الاخلاق مثلا الطمع خلق سيئ ولكن لولاه ماتجشم الخلق أعباء المكاسب والغرس والعمارة واذا طغى نشأعنه منازعات الخلق وتولدت الشرور المبيدة فشريعة الرسول تلطفه وتردّه الى ارادة السعى والتعيش بعد ارادة التكثر والاستئثار فكأنه يجعله حسنا بعد أن كان سيئا وبذلك تتم المسابقة فى عمارة الكون وتحصل الغاية المقصودة منه بلا ضرر ولاضرار وهذا هو جُل المقصود من الرسل عليهم الصلاة والسلام ولكمال لطفه بهم ورحمته لهم أن جعلهم بشرا من جنسهم ليمكن أن ينتفع بعضهم ببعض فى المخاطبات ولم يجعلهم ملائكة لعدم امكان رؤيتهم ومخالطتهم ومخاطبتهم فلا تحصل الفائدة المقصودة من إرسالهم حينئذ ولقد امتنّ الله بهذه الرحمة والنعمة على عباده فقال (لقد منّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين)
		﴿ وقد بين الله تعالى وظيفة هؤلاء الرسل وحكمة إرسالهم فى قوله ﴾
النساء	١٦٣	إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ١٦٣ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ

سورة	آية

فيعذب هذا ويغفر لذاك حسب ارادته ومشيئته وذلك بما له من السلطان القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمين للقدرة التامة على التصرف الكلى فيفعل بمقتضاها ماشاء من التعذيب والمغفرة حسب ارادته واختياره والله على كل شئ قدير ومن ذلك ماذكر من التعذيب والمغفرة

وحيث قد انتهى بنا القول فى بيان ما يجب فى حق الله تعالى وما يستحيل وما يجوز وقد بقى الكلام على مايجب للرسل الكرام وما يستحيل وما يجوز فى حقهم عليهم الصلاة والسلام من الصفات المرضية والمراتب العلية وما خصهم الله به من جليل المزية وكمال الافضلية فاليك بيانه

الكلام على الرسل عليهم الصلاة والسلام

تمهيد

فى بيان حكمة ارسالهم

اعلم أن الله جلت قدرته وعلت كلمته خلق الخلق وطبعهم على أخلاق حسنة تساعدهم على انتظام حالهم وأخلاق تخالفها لاجل أن يتسابقوا بها فى عمارة هذا الكون الذى قدر وجودهم فيه الى أجل معلوم لكن لما كان تحديد الرغبة فى السبق يوجب وقوف كل راغب عند حده ويأسه من مجاوزته وبذلك تتعطل حركة المسابقة لم تعدل الاخلاق فى أصل الفطرة فصارت تلك الاخلاق السيئة فى معرض الطغيان والوصول الى حد يصبح به ضرها أكبر من نفعها لذلك اقتضت رحمة الله بعباده بمحض ارادته واختياره أن يرسل لهم أناسا منهم طبعهم على الاخلاق الفاضلة والصفات الكاملة وأطلعهم على مكامن الاخلاق

واسرارها

سورة	آية	
		﴿ وقال تبارك اسمه فى بيان أنه فاعل مختار يتصرف فى خلقه كيف يشاء فان شاء أبقاهم وان شاء أذهبهم وأتى بغيرهم ﴾
فاطر	١٥	يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ
		﴿ مايستفاد من هذه الآية الكريمة ﴾
		يستفاد من هذه الآية الكريمة أنه تعالى هو الغنى المطلق عن كل شئ وأنه مستحق بانعامه على جميع الموجودات للحمد وأن كل ماعداه مفتقر اليه وأنه ان شاء إذهاب هؤلاء الناس الذين يشركون به غيره فى العبادة ويأت بخلق جديد غيرهم يعبدونه ويوحدونه فما ذلك عليه سبحانه صعب فانما أمره تعالى اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون فالكل تحت ارادته مقهور تحت جبروته يتصرف فيه كيف شاء لااله الاهو العزيز الحكيم
		﴿ وقال جل ثناؤه فى بيان كمال اختياره بماله من الملك المطلق والتصرف التام فى السموات والارض وفى كل شئ ﴾
المائدة	٤٣	أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
		﴿ الغرض من هذه الآية الكريمة ﴾
		الغرض منها اثبات أنه تعالى فاعل مختار يتصرف فى خلقه كيف شاء

سورة	آية	
		يشاء أن يذله فهو المالك الحقيقى والمتصرف العام الذى يتصرف فى ملكه بالخير والشر بما شاء وكيف شاء لا يتصرف فيه أحد غيره ولا يملكه أحد سواه وقد أشار جل شأنه لتعليل ما سبق وتحققه بقوله فى الآية (انك على كل شئ قدير) أى وحيث كان كذلك فيفعل كيف شاء بقدرته وفق ارادته ومشيئته اذ ليس من هو أكبر منه حتى يكرهه على فعل من الافعال كما قال تعالى (وهو القاهر فوق عباده)
		﴿وقال جل شأنه فى بيان أنه تعالى فاعل مختار يتصرف فى ملكه بما شاء وكيف شاء﴾
يونس	١٠٧	وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ
		﴿المقصود من هذه الآية الكريمة﴾
		المقصود منها اختصاصه تعالى بالتصرف المطلق وتفرده بالقدرة التامة والعظمة الكاملة وأنه لا شئ فى الوجود الا وهو فى قبضته وتحت تصرفه فاذا أراد أحدا بسوء فلا يمكن لاحد سواه أن يكشفه عنه ويمنعه منه لان الكل تحت قهره وسلطانه كما أنه اذا أراد أحدا بخير فلا يقدر أحد سواه على رده كائنا من كان بل يصيب به من يشاء من عباده حسب ارادته ومشيئته وهو الغفور الرحيم لمن تاب اليه ورجع من أى ذنب كان حتى من الشرك به فانه يتوب عليه اذا تاب ورجع الى الاسلام

(وقال

سورة	آية	

غير أنه يجب علينا أن نعتقد أن كل فعل من أفعاله تعالى جار على الحكمة والعدل والصواب من غير إجحاف بحق أوظلم لاحد فقد وصف جل شأنه ذاته بالقسط ونفى عنه الظلم فقال (شهد الله أنه لااله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط) وقال تعالى (وما ربك بظلام للعبيد) وقال تبارك اسمه (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأ هلها مصلحون) وقال جل ذكره (ان الله لايظلم الناس شيأ ولكن الناس أنفسهم يظلمون) والآيات فى ذلك كثيرة كما أنه يجب علينا أن نعتقد أن جميع أفعاله تعالى لاتخلو عن حكمة وفائدة سواء علمت تلك الحكمة لنا أولم تعلم كما قال تعالى (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ماخلقناهما الا بالحق) وقال تعالى (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لاترجعون)

﴿ وقد أثبت الله تعالى لنفسه أنه فاعل مختار يتصرف فى ملكه كيف يشاء من غير منازع ولا معارض ولا ممانع بقوله ﴾

آل عمران ٢٦ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

﴿ الغرض من هذه الآية الكريمة ﴾

الغرض منها بيان كمال عظمته تعالى وتمام قدرته وأنه يتصرف بمقتضاها فى خلقه كيف يشاء فيعطى الملك لمن يشاء اعطاءه اياه وينزعه ممن يشاء نزعه منه وسلبه عنه ويعز من يشاء أن يعزه ويذل من

سورة	آية

الجائز فى حق الله تعالى

يجوز فى حقه تعالى فعل كل ممكن أو تركه فهو الفاعل المختار يتصرف فى ملكه بما شاء وكيف شاء من غير وجوب عليه لا يصده عن ذلك صاد ولا يمنعه عنه مانع كما قال (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) أى لا يفعل فعلا من أجل أنه واجب عليه أن يفعله لانه لو كان كذلك لاحتاج الى ذلك الفعل وما كان هكذا فهو فى وجوده يحتاج الى ذلك الفعل إما حاجة ضرورية وإما أن يكون به تاما والله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك بخلاف غيره فانه يفعل الفعل ليستفيد به و يتكمل منه وذلك لان كل ما فى هذا العالم من سموات وأرض وحيوان ونبات وبر وبحر وأحجار وأشجار وغيرها فعل الله تعالى وخلقه واختراعه لا خالق له سواه ولا محدث له الا اياه ولا شريك له فيه ينازعه ولا ضد له فيه يعارضه ويعانده ويمانعه فكيف يعقل مع هذا أن هذا الخالق القادر وهذا المالك المطلق يحول دون تصرفه فى ملكه كيف يشاء أحد حاش لله أن يكون كذلك بل هو الفاعل المختار لكل شئ من خير وشر ونفع وضر واسلام وكفر وعرف ونكر وفوز وخسران وطاعة وعصيان وشرك وايمان ورشد وغواية وضلال وهداية الى غير ذلك من الشؤن والاحوال كل ذلك بارادته واختياره يضل من يشاء ويهدى من يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون

والآيات القرآنية الدالة على أنه تعالى فاعل مختار يتصرف فى ملكه كيف يشاء من نفع وضر وخير وشر كثيرة لا تكاد تحصى فمنها قوله تعالى (إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم) وقوله تعالى (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شئ قدير) وقوله تعالى (وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا رادّ لفضله يصيب به من يشاء من عباده) ومنها غير ذلك

غير

آية	سورة

عظيما لاينبغى له قال لربه جل وعز سبحانك تبت اليك عن العود الى مثل هذا السؤال وأنا أول المؤمنين من بنى اسرائل أنه لايراك أحد من خلقك تلك الرؤية التى سألت

ومما كلم الله به موسى عليه السلام ما خاطبه به وقال له (ياموسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى) أى اخترتك عليهم بهما (فخذ ماآتيتك) أى من الكلام والمناجاة (وكن من الشاكرين) على ذلك ولا تطلب مالا طاقة لك به

ومن هاتين الآيتين الكريمتين يؤخذ أن الانسان اذا سأل شخصا آخر حاجة ينبغى له أن ينظر فى تلك الحاجة ان كان يصح أن تطلب من هذا الشخص وفى امكانه قضاؤها وفيما اذا كان يجيب بطيب نفس وصفاء سريرة ورضا خاطر أو يجيب مع تضرره حياء أو استنكافا من رد المسئلة وكذا فى حال الشخص المسؤل ان كان مثله يصح أن يطلب منه مثل هذه الحاجة وفى امكانه قضاؤها أو يصعب عليه الحصول عليها ولكن يضطر للحصول عليها لما للسائل عليه من الايادى والمكرمات أو غير ذلك فان تحقق لديه سهولة اجابة طلبه وقضاء حاجته أقدم على الطلب والمسئلة والا عرض نفسه للاهانة وذل السؤال مع عدم الجدوى وكان نصيبه من المسؤل الحرمان والطرد والخذلان وما أصعب ذلك وأشده على الرجل الحر

هذا وقد تم الكلام ولله الحمد والمنة على ما يتعلق بما يجب له تعالى من الصفات الكمالية والمراتب العلية وما يستحيل اتصافه به جل شأنه من أضداد تلك الصفات فلم يبق مما يتعلق بذاته الشريفة الا ذكر مايجوز فى حقه تعالى ليتم به مايجب على المكلف اعتقاده بالنسبة لمولانا جل وعز فاليك بيانه

سورة	آية	
		ردّ على من يقول ان الله خلق كلاما فى محل فسمع موسى ذلك الكلام وهذه الحالة التى حصلت لموسى عليه السلام من التكليم بالكيفية المتقدمة هى احدى مقامات الوحى الثلاثة المتقدمة كما علمت
		﴿وقال جل شأنه فى اثبات هذه الصفة له أيضا﴾
الأعراف	١٤٢	وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ١٤٣ قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ
		﴿ما يؤخذ من هاتين الآيتين الشريفتين﴾
		يؤخذ منهما أن الله جل شأنه كلم موسى عليه السلام لما جاء فى الوقت الموعود فسأله الرؤية وقال له يارب أرنى أنظر اليك قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه وبقى على حاله ولم يتزلزل عند التجلى له مع ماهو عليه من عظم الجرم والصلابة والقوة فسوف ترانى أى وان ضعف عن ذلك فأنت منه أضعف فلما تجلى ربه للجبل وظهر صار الجبل ترابا فلما رأى موسى عليه السلام ماحصل للجبل خر مغشيا عليه لهول ما رأى فلما أفاق بعد ذلك وعلم أنه سأل أمرا

آية	سورة	
		عن هـذه الحالة بالالهام وقد أخـبر صلى الله عليه وسـلم عن حصول هذه الحالة له فقـال (ان روح القدس نفث فى صدرى وفى رواية روعى ان نفسا لن تموت حتى تسـتكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب) وهذا هو المراد بقوله تعالى الاوحيا
		(الثانى) أن يكلمه مـن وراء حجاب بان يسمعـه كلامه ولا يراه كما وقع لموسى عليـه السـلام وهـذا هو المـراد بقوله تعالى أو من وراء حجاب
		(الثالث) أن يكون ذلك الكلام بواسـطة ملك يرسـله الله تعالى الى المـوحى اليـه من البشر فيوحى اليـه مايشاء أن يوحيـه له باذن الله تعالى وأمره وتيسيره وهذا هو المراد بقوله تعالى أو يرسل رسولا فيوحى باذنه مايشاء
		﴿وقال جل ثناؤه فى اثبات هذه الصفة له﴾
١٦٣	النساء	وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا
		﴿مايستفاد من هذه الآية الكريمة﴾
		يستفاد منها اثبات صـفة الكلام لله تعالى وذلك أنه تعالى أخـبر عن نفسـه وهـو الصادق المصـدوق بأنه كلم موسى عليه السلام بلا واسطة أى أزال عنـه الحجاب حـتى سمع كلامه ولا جرم أن تكليم الله تعالى لموسى عليه السـلام بدون واسطة منتهى مراتب التكريم والتشريف ولا يقـدح ذلك فى نبوة سائر الانبياء ولا يقتضى الافضلية عليهـم لان الخصوصية لاتقتضى الافضلية وفى التأكيد بالمصدر فى قوله تعالى تكليما

سورة	آية	
		سواء لايخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء سبحانه هو الله الواحد القهار
		الصفة الثانية عشرة الكلام
		نطق القرآن بأن الله تعالى كلم موسى تكليما وأنه جل شأنه لايكلم البشر الا وحيا فوجب علينا التصديق بأنه متكلم وليس لنا البحث عن حقيقة معنى الكلام لانه كغيره من صفات الله تعالى لايمكن الوصول الى العلم بحقيقته أما الالفاظ المقروءة فالبحث فيها من جهة خلقها وعدم خلقها بدعة يجب السكوت عنها والذى يجب الايمان به أن القرآن كلام الله والله أعلم
		(وقد أثبت الله لنفسه هذه الصفة فقال)
شورى	٥١	وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ الاَّ وَحْيًا أَوْمِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِ مَايَشَاءُ اِنَّهُ عَلِىٌّ حَكِيمٌ
		(ما يستفاد من هذه الآية الكريمة)
		يستفاد من هذه الآية الكريمة اثبات صفة الكلام لله تعالى مع بيان كيفية تلقيه من عند الله تعالى ووصوله الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام وذلك بأحد ثلاثة أمور (الاول) أن يوحى اليه بأن يقذف فى قلبه شيأ لايتمارى فيه أنه من عند الله تعالى فيقع ذلك المعنى المقذوف فى نفس الموحى اليه بدون واسطة لفظ يخلقه الله تعالى فينكشف له بمجرد ذلك القذف ثم هو يمكنه بعد ذلك أن يعبر عنه بالفاظ من عنده كيفما شاء ويمكن أن يعبر

عن

سورة	آية	
		والمنعكس عنها الى داخل العين انما ذلك فى الحوادث والله جل شأنه منزه عن صفات الحوادث
		(وقال تبارك اسمه فى اثبات هذه الصفة له تعالى أيضا)
الانعام	١٠٣	لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ
		(ما تفيده هذه الآية الكريمة)
		تفيد هذه الآية الكريمة أن عظمته تعالى غير متناهية وأن الاحاطة بها غير ممكنة وأن الجوهر اللطيف الذى ركبه الله وأودعه فى حاسة البصر وبه تدرك المبصرات لا يتعلق بذاته ولا يدركها لانه متعال أن يكون مبصرا فى ذاته لان ادراك البصر لذاته تعالى واحاطته بها يستدعى تحديدها وتحديدها يستدعى تجسيمها والله تعالى منزه عن ذلك بخلافه جل شأنه فانه يرى هذا النور الذى تدرك به المبصرات ويدركه ويحيط به مع لطافته وعدم امكان مدرك له غيره تعالى وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله (لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار) وبعد أن ذكر الله تعالى عدم امكان رؤية الأبصار له واحاطتها به وتحقق رؤيته هو للابصار مع لطافتها ودقتها ذكر ماهو فى قوة التعليل لذلك حيث يقول (وهو اللطيف الخبير) أى الذى لطف حتى جل عن أن يدرك بالابصار وتعالى عن مشابهة الصور والامثال والخبير بكل شئ بحيث لايخفى عليه شئ من مخلوقاته فالكل لديه سبحانه وتعالى مدرك سواء ماظهر منه أو خفى لان الكل لديه سبحانه وتعالى

سورة	آية	
		من الاجفان والاهداب والحاجبين وفى منافع البصر للحيوان وفوائده باهتدائه به الى طرق معاشه ونجاته من مخاوفه ورؤيته به المناظر الجميلة وكشفه به مايبعد عنه ألوفا من الأميال كما يكشف به مايقرب منه الى غير ذلك من الفوائد والمنافع جزم بأن واهب هذا البصر لهذا الحيوان لابد أن يكون بصيرا بمعنى أنه يعلم ذلك كله والا فكيف يعقل أن يوجد البصر وهو غير بصير بل كيف يخلق هذا الخلق وهو لايبصره بل كيف يصح أن يعبد من لايرى من يعبده بل كيف لايكون بصيرا والبصر كمال لامحالة وقد أوجده فى مخلوقاته وكيف يكون المخلوق أكمل من الخالق والمصنوع أسنى وأتم من الصانع ذلك غير معقول وكيف يعقل أن الانسان بصير وخالقه غير بصير ألايبصر من خلق وهو العلى العظيم فالبصر بمعنى العلم بالمبصرات أمر عقلى أما بمعنى أنه صفة خاصة فهو سمعى محض
		﴿وقد أثبت الله تعالى لنفسه صفة البصر حيث قال﴾
شورى	١١	لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ
		﴿ماترشد اليه هذه الآية الكريمة﴾
		ترشد هذه الآية الكريمة الى ثلاثة أشياء (الاول) نفى مشابهته جل شأنه لكل ماعداه من المخلوقات اذ لوشابه شيأ منها لكان حادثا مثلها وذلك مستحيل فى حقه تعالى (الثانى) اثبات أنه تعالى سميع أى مدرك لجميع المسموعات لاعلى سبيل التخيل والتوهم ولا بتأثر حاسة أووصول هواء (الثالث) اثبات أنه تعالى بصير أى مدرك لجميع المبصرات لاعلى طريق التوهم والتخيل ولا على طريق تأثر حاسة ولا وصول نور لان كون العامل برسم صور المرئيات فى العين هو النور الواقع على المرئيات

والمنعكس

آية	سورة

أظن هؤلاء الناس لجهلهم أنا لا نسمع مايتحادثون به سرا فى مكان خال وما يتناجون به فيما بينهم بل قد كذبوا فى ظنهم هذا الفاسد وزعمهم الباطل بل نسمع ذلك ونعلم به ونطلع عليه ورسلنا وملائكتنا الموكلون بحفظ أعمالهم الملازمون لهم يكتبون جميع مايصدر عنهم من قول أو فعل فنجازيهم به

ومن هذه الآية الكريمة يؤخذ وجوب مراقبة الله تعالى فى جميع الاحوال حيث انه جل شأنه مطلع على الانسان فى جميع لحظاته وحركاته وسكناته سميع لكل ما يقوله مطلع على كل مايفعله سواء ماخفى من ذلك وما ظهر فان الاخفاء والاظهار بالنسبة له تعالى سواء وعليه فما يفعله بعض الحمقى من الناس حيث يجتهدون فى اخفاء مايرون الجهر به قبيحا عن أعين الناس ولا يبالون بفعله ماكانوا كذلك مع اعتقادهم بأن الله تعالى الذى لاتخفى عليه خافية مطلع عليهم سميع لما يقولونه فذلك من أكبر أمارات النفاق حيث جعلوه جل شأنه أهون الناظرين اليهم وأحقر المبصرين بهم فلا يستحيون منه ولا يرعون له ذمة ولا يخافون له عقابا ولا يرجون منه مثوبة أولئك جزاؤهم جهنم بما كسبوا وماربك بغافل عما يعملون

الصفة الحادية عشرة البصر

هو صفة قديمة تنكشف بها المبصرات ولكن لابعين ولا حدقة ولا جارحة ولا بغير ذلك فان ذلك من صفات الحوادث المنزه عنها الله تعالى وهو من الصفات التى لامرية فى ثبوتها لله تعالى اذ جاء الشرع الشريف بثبوتها له عز وجل ونطق القرآن الكريم بها - ومن تأمل فى تركيب العين للانسان وغيره من سائر الحيوانات ونواميس النور التى يتم بها الابصار وما دبرت الحكمة الالهية لتكميل هذه الوظيفة وفى التدابير التى وضعت للمحافظة عليها وتسهيل طرق أداء وظيفتها

سورة | آية

تشير الى حكاية أمر سيدنا موسى عليه السلام وأخيه هرون مع فرعون عليه اللعنة حيث أمرهما الله تعالى أن يذهبا اليه ليقولا له إنا رسولا ربك فأرسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم فقالا له عز وجل إننا نخاف اذا دعوناه الى ذلك أن يفرط علينا ويعجل علينا بالعقوبة فقال الله تعالى لهما لاتخافا مما ذكرتما فانى حافظ لكما وناصر كما عليه أسمع ما يجرى بينكما وبينه من القول وأرى ما يحصل بينكما وبينه من الفعل فأفعل فى كل حال مايليق بها من دفع شر وجلب خير

وفى هذه الآيات الكريمات من الدلالة على وجوب استعمال اللين وحسن التلطف فى القول مع الخصم حتى يذعن للحق ويصغى لما يقال له وخصوصا الظالم عند وعظه وإرشاده مالا يخفى فان تليين القول مما يكسر سورة عناده ويلين قسوة قلبه وبذا يكون ءاله قد أثمر وسعيه لم يخب وحصل بغيته ونال أمنيته والا كان كناطح صخر أومتطلب من الماء جذوة نار

(وقال تبارك اسمه فى اثبات صفة السمع له تعالى)

الزخرف | ٨٠ | أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ

(ما يؤخذ من هذه الآية الكريمة)

يؤخذ من هذه الآية الكريمة اثبات صفة السمع له تعالى وأنه لاتخفى عليه خافية فلا يعزب عن سمعه مسموع وان خفى ولا يحجبه بعد وان طال وقد ظن الكفار لجهلهم أنه سبحانه وتعالى لايسمع الا ما جهر به من الاصوات وأما ما خفى منها فلا يسمعه فرد الله عليهم بقوله (أم يحسبون أنا لانسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون) أى

أظن

سورة	آية	
		تعالى الله عن صفة الحوادث علوا كبيرا ـ وهو من الصفات التى ورد الشرع الشريف بثبوتها لله تعالى وجاء القرآن الكريم ناطقا بها فوجب التصديق بانه سميع أما العقل فلا يمكنه أن يثبت وحده الا أنه من المسموعات فهو صفة سمعية ـ على أن من أمعن النظر وأجال الفكر فى استحقاق الاله العبودية واختصاصه بالعبادة دون غيره ونظر فى جميع التكاليف التى شرعها الله لجزم لأول وهلة أن هذه العبادة لايصح أن تكون لغير سميع اذ كيف يوجه الانسان عبادته الى من ليس يسمع ذكره له وثناءه عليه ولا تحميده ولا تمجيده والعبادة ليست شيأ غير ذلك ولذا يقول سيدنا ابراهيم عليه السلام لابيه (ياأبت لِمَ تعبد مالا يسمع ولايبصر ولا يغنى عنك شيأ) أى كيف يصح لك أن تعبد مالا يسمع ثناءك عليه ودعاءك له ولا يبصر ماتفعله له من العبادة ولا يغنى عنك شيأ فلا يجلب لك نفعا ولا يدفع عنك ضررا لعدم الفائدة حينئذ وقال تعالى (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لايسمعوا دعاءكم ولو سمعوا مااستجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير)
		﴿ وقد أثبت الله لنفسه هذه الصفة حيث قال ﴾
طه	٤٣	اِذْهَبَا اِلَى فِرْعَوْنَ اِنَّهُ طَغَى ٤٤ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ٤٥ قَالَا رَبَّنَا اِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ٤٦ قَالَ لَا تَخَافَا اِنَّنِى مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى
		﴿ ماتشير اليه هذه الآيات الكريمات ﴾

سورة	آية	
		فيه هؤلاء الناس علوا كبيرا فانه سبحانه برىء مما يقولون بعيد عما يصفونه به منزه عن كل نقص لااله الا هو تفرّد بالايجاد له الملك والملكوت يحيي ويميت وهو على كل شىء قدير
		﴿ وقال جل شأنه فى عدم فلاح من أشرك مع الله تعالى غيره فى العبادة ﴾
المؤمنون	١١٨	وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ
		﴿ ماترشد اليه هذه الآية الكريمة ﴾
		ترشد هذه الآية الكريمة الى بيان جزاء من أشرك بالله تعالى غيره فى العبادة مع عدم قيام البرهان لديه على أن مايعبده من دون الله إله يستحق العبادة وانما يعبده تقليدا أعمى أو عنادا أعشى كما حصل ذلك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (أنه قال لرجل ماتعبد قال أعبد الله وكذا وكذا حتى عدّ أصناما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأيهم اذا أصابك ضر فدعوته كشفه عنك قال الله عز وجل قال فما يحملك على أن تعبد هؤلاء معه أحسبت أن تغلب عليه قال أردت شكره بعبادة هؤلاء معه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلمون ولا يعلمون) فمثل هؤلاء الناس جزاؤهم عند ربهم عدم الفلاح والخسران والخذلان والشقوة والعذاب الأليم كما أفاد ذلك جل شأنه بقوله (انه لايفلح الكافرون)
		الصفة العاشرة السمع
		هو صفة قديمة تنكشف بها المسموعات ولكن لاباذن ولا صماخ

تعالى

سورة	آية	
		ويماثله ولان الولد انما يطلبه العاقل لاعانتــه على أمور معاشــه والله جل شأنه منزه عن مماثلته لأحد أو مماثلة أحد له ومتقدّس عن احتياجه لاحد لانه هو الغنى المطلق لارب غـيره ولا معبـود سواه (الثانى) نفى الشريك له تعالى مع اقامة الدليل على تفرده بالالوهيـة بأنه لو كان له ثان يشاركه فيها لذهب كل واحد بما خلقه واستبد به واستقل وتصرف فيه تصرف المالك فى ملكه وامتاز ملكه من ملك الآخر وعلا بعضهم على بعض ووقع بينهم التحارب والتغالب كما هو المشاهد بين ملوك الدنيا بعضهم مع بعض وحيث لم يكن أثر لتمايز الممالك والتغالب فلم يبق اذن الا أنه إله واحد بيده ملكوت كل شئ تعالى الله عما يقول فيه الظالمون علوا كبيرا
		﴿ وقال جل شأنه فى اقامة الدليل على بطلان دعوى من يقول بوجود آلهة غير الله تعالى ﴾
الاسراء	٤٢	قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَنْ لَابْتَغَوْا إِلَى ذِى الْعَرْشِ سَبِيلًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا
		﴿ الغرض من هذه الآية الكريمة ﴾
		الغرض منها دحض قول المشركين ان مع الله آلهة أخرى بانه لو كان مايقولونه صحيحا لابتغوا وطلب أولئك الآلهة الى الله سبحانه سبيلا وطريقا للغالبة والمقاتلة والممانعة ليزيلوا ملكه كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض من المقاتلة والمصاولة عند تعددهم وذلك باطل لعدم حصوله فما أدى اليه وهو وجود آلهة غير الله تعالى باطل أيضا تنزه الله عما يقول

سورة	آيه	
		عالم لان الخالق يستدعى العلم والقدرة لكونه واقعا على أتم نظام وأبدع إحكام وفي ذلك وصفه تعالى بأنه حيّ سميع بصير (وقوله أحد) وصف بالوحدانية ونفى الشريك له تعالى فى ذاته وصفاته وأفعاله (وقوله الصمد) أى الذى يصمد اليه ويقصد فى الحوائج وصف بأنه ليس الا محتاجا اليه واذا لم يكن الا محتاجا اليه فهو غنيّ عن كل ماسواه (وقوله لم يلد) وصف بالقدم والاوّلية لان الولادة تستلزم المماثلة والمجانسة للمولود وذلك يستلزم الحدوث وهو مستحيل عليه تعالى وكذا قوله (ولم يولد) لان المولودية تستلزم سبق العدم وقد علمت أنه قديم لاأول له ووصفه تعالى بالقدم يستلزم وصفه بالبقاء لان القديم لايفنى وانما يفنى الحادث المتجدد وقوله (ولم يكن له كفوا أحد) وصف بمخالفته تعالى للحوادث ومغايرته لها فى جميع الشؤن والأحوال
		﴿ وقال تبارك اسمه فى نفى اتخاذه الولد والشريك له واقامة الدليل على ذلك ﴾
المؤمنون	٩٢	مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ
		﴿ ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة ﴾
		ترشد هذه الآية الكريمة الى أمرين (الاول) بطلان اتخاذ الله تعالى ولدا لان الولادة تقتضى انفصال مادة منه سبحانه وتعالى وذلك يقتضى الحدوث وهو مستحيل عليه تعالى ولان الولد لابد أن يجانس أباه

ويماثله

سورة	آية	
		وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولاحياة ولا نشورا) أى واتخذوا آلهة يعبدونها من دون الله والحال انهم لايقدرون على خلق شئ من الاشياء بل هم مخلوقون لله تعالى ولايمكنهم التصرف فى ضرما ليدفعوه عن أنفسهم ولافى نفع ما ليجلبوه لها كما لايمكنهم التصرف فى أى شئ من الاشياء لابإماتة ولا بإحياء ولا بغير ذلك من أنواع التصرفات وحيث بلغ عجزهم هذا المبلغ وكانوا بحيث لايقدرون على الدفع والنفع فيما يتعلق بأنفسهم فكيف يملكون ذلك لكم واذا كانوا كذلك فكيف تعبدونهم وتعظمونهم وتتخذونهم مع ذلك آلهة من دون الله والاله يجب أن يكون قادرا تنزه الله وتقدس عما يقول الجاحدون والظالمون علوا كبيرا
		﴿وقال تعالى فى بيان وحدانيته تعالى وصمدانيته ونفى كونه والدا أومولودا وتنزيهه عن المماثل والمكافئ﴾
الإخلاص	١	قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ٢ اللَّهُ الصَّمَدُ ٣ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ٤ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ
		﴿الغرض من هذه السورة الشريفة﴾
		الغرض منها اثبات جميع صفات الكمال له عز وجل من وجوده تعالى وقدمه وبقائه ومخالفته تعالى للحوادث وقدرته وارادته وعلمه وحياته وسمعه وبصره وكلامه ووحدانيته وذلك لان الله علم على الذات الواجب الوجود الجامع لصفات الالوهية المستلزم ذلك أنه خالق الاشياء ومبرزها من العدم الى الوجود وفى طىّ ذلك وصفه تعالى بأنه قادر

سورة	آية

جل شأنه على انزاله الفرقان لما أنه ناطق بعلو شأنه سبحانه وسمو صفاته وابتناء أفعاله على أساس الحكم والمصالح وخلوها عن شائبة الخلل ولانه مشتمل على الوعيد القاضى بزجر هؤلاء المضلين الذين يعتقدون الشريك لله تعالى .

وبعد أن نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عما يقوله فيه هؤلاء الناس الظلمة من الزور والبهتان أخذ فى اقامة الدليل على تدحيض أقوالهم وتسفيه أحلامهم بأنه سبحانه وتعالى له ملك السموات والارض يتصرف فيهما كيف يشاء وحده دون غيره لااستقلالا ولااشتراكا ايجادا واعداما واحياء واماتة وأمرا ونهيا حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وبأنه لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك يشاركه فى ملكه السموات والارض وبأنه أوجد هذه المخلوقات وأحدثها بعد أن لم تكن حسبما اقتضته ارادته المبنية على الحكم البالغة كخلقه الانسان من مواد مخصوصة وصور وأشكال معينة بعد أن هيأ كل مخلوق لما خلق له فهيأ الانسان للفهم والادراك والنظر والتدبر فى أمور المعاد والمعاش واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة وكذا كل حيوان وجماد هيأه لما وجد لاجله من المصالح وأنيط به من الاعمال ولاجرم أن من خلق هذه المخلوقات على هذا النظام العجيب والترتيب الغريب لابد أن يكون كل ما سواه كائنا ما كان تحت ملكوته وقدرته بحيث لايشذ منه شئ ومن كان كذلك فكيف يتوهم كونه ولدا لله تعالى أو شريكا له فى ملكه عز وجل كما زعم هؤلاء الجهلة

ولم يكتف جل شأنه بما أقامه عليهم أولا من واضح الدليل وساطع البرهان بل أخذ يحكى دعواهم الباطلة ومقالتهم الكاذبة مبطلا اياها بما يدل على غاية عجز من يعتقدون أنهم آلهة و يجعلونهم شركاء لله تعالى ونهاية ضعفهم حيث يقول (واتخذوا من دون الله آلهة لايخلقون شيأ

وهم

سورة	آية	
		الترتيب المحكم والاسرار والحكم كيف يصح لكم أن تشركوا به غيره في العبادة والالوهية وتنحلوا له ضدا يدانيه أوندا يساويه سبحانك هذا بهتان عظيم
		لاجرم أنه لايقول بذلك الا من عادته العدول عن طريق الحق والانحراف عن الجادة في كل أمر ومن لايعلم علما مفيدا به يسترشد الى مافيه خيره وصلاحه ومن كابر في تفرده جل شانه بالالوهية المستتبعة لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال فعليه بالبرهان ان كان صادقا فيما يدعيه (ولا أظنه يقدر عليه) لان مجرد الدعوى في نظر العقلاء بدون دليل لاتقبل والله أعلم بمغازي كلامه
		﴿ وقال جلت آلاؤه في بيان وحدانيته تعالى في الذات والصفات والافعال ﴾
الفرقان	١	تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ٢ الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِى الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ٣ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْأً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِاَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا
		﴿ ماترشد اليه هذه الآيات الكريمات ﴾
		ترشد هذه الآيات الى تنزيه الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله عما يقول الظالمون فيه جل وعلا من اتخاذه ولدا وشريكا وقد رتب ذلك

سورة	آية

ءَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٦٤ أَمَّنْ يَبْدَأُ
الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
ءَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

(الغرض من هذه الآيات الكريمات)

الغرض منها توبيخ الكفار على مايعتقدونه من الشريك لله تعالى وعدم تفرده بالالوهية واختصاصه بالعبادة بذكر بعض أفعاله التى لايقدر عليها غيره حتى يتوهم جعله شريكا له تعالى فى العبادة وذلك أنه خلق السموات والارض وأبدع ايجادهما وأنزل لاجل منفعتكم من السماء ماء فأنبت به الحدائق المختلفة الاصناف والاوصاف والالوان والطعوم والروائح والاشكال والثمار مع اشتراكها فى أنها تسقى بماء واحد وتتغذى بتربة واحدة وتمتص مايلزمها من هواء واحد وجعل الارض مستقرة بحيث تصلح لمعيشة الانسان عليها فلم يجعلها مندمجة الاجزاء بحيث يصعب المشى عليها ولا متخلخلة بحيث تغوص الاقدام فيها وجعل خلالها أنهارا جارية ننتفع بها فى أنفسنا وأموالنا وأقواتنا وجعل عليها جبالا ثوابت وجعل بين البحرين العذب والملح فاصلا يمنع من امتزاجهما ببعضهما وسد عوز المحتاج ومن ألجأته الضرورة والحاجة اليه وأزال عن الانسان ما يسوءه وأورثه الارض يتصرف فيها بجميع أنواع التصرفات وأرشده فى ظلمات الليالى فى البر والبحر بالنجوم ونحوها من العلامات وبدأ خلقه وأبدع تكوينه وبعد موته يعيده ويحييه يوم يبعث من فى القبور ورزقه بأسباب سماوية وأرضية قد رتبها على ترتيب بديع تقتضيه الحكمة التى بنى عليها أمر التكوين

أى ومن كانت هذه أفعاله ومصنوعاته وموجوداته على ماهى عليه من

الترتيب

سورة	آية	
		مخالفته وهو عجز والعجز على الاله محال وان اختلفا بان أراد أحدهما ايجاد العالم والآخر اعدامه فلا جائز أن ينفذ مرادهما لانه يلزم عليه اجتماع النقيضين ولا جائز أن ينفذ مراد أحدهما دون الآخر للزوم عجز من لم ينفذ مراده والآخر مثله لانعقاد المماثلة بينهما فثبت أن القول بوجود الهين أو أكثر يوجب الفساد وحيث ظهر مما تقدم أن وجود جنس الآلهة غير الله تعالى متفقين أو مختلفين محال كما علمت فلم يبق اذن سوى أن اله هذا العالم وموجده لابد وأن يكون واحدا تنزه الله سبحانه عما لايليق به وتعالى عما وصفوه به من التعدد علوا كبيرا
		﴿وقال عز وجل في بيان وحدانيته تعالى وتفرده بالايجاد مستدلا على ذلك بمصنوعاته ومخلوقاته﴾
النمل	٦٠	أَمَّنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ءَإِلٰهٌ مَعَ اللهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ٦١ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ءَإِلٰهٌ مَعَ اللهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٦٢ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ءَإِلٰهٌ مَعَ اللهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ٦٣ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ

الآية	السورة	
		﴿ والى تفرده سبحانه وتعالى فى الذات وعدم الشريك والمعين يشير الله تعالى بقوله ﴾
الانبياء	٢٢	لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ

﴿ماتشير اليه هذه الآية الكريمة ﴾

تشير هذه الآية الكريمة الى ابطال تعدد الآلهة وانه لاموجود منها الا واحد وهو الله تعالى بأنه لوكان فى السموات والارض آلهة معبودون غيرالله تعالى لفسدتا وبطلتا بما فيهمامن المخلوقات وخرجتا عن نظامهما المشاهد وهلك من فيهما لوجود التمانع فى الشئ وعدم الاتفاق عليه لان كل أمر صدر عن اثنين فأ كثر لم يجر على النظام ويدل العقل على ذلك وذلك أنا لو قدّرنا وجود الهين فاما أن يتفقا على وجود هذا العالم أو يختلفا فان اتفقا فلا جائز أن يوجداه لانه يلزم عليه اجتماع مؤثرين على أثر واحد وهو محال لاستلزامه أن كلا منهما لم يوجده بانفراده بل بمشاركة الآخر له وعليه فيكون هذان الالهان قد ركبا وجعلا الها واحدا ينسب اليه الايجاد ولاينسب لكل منهما على انفراده لانه جزء الموجد لاموجد مستقل واله العالم انما هو موجده واذا قيل ان الاله هو المجموع المركب منهما كان ذلك باطلا لاستلزامه التركيب وهو محال على الاله الموجد للعالم لان التركيب من صفات الحوادث ولا جائز أن يوجداه مرتبا بأن يوجده أحدهما ثم يوجده الآخر لانه يترتب عليه تحصيل الحاصل وهو محال ولاجائز أن يوجد أحدهما البعض والثانى البعض الآخر للزوم عجزهما حينئذ لانه لما تعلقت قدرة أحدهما بالبعض سدّ على الآخر طريق تعلق قدرته به فلا يقدر على

سورة	آية

جل شأنه هو وحده الذى له الملك يتصرف فيه بما شاء وكيف شاء وهو القاهر فوق عباده بقدرته وسلطانه وهو الحكيم بتدبير خلقه الخبير بما دق من أحوالهم وخفى من أمورهم

الصفة التاسعة الواحدانية

هى عدم التعدد فى الذات والصفات والافعال فالله سبحانه وتعالى واحد فى ذاته أى ليست ذاته مركبة من أجزاء ولا شريك له فى الملك يساهمه ويساويه ولا ضد له فينازعه ويدانيه — وواحد فى صفاته أى ليس له صفتان من جنس واحد وليس لاحد صفة تشبه صفة من صفاته ولا يهولنك اشتراك صفاته تعالى مع صفات غيره فى الاسم فيقال الله موجود كما يقال الانسان موجود وقادر ومريد وسميع وبصير ومتكلم كذلك لان صفاته تعالى قديمة ليست أعراضا بخلاف صفات غيره التى تشاركها فى الاسم فانها أعراض حادثة زائلة وفرق بين القديم والحادث — وواحد فى أفعاله أى ليس لاحد غير الله تعالى فعل من الافعال فالافعال كلها خيرها وشرها مبدعها وخالقها وفاعلها الله وحده بلا شريك ولا معين فهو المنفرد بالخلق والابداع والمستقل بالايجاد والاختراع لارب غيره ولا معبود سواه اذ لو كان له ند يدانيه أو ضد يساويه أو شريك يعينه أو مساعد يعضده لما انتظم لهذا الكون حال بل اتسع فى فساده المجال ولما وجد بعد العدم لانه ان أراد أحدهما أمرا فالثانى ان كان مضطرا الى مساعدته كان هذا الثانى مقهورا عاجزا ولم يكن إلاها قادرا وان كان قادرا على مخالفته ومدافعته كان الثانى قويا قاهرا والاول ضعيفا قاصرا ولم يكن إلاها قادرا والامر فى الاثنين كالامر فى غيرهما

سورة	آية

(مضمون هاتين الآيتين الكريمتين وبيان الغرض منهما)

مضمونهما اثبات كمال قدرته تعالى وأنه هو المتصرف المطلق يتصرف في ملكه بقدرته كيف يشاء فاذا قدر أن يبتليك بمرض أو فاقة فلا يقدر أحد سواه أن يكشف ذلك عنك كما أنه اذا منحك الصحة والعافية والغنى أو غيرها حفظها عليك من غير أن يقدر على دفعها ومنعها عنك أحد سواه فهو الركن الذي عليه الاعتماد والملجأ الذي من التجأ اليه ساد — وفي معنى ذلك يقول صلى الله عليه وسلم لابن عباس وكان غلاما صغيرا (ياغلام احفظ الله تعالى يحفظك احفظ الله تجده أمامك واذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله جف القلم بما هو كائن ولو جهد العباد أن ينفعوك بشيء لم يقضه الله سبحانه وتعالى لم يقدروا عليه ولوجهدوا أن يضروك بشيء لم يقضه الله تعالى عليك لم يقدروا عليه فان استطعت أن تعمل لله تعالى بالصدق في اليقين فاعمل فان لم تستطع فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج من الكرب وأن مع اليسر يسرا)

ومن هذه الآية الكريمة وهذا الحديث الشريف يستبين قبح ما يفعله الجهال والعوام عند زيارتهم قبور الاولياء والصالحين من طلبهم منهم كشف الضر وشفاء المرضى وسعة الرزق وامتداد الآجال وبقاء الاعمار وغير ذلك مما هو أقرب الى الشرك منه الى الايمان فان في ذلك اشراك الغير لله سبحانه وتعالى في طلب مالا يصح طلبه الا منه لان الكل عبيد مسخرون تحت قدرة الله تعالى وسلطنه لا يتصرفون في شيء من الكائنات ولا يعلمون شيأ من المغيبات الا من اصطفاه الله منهم واختاره فانه أطلعه على قليل منه ولكن لا ليشاركه به في التصرف في هذه الكائنات وغاية الامر أن ينال الحظوة لديه وتشريفه على غيره وقربه اليه فانه

سورة	آية	
		(وقال جل شأنه في بيان كمال قدرته بخلقه الانسان من الماء)
الفرقان	٥٤	وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا
		(مايؤخذ من هذه الآية الكريمة)
		يؤخذ منها اثبات كمال قدرته تعالى حيث قدر على أن يخلق من الماء الذى هو النطفة بشرا احساسا ناميا سميعا بصيرا متكلما مدركا شاما ذائقا لامسا عاقلا حكيما يجول فكره في كل شئ ويتصرف في كثير من هذه الكائنات في هذا العالم ذا أعضاء مختلفة وطباع متباينة وجعله قسمين متقابلين ذوى نسب أى ذكورا ينسب اليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر أى إناثا يصاهر بهن فتبارك الخلاق العظيم الذى ينشئ هذا المخلوق العجيب والمصنوع البديع من قطعة ماء قذرة المنظر كريهة الرائحة تشمئز النفس لرؤيتها لو أصابها الهواء لفسدت من ساعتها ان في ذلك لعبرة لأولى الالباب
		(وقال جلت قدرته في بيان كمال قدرته وانه إذا أراد فعل أى شئ لا يمكن غيره أن يعارضه أو يمانعه)
الانعام	١٧	وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٨ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ

آية	سورة	
		ثَجَّاجًا ۞ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا

﴿مضمون هذه الآيات الكريمات و بيان الغرض منها﴾

مضمونها الرد على منكرى البعث باثبات كمال قدرته تعالى وتمام عظمته حيث خلق الارض وجعلها مهادا ليسهل المشى عليها وخلق الجبال وثبت بها الارض كما تثبت الخيام بالاوتاد وخلق الانسان وجعله ذكرا وأنثى وخلق له النوم ليستريح به من عناء ما يكابده من المشقات والمتاعب وخلق الليل وجعله ساترا بظلمته لما لانحب الاطلاع عليه من كثير من الأمور وخلق النهار وجعله وقتا للسعى على معايشنا والتقلب فى حوائجنا ومكاسبنا وخلق السموات السبع مع شدة احكامها ونهاية اتقانها بحيث لايؤثر فيها مرور الزمان ولاتقادم الدهور وخلق فى احداهن الشمس متلألئة مضيئة لنسعى بواسطتها على معايشنا وأرزاقنا وتنضج بحرارتها النبات وأنزل من السحابات التى حان لها أن تمطر ماء منصبا بكثرة فأخرج به ما به حياتنا من القوت كالبر والشعير والفول وغيرها كما أخرج البساتين الملتفة أشجارها على بعضها لكثرتها

أى وحيث خلق الله هذه المخلوقات العجيبة الدالة على كمال قدرته فما وجه انكاركم قدرته تعالى على البعث وماهو الا ايجاد وأثر من آثار قدرته تعالى كهذه الآثار بل هو أهون وأقل كلفة ومؤنة منها لان من المعلوم الثابت المقرر أن من يخترع شيأ ويوجده من غير سبق مثال أصعب بكثير من ايجاده بعد عدمه المسبوق بذلك الايجاد المخترع وهذا بديهى وله نظائر كثيرة فى الشاهد انهم ليقولون قولا عظيما

﴿وقال

آية	سورة

بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

﴿ماترشد اليه هذه الآية الكريمة﴾

ترشد هذه الآية الكريمة الى اثبات قدرته تعالى على أن يبعث الخلق ويحييهم بعد فنائهم ليثيب المطيع على طاعته ويعذب العاصي ان شاء على معصيته وذلك لانه قد ثبت بالدليل القاطع والبرهان الساطع أن الله تعالى هو الذى خلق السموات والارض ولم يعجزه خلقهن فهو قادر على أن يحيي الموتى بالطريق الاولى لان احياءهم بعد موتهم أسهل بكثير من خلق هذين الجرمين العظيمين الكبيرين من غير سبق مثال يحذو على منواله كما قال تعالى (ءأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها) فسبحان من لايقدر قدر قدرته الا هو ولا يحيط بعظمته سواه

﴿وقال تعالى فى اثبات قدرته وكمال عظمته وفيه الرد على من ينكر البعث﴾

٦ النبأ
أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ٧ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ٨ وَخَلَقْنَاكُمْ
أَزْوَاجًا ٩ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ١٠ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ١١
وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ١٢ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ١٣
وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ١٤ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً

سورة	آية	
		من كل جانب على من كذب بآياته وانتهك حرماته فعصى أمره وفعل نهيه ونبذ العمل بما فى كتابه القويم وراءه ظهريا وذلك بأن يرسل عليه من فوقه الصواعق والقذف والحجارة والريح والطوفان ومن تحت أرجله الخسف والرجف والزلازل جزاء بما كسبت يداه نكالا من الله والله عزيز حكيم والطامة الكبرى والبلية العظمى أن يجعلهم مختلفى الكلمة متفرق الاهواء متنازعين متباغضين متفاشلين لا يسعى أحدهم لجلب منفعة لأخيه بل يؤذيه بيده وفيه لا يتوادون ولا يتعاونون بل يتحاسدون ويتباغضون لا تجتمع كلمتهم الاعلى ماتفرقت عليه قلوبهم وحسب التفرق ذما أن صاحبه بعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم والنبى بعيد عنه قال الله تعالى(ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء)وأن نتيجته الفشل والخذلان كما أخبر بذلك الله جل شأنه فى قوله(ولا تنازعوا فتفشلوا) وما كان الله تعالى ليفعل بهم ذلك فقط بل يسلط بعضهم على بعض فيسفك هذا دم ذاك ويغير عليه وينهبه ويسرقه ويأسره ويعذبه وهكذا لا تخلو جميع أحوالهم من المنغصات والمكدرات والمنازعات والمشاكل وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون اللهم وفقنا لطاعتك فهى ملاك الامر وجماع الخير حتى نأمن عذابك واجمع قلوبنا على مافيه نفعنا ونظام حالنا واقامة شؤننا ولا تذق بعضنا بأس بعض انك على كل شئ قدير
		(وقال تعالى فى بيان كمال قدرته وعجز من سواه وفيه الرد على منكرى البعث)
الاحقاف	٣٣	أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ

سورة	آية	
		ومن السفن التي تجرى على الماء ولا ترسب مع ضخامتها محملة بالاثقال وغير محملة لينتفع الناس بها في أمور معاشهم وانتظام أحوالهم ومن انزال الماء من السماء فتنبت به الارض بعد يبسها وتنتشر فيها الدواب بما تأكله من ذلك النبات ومن تصريف الرياح وتقلبها جنوبا وشمالا وشرقا وغربا حارة وباردة ومن الغيم المسخر بين السماء والارض بلا علاقة تمنعه من السقوط ولا ممسك يمسكه يسير حيث شاء الله تعالى (على أنه تعالى قادر أتم القدرة) لا تتناهى قدرته عند حد ولا يدرك مقدار عظمتها أحد فان من نظر في هذه الموجودات المذكورة في الآية نظر تفكر وتبصر واعتبار وجد أن كلا منها مشتمل على وجوه كثيرة الدلالة على كمال قدرته ونهاية عظمته واتصافه بصفات الكمال وتنزهه عن صفات النقصان مما يوجب تخصيص العبادة به وحده دون سواه ولذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها) يريد هذه الآية الشريفة
		﴿ وقال جلت قدرته في بيان كمال قدرته وتمام عظمته ﴾
الانعام	٦٥	قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ
		﴿ مايؤخذ من هذه الآية الكريمة ﴾
		يؤخذ من هذه الآية الكريمة أن الله تعالى قادر على أن يرسل العذاب

سورة	آية	
		وحقارته فضلا عن جمل أو جبل أو فيل أو سماء أو أرض أوغير ذلك لم يقدروا كما أن الذباب المذكور لو أخذ مما عليهم شيأ مما كانوا يلطخونهم به من الطيب والزعفران ونحوهما لم يقدروا كذلك على استرداده منه وهذا بعينه نهاية العجز وغاية الضعف فكل من الطالب وهو الاصنام والمطلوب وهو الذباب ضعيف لايقدر على شئ فكيف يكونون مع ذلك آلهة كما زعموا فعبادتهم اهم مع ذلك ضرب من سخافة العقل وسوء الاختيار وضعف العزيمة
		﴿ وقال جلت قدرته فى بيان كال قدرته بما أودعه فى عالم المخلوقات من أرض وسموات واحياء وانبات وفلك وأفلاك وليل ونهار ورياح وسحاب من العبر والآيات ﴾
البقرة	١٦٤	انَّ فى خَلْقِ السَّموٰاتِ وَالْارْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِى تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللّٰهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَاحْيَى بِهِ الْارْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْارْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
		﴿ المقصود من هذه الآية الكريمة مع بيان معناها ﴾
		المقصود منها الاستدلال بالنظر فى هذه الموجودات المذكورة فى الآية الكريمة من خلق السموات والارض وما فيهما من العجائب والغرائب واختلاف الليل والنهار بالزيادة والنقصان والمجيء والذهاب مع تعاقبهما على ذلك بحالة منتظمة لايتغيران مهما تعاقبت الفصول وتوالت الاعوام

ومن

سورة	آية	
		وهلة أن فاعل ذلك لابد أن يكون قادرا وإذن فهو قادر على البعث بالطريق الأولى كما قال تعالى فى آية أخرى (لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس) وقال تعالى (أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والارض ولم يَعْيَ بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى انه على كل شئ قدير) وقال تعالى (ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذى أحياها لمحيي الموتى انه على كل شئ قدير)
		﴿ وقال جلت قدرته فى اثبات كمال قدرته تعالى وعجز ماسواه وفيه بيان استحقاقه للعبادة دون سواه ﴾
الحج	٧٣	يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ
		﴿ ماترشد اليه هذه الآية الكريمة ﴾
		ترشد هذه الآية الكريمة الى بطلان معتقد هؤلاء الناس الذين جعلوا الاصنام التى يعبدونها من دون الله آلهة تستحق العبادة وتليق بأن يلجأ اليها فى الحاجات وذلك أن الله تعالى يقول لهم ان الاله الحق الذى يستحق العبادة دون سواه هو الكامل فى القدرة مَن اذا شاء فعل لاتدخل قدرته فى تصرفاتها تحت ناموس ولا تتوقف على إعانة معين وليس ذلك الا الله وحده أما هذه الاصنام فليست كذلك لانها لو اجتمعت على أن تخلق هذا الطائر المسمى بالذباب وهو على ماهو معلوم من صغره

آية	سورة

رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ٨ تَبْصِرَةً
وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ٩ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ١٠ وَالنَّخْلَ
بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ١١ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً
مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ

(ما تشير اليه هذه الآيات الكريمات)

تشير هذه الآيات الكريمات الى اثبات كمال القدرة لله تعالى والرد على منكرى البعث بأنهم كيف غفلوا عن النظر الى آثار قدرة الله تعالى فى خلقه السموات مع ماهى عليه من شدة الاتقان والاحكام وتزيينها للناظرين بالكواكب المرتبة على أبدع نظام وسلامتها من كل عيب وخلل وفى خلقه الارض وبسطه لها وما أوجده عليها من الجبال الثوابت لئلا تميد بأهلها وتضطرب وما أنبته فيها من جميع الزروع والثمار والنبات والبساتين الكثيرة الاشجار وحب الزرع الحصيد والنخل الطوال وغير ذلك من المزروعات كل ذلك بواسطة نزول الماء على الارض واحيائها بالانبات فيها بعد أن كانت جدبة قحلة سوداء لاخصب فيها ولانماء أى ومن فعل ذلك كله بقدرته العظيمة وهو أعظم مما تعجبوا مستبعدين لوقوعه فلا بد أن يكون قادرا أتم القدرة وحيث كان ذلك مشاهدا لكم وتعتقدونه وتعلمونه حق العلم فانكاركم البعث بعد ذلك وهو أهون عليه وأقل كلفة ومؤنة مما لا يقول به عاقل ولايجول بفكر حكيم ينظر فى الاشياء نظر متفكر معتبر اذ أى عاقل يتفكر فى هذه المخلوقات وكيف وجدت مع عظمها وصعوبتها فى الخلقة ولايجزم لأول

وهلة

سورة	آية	

وهـذه السموات وما اشتملت عليـه من الكواكب وعجائبها ودورانها فى أفلاكها بهذه الحركات المنتظمة مع اختلافها فى الصغر والكبر وسرعة سيرها فى أفلاكها وبطئها واختلافها فى النور والظلمة فنها مانوره أحمر ومنها مانوره أصفر ومنها مانوره أبيض ومنها غير ذلك ومنها مانوره أصلى كالشمس ومانوره مكتسب كالقمر وبقية السيارات ومنها ما يخلو عن الحرارة ومنها مافيه الحرارة ومنها غير ذلك مما يفوق العد ولا يحيط باسراره أحد كل ذلك مع ترتيبها المخصوص واشتمالها على المنافع حسب مصلحة المخلوقات التى أشار الله تعالى الى بعضها بقوله (الله الذى خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقالكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار) وقوله تعالى (الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون) وقوله جل شأنه (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا)

فلا جرم أن من أوجد هذه الموجودات المتقدمة وأحكمها وأبدع ايجادها على غاية الاحكام والاتقان يكون قادرا أتم القدرة لاتدخل أعمال قدرته تحت تصور بشر أو احاطة فكر

﴿ولبيان آثار قدرته تعالى فى مخلوقاته أشار بقوله﴾

ق ٦ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا
وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ٧ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا

سورة	آية

وفاكهة وأباً متاعاً لكم ولأنعامكم) والآيات فى بيان ما اشتمل عليه من الغرائب والعجائب لاتكاد تحصى - بينما نرى بذوره حبوبا يابسة عديمة النمو والحياة اذ نراها دخلت فى تركيب النباتات فانقلبت جسما ناميا متغذيا مكتسبا خواص لم تكن له من قبل ثم ننظر فى ذلك الجسم النباتى فنراه من جهة عديم الارادة فاقد الادراك أشبه شئ بالجماد وننظر اليه من جهة أخرى فنراه قد امتد بعروقه فى بطن الارض لتناول الغذاء ولا تسأل عن اختلاف أشكاله وأشكال أوراقه وأثماره وبذوره وروائحه وطعومه وألوانه ومنافعه ومضاره ومع اشتراك أنواعه فى الخضرة لا تكاد تجد خضرة نوع تشبه خضرة نوع آخر وأزهاره أكثر اختلافا وأوفر تباينا فمنها الاصفر والاحمر والازرق والابيض والاخضر والمطرز بأنواع النقوش الى غير ذلك مما يفوق الحصر كل ذلك مع اتحادها فى أنها تسقى بماء واحد وتتغذى بتربة واحدة وتمتص ما يلزمها من هواء واحد فسبحان الحكيم الخبير القادر العليم

وهذه الارض وما اشتملت عليه من بحر وما فيه من الاسماك على اختلاف أجناسها وأنواعها وصنوفها وما فيه من العذوبة والملوحة والامواج التى كالجبال والحلى التى تستخرج منه ومن عجائبه المد والجزر - وبر وما فيه من الجبال والاودية والكهوف والسهول والمعادن والحيوانات والنباتات - وقد أشار الله تعالى الى ما اشتملت عليه من الغرائب والعجائب من باهر القدرة وعظيم الحكمة فقال (هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور) وقال جل شأنه (الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون)

وهذه

سورة	آية	

مايمشى على بطنه ومنه ماينناول غذاءه بيديه وما يتناوله بفمه وما يتناوله بمنقاره وما يتناوله بأنفه كالفيل وما يتناوله بلسانه كالحرباء حيث تمد لسانها لتلتقط به الذباب من الهواء ومنه ما يُرضع أولاده بثدييه أوأثديته التى تكون على عدد أولاده غالبا ومنه مايزق أولاده زقا كالحمام ومنه ما يسعى بأولاده ويدلها على أقواتها كالدجاج ومنه مايلد الواحد ومنه مايلد الكثير ومنه ما هو مكسو بالريش ومنه ما هو مكسو بالصوف أو بالشعر أو بالوبر أو بالعظم كالسلحفاة ومنه ماليس عليه الا الجلد والبشرة ومنه طويل اليدين قصير الرجلين كالزرافة ومنه بالعكس كالأرنب ومنه قصير العنق ومنه طويله ومنه ذو العينين ومنه ذو العيون كبعض العناكب ومنه مستطيل الاذنين ومنه قصيرهما ومنه ذو الحافر ومنه ذو الظلف وذو الخف وذو القدم ومنه غير ذلك ثم ما فى الحيوان من التركيب وتكون الاعضاء والحواس الظاهرة والباطنة ووظيفة كل عضو منها واختلاف أبنيتها ودقائق صنعها وانطوائها على الفوائد الجمة والمصالح التى بنيت على الحكمة مامعه تنبهر العقول وتحير الافهام فسبحانه من اله قادر عالم بما صار وما هو صائر

وهذا النبات الذى اشتمل على الغرائب والعجائب وحير الالباب بما أودع فيه من النظام المحكم والاسرار والحكم حتى جعله الله آية لمن يعقل وتبصرة لمن يتدبر ويتفكر قال الله تعالى (وفى الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) وقال جل شأنه (فلينظر الانسان الى طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا

سورة	آية

الدعائم والاركان مبنيا على قواعد هندسية وأعمال نظامية فى غاية الضبط ونهاية الاحكام لجزمت عند رؤيتك له أن الصانع له رجل بصير بالبناية ذو قدرة كافية لصنعه وذو علم كاف لاتقانه واحكامه ولو قلت ان الذى صنع هذا البيت رجل أعمى أصم مقطوع اليدين والرجلين عاجز أبتر لايدرى شيأ من علم الهندسة ولا فن العمارة لقوبلت بالتكذيب وشدة النكير وجردت من العقل وانخرطت فى سلك أهل الغباوة والجهل

وانى لأذكر لك طرفا من هذه المبدعات المتناهية فى الاحكام والاتقان مما يكون لك أوضح دليل وأقوى برهان على أن عظمته تعالى وعظمة قدرته لاتحد ولاتدركها العقول ولاتحيط بها الافكار وكل عمل بعدها مهما بلغ من العظمة وتسامى فى الدقة وتعالى فى الاحكام فهو فى جنب عظمة الله تعالى وكمال قدرته حقير هين واضح بين سبحانه ماأعظم شأنه وما أكمل سلطانه بيده الخير والتدبير وهو على كل شئ قدير

هذا الحيوان الذى بلغ فى الصنع أعلى منازل الغرابة وأسمى درجات الاحكام حتى ضرب الله به الامثال فى كتابه العزيز فقال (فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب) وقال جل شأنه (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) وقال تبارك اسمه (وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين) الى غير ذلك من الآيات التى لاتكاد تحصى ولا يمكن أن تستقصى ولاتسأل عن اختلافه واختلاف أنواعه وأصنافه فمنه الكبير والصغير ومنه مايعيش فى الهواء ومايعيش فى الماء وما يعيش على سطح الارض وما يعيش فى اثنين من ذلك ومنه ما يمشى على قدميه ويداه آلتان لأعماله وتناول غذائه كالانسان أو هما جناحان يسبح بهما فى الهواء ومنه مايمشى على أربع ومنه

ما يمشى

سورة	آية	
		﴿ وقال تبارك اسمه فى بيان أنه اذا تعلقت ارادته تعالى باهلاك قوم سلط عليهم أنفسهم بالفسق ومخالفته تعالى فيما أمر به ونهى عنه ﴾
الاسراء	١٦	وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا
		﴿ ماترشد اليه هذه الآية الكريمة ﴾
		ترشد هذه الآية الكريمة الى بيان أن التنعم والرفاهية الخارجين عن حد الاعتدال مجلبة لمعاصى الله تعالى وأكبر وسائل الفسوق والعصيان فالله سبحانه وتعالى اذا اقتضت ارادته العلية وحكمته الالهية المبنية على العدل وعدم الجور إهلاك قوم أرسل اليهم رسله أولا لينذروهم ويخوفوهم فاذا كذب مترفوهم المتنعمون فيهم وهم الرؤساء ففسقوا وخرجوا عن طاعة الله تعالى ولم يمتثلوا ما أمروا به من هؤلاء الرسل أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر فأهلكهم عن آخرهم وما كان لهم من الله من واق
		الصفة الثامنة القدرة
		هى صفة قديمة يوجد الله بها مايشاء أن يوجده ويعدم بها ماشاء أن يعدمه وفق ارادته وذلك لانه قد تواطأت العقول وتواترت النقول على أن الذى أبدع هذا العالم وأبرزه من العدم الى الوجود ونوّعه الى هذه التنوعات العجيبة الغريبة من سماويات وأرضيات جمادية ونباتية وحيوانية كل ذلك مع نهاية الاحكام والاتقان هو الله تعالى وحده لاسواه ولا يكون مع ذلك الاقادرا اذ لو رأيت بيتا محكم البنيان مشيد

سورة	آية	
		القاطعة والادلة الساطعة تأبى التبعض والانفصال لاستلزامهما التركيب الذى هو من شأن الحوادث وكذا المماثلة لاستلزامها الحدوث والله تعالى منزه عنه وكذا وصف القاهرية ينافى اتخاذ الولد لأنها تقتضى الغنى المطلق وهو يستلزم الاحتياج وهما متباينان تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا
		﴿ وقال جل شأنه فى بيان أن الهداية والضلال انما هما بمحض ارادته ومشيئته ﴾
الانعام	١٢٥	فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ
		﴿ مضمون هذه الآية الكريمة وبيان الغرض منها ﴾
		مضمونها أن الاستعداد للهداية وقبولها وللضلال والجمود فيه انما يرجع الى ماوضعه الله فى غرائز الاشخاص فالاول يشرح صدره للاسلام والثانى يضيق صدره ويحرجه حتى اذا أراد أن يمد عنقه اليه فكأنما يصعد فى السماء ولا يجد السبيل — وليس المراد أن المرء مجبور فى ذلك ولكن ان مايكون منه انما هو جبلىٌّ راجع الى أمور فى أصل الخلقة أوفيما طرأ عليها ولا شئ من ذلك بغالب لارادة الله بل هو مردود الى ماأراده فى وضع سنن الكون فلا يظن الضالُّ أنه مرغم له فى ضلاله أو معجز له فى غلوائه

﴿ وقال

سورة	آية	
		الكيفية وكونه مما علمت من الاعضاء لابد أن يكون فاعلا مختارا قادرا على مايشاء مبدعا لما يريد لا يدخل اختياره تحت ناموس يحكم عليه ولا يتوقف فى عمله على مشورة غيره حتى يصدر عنه بل هو الفاعل المختار يصور مايشاء ويحكم مايريد لااله الا هو لا شريك له وله العزة التى لاترام والحكمة والاحكام
		(وقال سبحانه وتعالى فى بيان تنزيهه عن الولد وكمال اختياره)
الزمر	٤	لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ
		(المقصود من هذه الآية الكريمة)
		المقصود منها الرد على جهلة المشركين فيما زعموه فى الملائكة من أنهم بنات الله تعالى وعلى المعاندين من اليهود والنصارى فى العزير وعيسى من أنهما ابنان لله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وحاصل الرد أن الله تعالى جل شأنه لو أراد أن يتخذ ولدا لكان الامر على خلاف مايزعمون ولم يتأت اتخاذه ذلك حقيقة ولم يتأت الا بأن يختار من جملة خلقه مايشاء أن يختاره اذلا موجود سواه الاوهو مخلوق له ولايصح أن يكون المخلوق ولدا للخالق لعدم المجانسة بينهما فلم يبق الا أن يصطفيه عبدا وقد فعل ذلك بالملائكة وعيسى والعزير عليهم السلام واختارهم عبيداله فافتتنتم وغركم اختياره تعالى لهم فزعمتم أنهم أولاده جهلا منكم به وبحقيقته المخالفة للاجسام والاعراض ثم أخذ الله تعالى يقرر الدليل على استحالة اتخاذه الولد بأنه هو الله الواحد القهار وذلك لأن اتخاذ الولد يقتضى تبعضا وانفصال شئ من شئ ومماثلة بين الولد والوالد والوحدة الذاتية الثابتة له تعالى بالبراهين

سورة	آية

ماترشد اليه هذه الآية الكريمة

ترشد هذه الآية الكريمة الى كمال قدرة الله تعالى وقوة اقتداره على تصوير الانسان فى ظلمات الارحام صورا مختلفة فى الشكل والطبع واللون والذكورة والانوثة والحسن والقبح والسواد والبياض والطول والقصر كل ذلك بمحض ارادته وبمقتضى مشيئته وكيفية ذلك والله أعلم كما جاءت به الأخبار الصحيحة أن النطفة اذا وقعت فى الارحام طارت فى الجسد أربعين يوما ثم تكون علقة أربعين يوما ثم تكون مضغة أربعين يوما فاذا بلغ أن يخلق بعث الله ملكا يصورها فيأتى الملك بتراب بين اصبعيه فيخلط منه المضغة ثم يعجنه بها ثم يصورها كما يؤمر فيقول أذكر أم أنثى أشقى أم سعيد وما رزقه وما عمره وما أثره وما مصائبه فيقول الله ويكتب الملك فاذا مات ذلك الجسد دفن حيث أخذ ذلك التراب وقد أشار الله تعالى الى بيان هذه الكيفية بقوله (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) وذلك الخلق الآخر أن يكون حيوانا حساساناميا سميعا بصيرا مدركا شاما ذائقا لامسا هذا ولونظرت الى كيفية تركيبه وتكوّن أعضائه ووظيفة كل عضومنها وماشتمل عليه جسمه من المخ والمخيخ والمجموع العصبى والقلب والرئتين والكبد والطحال والكليتين والمعدة والامعاء والاوردة والشرايين والاوتار والعضلات والغدد والغضاريف والعظام والانسجة والسوائل من دم وصفراء ولعاب وعصارة المعدة والامعاء وعرفت أبنية هذه المذكورات ووظائفها وحركاتها وأعمالها فى الجسد من الهضم والتغذية والتنفس والافراز ونظرت الى أعضاء التناسل وأعمالها واتقانها وكيفية التوالد والتدابير التى هيئت لحصوله ولحفظ الولد ونموّه وتغذيته لرأيت مايدهش الالباب ويرشد كل عاقل لبيب الى أن الذى صوّر الانسان فى الرحم بهذه

سورة	آية	
		(ماترشد اليه هذه الآية الكريمة)
		ترشد الى اثبات الاختيار له تعالى فى جميع أفعاله فكل موجود انما وجد باختياره وارادته اذ هو العليم بوجوه الحكمة فى هذه الموجودات فليس لأحد من خلقه أن يختار عليه لانه جاهل بوجوه الحكمة والصواب فيما يختاره أى وربك يخلق مايشاء خلقه وهو سبحانه وتعالى وحده دون غيره ينتقى ويصطفى من خلقه مايشاء انتقاءه واصطفاءه فيصطفى مما يخلقه أنبياء ومقربين ويختارهم للزلفى عنده ويميز بعض مخلوقاته عن بعض ويفضله عليه بماشاء فليس لهؤلاء المشركين أن ينتقوا ويصطفوا ماشاؤا ويميزوا بعض مخلوقاته على بعض ويجعلوه مقدما عنده عز وجل على غيره لأن ذلك يستدعى الخبرة ببواطن الاشياء ووجوه الحكمة والصواب فيها والقدرة الكاملة وعدم كون فاعله مجبورا عليه أصلا وهم ليسوا كذلك فليس لهم الاتباع اصطفاء الله تعالى وهو جل شأنه لم يصطف شركاءهم الذين اصطفوهم للعبادة والشفاعة على الوجه الذى اصطفوهم عليه فما هم الا جهال ضلال صدوا عما يلزمهم وتعرضوا لما ليس لهم بحال من الاحوال تنزه الله عن إشراكهم واختيارهم عليه مالا يختار وتعالى علوا كبيرا
		(وقال جلت قدرته فى بيان أن خلقه الانسان وتصويره فى الرحم على صور متنوعة وأشكال متباينة انما هو بمحض ارادته ومشيئته)
آل عمران	٦	هُوَ الَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

سورة	آية	
		كله وله الخلق والامر واليه ترجع العباد يوم المعاد فيجازى كل عامل بعمله وهو العدل المنعم المتفضل
		﴿وقال تعالى فى بيان أنه فاعل مختار يفعل مايشاء أن يفعله بمقتضى ارادته ومشيئته﴾
شورى	٤٩	لِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ۝٥٠ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ
		﴿ما يستفاد من هاتين الآيتين الكريمتين﴾
		يستفاد منهما أن ملك السموات والارض له تعالى من غير منازع ولا مشارك يتصرف فيه كيف شاء بما شاء بمقتضى ارادته ومشيئته فيهب لعباده من الاولاد ما تقتضيه مشيئته فيخص بعضا بالاناث و بعضا بالذكور وبعضا بالصنفين جميعا ويعقم آخرين فلا يهب لهم ولدا لا ذكرا ولا أنثى ولابد أن يكون هذا التصرف على وجه لا يتصوّر أكمل منه ولا أوفق لمقتضى الحكمة والصواب منه رضى بذلك الموهوب له أم سخط لانه جل شأنه منزه عن الغرض عليم بالمصلحة قدير على مايشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون
		﴿وقال تعالت آلاؤه فى بيان أنه فاعل مختار﴾
القصص	٦٨	وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ

سورة	آية	
		الحكيم يفعل عند تصرفه فيما يملك فانه يحل كل شئ فى محله ويضعه فى موضعه الذى يجب أن يوضع فيه ومن حكمته البالغة حد النهاية أنه جل شأنه منح الغنى للغنىّ وأودع فى قلبه الخوف من الفقير لئلا يزعجه ذلك ويمنعه من ظلمه وسلب حقوقه والتعدى عليه ومنح الفقر للفقير وأودع فى قلبه الخوف من الغنىّ ليحمله ذلك على معاونته ومساعدته ومشاركته فى أعماله ولولا ذلك لهلك الفقير بظلم الغنى له وهلك الغنىّ بعدم مساعدة الفقير له لانه لا يمكنه أن يعمل كل مايحتاجه ويستلزمه غناه بانفراده وهو مالا يقصده الحكيم من عمله فسبحانه من حكيم خبير مدبر بصير
		﴿وقال جل ثناؤه فى بيان كمال ارادته وعظيم قدرته﴾
يس	٨٢	إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
		﴿ما تشير اليه هذه الآية الكريمة﴾
		تشير الى اثبات ارادته تعالى وكمال قدرته لان شأنه تعالى فى الايجاد اذا أراد ايجاد أىّ شئ من الاشياء فانما يقول له كن موجودا فيوجد من غير توقف على استعمال آلة أو مايتبع ذلك من المشقة والتعب وغير ذلك مما هو ضرورى للانسان اذا أراد عمل شئ من الاشياء بل يُفعل ذلك الامر كما يُفعل الامر من المأمور المطيع اذا ورد عليه أمر الآمر المطاع اذ هو تعالى المالك لكل شئ والمتصرف فيه بمقتضى مشيئته وعلى سنن حكمته فلا يعجزه ايجاد شئ وافق ارادته واقتضته مشيئته فسبحان من بيده ملك كل شئ يتصرف فيه كيف شاء واليه يرجع الامر

سورة	اية	
		وارائه الاكمه والابرص وتارة يكون بلا توسط شئ من المخلوقات ككثير من المخلوقات فيجب أن ينسب خلق ذلك كله اليه تعالى لا الى من أجرى على يديه ذلك لانه تعالى هو الموجد له فى الحقيقة وهو على كل شئ قدير
		﴿ وقال تعالى فى بيان أنه حكيم فى صنعه يفعل بحكمته واختياره ماتقتضيه ارادته ومشيئته حسبما تقضى به المصلحة ﴾
شورى	٢٧	وَلَوْ بَسَطَ اللّٰهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِى الْاَرْضِ وَلٰكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ اِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ
		﴿ ماتشير اليه هذه الآية الكريمة ﴾
		تشير هذه الآية الكريمة الى الحكمة البالغة والتدبيرات السامية فى كيفية توزيع الله تعالى الرزق على عباده حيث كان فيه نظام العالم على أحسن وجه وأكمله وذلك لانه تعالى قد أحاط بكل شئ علما فعلم أنه لو أعطى خلقه فوق حاجتهم من الرزق لحملهم ذلك على البغى والطغيان من بعضهم على بعض أشرا وبطرا كما أنه لو أفقرهم كلهم وأعطاهم من الرزق دون حاجتهم لكان الضعف سائدا والهلاك لازما فاقتضت حكمته تعالى بمحض ارادته واختياره أن ينزل عليهم الرزق بقدر لاهو فوق الحاجة فيطغيهم ولا هو دونها فيضعفهم ويذلهم فرزقهم من الرزق مايختاره مما فيه صلاحهم وهو أعلم بذلك فأغنى من يستحق الغنى بعمله فى أسبابه وأفقر من يستحق الفقر بكسله فى طلبه أو جهله بطرقه أو سلبه مابيده لعدم قيامه على تدبيره أو تسليط بعض الجوائح عليه فيبتليه فى صبره أو نحو ذلك مما يعلمه ولانعلمه وهكذا

آية	سورة

ويعدمه لم يكن هنالك من يدفع عنه ذلك والاله لايصح أن يتعلق به ولا بشأن من شؤنه قدرة غيره فضلا عن أن يعجز عن دفع شئ منه عند تعلقها بهلاكه وحيث كان عجزه بينا ظاهرا لاريب فيه ظهر كونه بمعزل عما يقولون فيه وليس المسيح فقط هو الذى لايملك أن يدفع عن نفسه الهلاك اذا أريد به بل أمه كذلك ومن فى الارض جميعا لان الكل تحت قهره تعالى وسلطانه بما له من التصرف المطلق فى السموات وما فيها من الافلاك والاملاك وغيرهما والارض وما اشتملت عليه من الجبال والاودية والوعور والسهول والآكام والتلال والهضاب والبطاح والآجام والحدائق المختلفة الاشجار المتباينة الثمار وغير ذلك من النباتات والحيوانات والبحر وما فيه من الاسماك والحيوانات وأنواع الحلى وما بينهما من الجو وما اشتمل عليه من الهواء والسحاب والرياح والزوابع والاعاصير

وحيث كان الكل تحت قهره تعالى بما فيهم عيسى عليه السلام يتصرف فيهم كيف شاء ايجادا واعداما وإحياء وإماتة فهو الله وحده دون سواه

ولازالة ما اعتراهم من الشبهة فى أمر المسيح عليه السلام حيث ولد من غير أب وخلق الطير وأبرأ الاكمه والابرص وأحيا الموتى قال الله تعالى (يخلق ما يشاء) أى يخلق الله أى خلق يشاؤه فتارة يخلق من غير أصل كخلق السموات والارض مثلا وتارة أخرى يخلق من أصل كخلق الانسان وهو فى خلقه متنوع فتارة يخلقه من أصل ليس من جنسه كخلق آدم عليه السلام من التراب وتارة من أصل يجانسه إما من ذكر وحده كخلق حواء أو من أنثى وحدها كخلق عيسى عليه السلام أو من ذكر وأنثى كخلق سائر الناس ثم هذا الخلق تارة يكون بتوسط مخلوق آخر كخلق الطير على يد عيسى عليه السلام معجزة له

سورة	آية	
		تشير هذه الآية الكريمة الى أنه تعالى صاحب الملك الحقيقى المتصرف فيه بما شاء وكيف شاء ايجادا واعداما احياء وإماتة وتعذيبا وإثابة من غير منازع ولا ممانع فيعطى الملك من يشاء أن يعطيه اياه وينزعه ممن يشاء أن ينزعه منه ويعز من يشاء أن يعزه ويذل من يشاء أن يذله كل ذلك بمحض ارادته واختياره ومشيئته من غير ممانعة من الغير ولا منازعة لأنه تعالى هو القاهر فوق عباده بقدرته وسلطانه لا يقدر أحد منهم أن يعارضه أو يمانعه بيده الخير يتصرف فيه وحده حسب مشيئته لا يتصرف فيه أحد غيره ولا يملكه أحد سواه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون
		﴿ وقال تبارك اسمه فى بيان أنه تعالى فاعل مختار يتصرف بقدرته البالغة حد النهاية ماشاء كيف شاء ﴾
المائدة	١٩	لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا اِنَّ اللّٰهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللّٰهِ شَيْأً اِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِى الْاَرْضِ جَمِيعًا وَلِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللّٰهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
		﴿ المقصود من هذه الآية الكريمة ﴾
		المقصود منها الرد على من كفر بالله تعالى وادعى أن المسيح وهو عبد من عباد الله تعالى وخلق من خلقه هو الله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وذلك بأن الله جلت قدرته لو أراد أن يهلك المسيح ابن مريم

ويهلك أمه

سورة	آ :

الصفة السابعة الارادة

هى صفة قديمة تخصص الممكن بالوجود أو بالعدم وبالطول أو القصر وبالحسن أو القبح و بالعلم أو الجهل الى غير ذلك من الشؤن والاحوال وذلك لان كل فعل صدر من الله سبحانه يمكن أن يصدر عنه ضده وما لاضد له من الافعال فيمكن أن يصدر منه ذلك الفعل بعينه قبل الوقت الذى وجد فيه أو بعده والقدرة فى ايجادها تناسب الضدين والوقتين مناسبة واحدة فاذن لابد من ارادة صارفة للقدرة الى أحد المقدورين فتخصص وجود هذا مثلا دون ضده وهذا فى الوقت الذى وجد فيه لافى الذى قبله ولا فى الذى بعده فهو المبدئ المعيد والفعال لما يريد فلا موجود الاوهو مستند لمشيئته وصادر عن ارادته

وما فى هذه المخلوقات من النباتات والحيوانات والارض والسموات ما يحير الافكار ويشهد بأن مبدعها فاعل مختار لايحكم عليه ناموس ولا تدخل قدرته تحت تحديد ينبئ عن الاضطرار وعدم الاختيار لانه هو الذى قرر النواميس وحدد السنن

﴿ وقد قال جل ذكره فى بيان أنه تعالى مالك الملك يتصرف فى ملكه كيف يشاء وفق ماأراد وقدر ﴾

آل عمران ٢٦ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

﴿ ما تشير اليه هذه الآية الكريمة ﴾

سورة	آية	
		تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ" عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ " سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ
		﴿ ما ترشد اليه هذه الآيات الكريمات ﴾
		ترشد هذه الآيات الكريمات الى اثبات تمام علمه وإحاطته بما تحمله الحوامل من كل إناث الحيوانات من علقة أو مضغة ذكر أو أنثى صبيح أو قبيح سعيد أو شقى طويل أو قصير تام أو ناقص وما تنقصه الارحام من الحمل وما تزيده سواء كان ذلك النقص والزيادة فى الخلقة كنقص اصبع أو زيادتها أو فى مدة الحمل كالمولود فى أقل مدة الحمل والمولود فى أكثرها والمولود فيما بينهما فان الله سبحانه وتعالى يعلم ذلك حق العلم لا يخفى عليه منه شئ ولا من أوقاته وأحواله ومع ذلك فلا يوجد الا بالقدر الذى حدده له فى سابق مشيئته فلا يتجاوزه ولا ينقص عنه وهكذا كل شئ - فهو سبحانه وتعالى العالم بكل شئ سواء الغائب عن الحس والمشاهد لنا فان الكل بالنسبة له تعالى سواء وهو الكبير الذى كل شئ بالاضافة له صغير المستعلى على كل شئ فى ذاته وعلمه وسائر صفاته المستوى عنده الاسرار بالقول والجهر به والمختفى بظلمة الليل والظاهر بالنهار فان علمه تعالى شامل لذلك شمول إحاطة ومن كانت هذه حاله من العلم فتجب مراقبته تمام المراقبة لا يعصى له أمر ولا تنتهك له حرمة ولا يخفر له عهد ولا ذمة وفقنا الله لمراقبته وهدانا الى متابعته

سورة	آية	

يؤخذ من هذه الآيات الكريمات اثبات أنه تعالى عالم بكل ما فى السموات وما فى الارض وبكل شئ لا يعزب عن علمه مثقال ذرة بل ولا أصغر من ذلك ولا أكبر مع تجهيل من ادّعوا الايمان ومنّوا به على النبى صلى الله عليه وسلم وماهم بمؤمنين أى وحيث كان الله عالما بذلك فهو عالم بسرهم وعلانيتهم فكيف يخفى عليه سبحانه ما فى ضمائرهم من اخفاء الكفر عند اظهارهم الايمان وعلى فرض أنهم مؤمنون حقا فليس لهم أن يعدّوا ايمانهم هذا منة عليه صلى الله عليه وسلم فان الايمان هو المنة التى لا يطلب موليها ثوابا لمن أنعم بها عليه ولذا رد عليهم صلى الله عليه وسلم بقوله (بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للايمان) أى أرشدكم اليه وبين لكم طريقه على أن فائدة الايمان وثمرته انما عادت عليهم لا عليه صلى الله عليه وسلم فكيف يمنون به عليه ثم كرر جل شأنه الاخبار بعلمه بجميع الكائنات وبصره باعمال المخلوقات فقال (ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون) أى يعلم ما غاب فيهما لا يخفى عليه منه شئ وهو بصير بما يعملونه فيجازيهم على الخير خيرا وعلى الشر شرا

وفى رده صلى الله عليه وسلم عليهم بقوله (بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للايمان) من الادب فى حق الله تعالى مالا يخفى حيث أسند الهداية اليه تعالى وكان مقتضى محاورتهم له أن يقول لهم بل لى المنة عليكم أن هديتكم للايمان ويكون لو قال ذلك صادقا ولكنه الادب صدر من معدنه فليس بمستغرب

﴿وقال جل شأنه فى اثبات علمه تعالى بالغائب والحاضر والخفى والظاهر﴾

| الرعد | ٩ | اللهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا |

سورة	آية	
		تدرى نفس ما ذا تكسب غـدا وما تدرى نفس بأى أرض تمـوت ان الله عليم خبير) مع إحاطة علمه تعالى بالمغيبات غير هذه الخمسة وجميع المشاهـدات والمحسـوسات من كل ما فى البر والبحر من الموجودات لا يخفى عليـه من ذلك شئ ولا مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء وما أحسن ما قيل فلا يخفى عليه الذر إمّا * تراءى للنواظر أو توارى فهـو جـل شأنه يعـلم الاشـياء مجملة ومفصـلة على اختلاف أنواعها وأجناسها وتكاثر أفرادها بل لا تسـقط ورقـة من أى شجرة كانت ولا توجـد حبـة صغيرة فى ظلمات الارض و بطونها التى يخفى فيها أكبر الاجسام لاتساعها وعظمها بل ولا أى شئ رطب ولا أى شئ يابس إلا وعـلم الله تعالى محيط به لا يخرج عن دائرته فسبحانه من إله علـيم حكيم خبير
		﴿ وقال تعالى فى اثبات إحاطة علمه تعالى بما فى السموات وما فى الارض وبكل شئ ﴾
الحجرات	١٦	قُـلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْـلَمُ مَافِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ١٧ يَمُنُّـونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُـلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْـلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُـنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ١٨ إِنَّ اللَّهَ يَعْـلَمُ غَيْبَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِـيرٌ بِمَـا تَعْمَلُونَ
		﴿ ما يؤخذ من هذه الآيات الكريمات ﴾

يؤخذ

آية	سورة

كبحها ذللها بمطالبتها أولا بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به طول نهاره وليله وهكذا عن نظره بل عن خواطره وأفكاره وقيامه وقعوده وأكله وشربه ونومه حتى عن سكوته أنه لم سكت وعن سكونه لم سكن فاذا عرفها ذلك حق المعرفة وحاسبها عليه حق الحساب قارن بينه وبين ما تتمدح به وتفتخر من قليل العمل وضئيل الفضل فانها عند ذلك لابد أن تخضع وتذل وتستسلم ولاتغتر بواجب قضته ولا بعمل أدته فيسلم من الزهو والغرور والعجب التي هي منشأ الاخلاق الفاسدة وأصل كل مصيبة للانسان .

ومع ذلك فالمذموم من هذه التزكية ما كان الغرض منه الرياء والسمعة أما التمتع بالمحمدة والكرامة عند الناس اذا عمل عملا مفيدا ينفع عامتهم وخاصتهم فهذا لابأس به والله الموفق ومنه الرشد والسداد

﴿ وقال تبارك اسمه فى بيان إحاطة علمه تعالى بكل شئ حتى بالورقة تسقط من شجرتها والحبة فى ظلمات الارض ﴾

٥٩ الانعام وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ

﴿ ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة ﴾

ترشد هذه الآية الكريمة الى اختصاص علمه تعالى بمفاتح الغيب وهن خمس بينها صلى الله عليه وسلم فى قوله (مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام وما

سورة	آية	
النجم	٣٢	هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى

(ماترشد اليه هذه الآية الكريمة)

ترشد هذه الآية الكريمة الى أنه تعالى عالم بجميع الموجودات ومحيط بكل المخلوقات لايعزب عن علمه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السموات حتى بالانسان فى أصل تكونه من النطفة المتكونة من الدم المستخلص من الغذاء الناشئ من الارض وبعد تكونه من تلك النطفة وصيرورته جنينا فى بطن أمه وما يحصل له فيها من التقلبات والتغيرات والاحوال والتغذية والنمو الى غير ذلك كل ذلك مع ماهى عليه من الظلمة الحالكة والخفاء الشديد وحيث كان الله تعالى عالما بالانسان قبل نشئه وبعد نشئه بجميع أحواله وأطواره فهو عالم أيضا بموارد أفعاله سواء كانت خيرية أو شرية لانها لم تخرج عن كونها فعلا من أفعال الله تعالى التى خلقها وأجراها على يد من شاء اجراءها على يديه من بنى الانسان فلا يسوغ حينئذ لعاقل أن يزكى نفسه ويمدحها ويثنى عليها بطهارة الاعمال وزيادة الفضل بل يجتهد فى محاسبة نفسه ومناقشتها فى الاعمال حتى لايدع للغرور مجالا ثم يكل العلم بخلوصه من شوائب الرياء والباطل الى الله ويفوض الامر فيه اليه تعالى الخبير الحكيم لانه لايدرى الحقيقة ولعل نفسه تلبس له القبيح فى صورة المليح لتغره لانها أعدى الاعداء اليه بمصداق قوله عليه الصلاة والسلام (أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك) وقد خلقت أمارة بالسوء ميالة الى الشر فرارة من الخير فلا يكلها وما تحب ولا يغتر بزخرفها ولا ينظر الى ما تحسنه له من الاعمال بحسب الظاهر وان جمحت منه وتعاصت ولم يقدر على

كبحها

سورة	آية	

تشير هذه الآية الكريمة الى أنه تعالى يعلم مافى السموات وما فى الارض من الموجودات وأنه تعالى واسع العلم كثير الاطلاع حتى بلغ من سعة علمه و إحاطته أنه لا يتناجى ثلاثة أشخاص ولا يتسارّون بأى كلام كان الا وهو سبحانه وتعالى مطلع عليهم وعالم بما يقولونه وكذا لوكانوا خمسة فانه تعالى يعلم مايسرون به وما يخفون وليس هذا العدد بشرط بل لو كان المتسارّون أقل من هذا العدد أو أكثر منه فان الله سبحانه وتعالى معهم بعلمه يعلم مايجرى بينهم مهما أجهدوا أنفسهم فى إخفاء المكان الذى يتسارّون فيه ولو أغلقوا على أنفسهم مائة باب بل ولو كانوا فى بطن الارض لان علمه تعالى بالاشياء ليس بقرب مكانى حتى يتفاوت باختلاف الامكنة قربا وبعدا ومع ذلك فلا يتركهم سُدًى بل لابد أن ينبئهم بما عملوه يوم القيامة

ومن الآية الكريمة يؤخذ دوام مراقبة الانسان جانب الله تعالى فى حركاته وسكناته فلا يصدر منه قبيح ولايقع منه منكر وليحذر أن يفعل مايراه الله فيه حيث نهاه واذا حدثته نفسه الخبيثة بفعل منكر وهمت به فليعرض عليها قوله تعالى (هو معهم أينما كانوا) فانه ترتعد فرائصه حينئذ و يعرق جبينه خجلا ويستحى أن يفعل مايغضب الله عليه ان كان فى قلبه ذرة من الايمان فان عرض عليها ذلك ولم تنزجر وأبت الا المجاهرة بالقبيح والتعرض لغضب الله تعالى فليعلم أنه من الذين حقت عليهم الضلالة و باؤا بغضب من الله وانهم فى الآخرة عذاب عظيم وفقنا الله لمراقبته وأرشدنا الى متابعته انه سميع الدعاء واسع العطاء

(وقال جل ذكره فى بيان علمه بالانسان فى حال كونه جنينا فى بطن أمه وفى حال نشئه من الارض مع تحذيره من مدح نفسه بما لا يستحق)

سورة	آية	
		هو تحذير الخاطئين عما يرتكبونه من عدم مراقبتهم لجانب الله تعالى فى أقوالهم وأفعالهم واسرارهم واضمارهم بأنه تعالى عالم بموارد الافعال والاقوال فلا تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة (إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الارض يأت بها الله) وبلغ من كمال علمه تعالى أن يستوى عنده الاسرار والاجهار وأن يعلم ما بالقلوب فلا يخفى عليه سر من أسرارها ومن كانت حالة علمه بالاشياء هكذا فتجب مراقبته فى جميع الحركات والسكنات حتى تحصل السلامة من الزلل والخطل فى الاعمال وقد استدل سبحانه وتعالى على كمال علمه واحاطته بقوله (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) أى ألا يعلم الخالق خلقه وقد أوجده وهو الذى لطف علمه بما فى القلوب وهو الخبير بما تسره وتضمره من الامور لا تخفى عليه من ذلك خافية
		(وقال تعالى فى بيان أنه عالم بكل شئ فى السماء والارض حتى الحديث يسره المرء لأخيه)
المجادله	٧	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيٰمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ
		(ما تشير اليه هذه الآية الكريمة)

سوره	آية	
		حتى بأعمال النفوس قبل ظهورها على الجوارح وذلك لأن للنفوس أعمالا هن بواعث على ظهور تلك الاعمال على الجوارح بالفعل ولتلك الاعمال مراتب فأولها حديث النفس وهو ما يرد عليها من الخواطر مثلا لو خطر له أن وراءه صورة جميلة لو التفت اليها لرآها فان هذا الخاطر الذى خطر له يسمى حديث النفس وثانيها توجه النفس وهيجان رغبتها فى النظر الى تلك الصورة فان ذلك يسمى ميلا منها وهذا منشؤه حديث النفس المتقدم وثالثها حكم عقله عليه بأنه ينظر اليها فان ذلك يسمى اعتقادا حتى اذا عزم على الالتفات الى تلك الصورة وجزم النية فى ذلك سمى ذلك هما بالفعل ونية وقصدا وهذا هو المرتبة الرابعة التى ليس بعدها الا عمل الجوارح بالفعل فالله سبحانه وتعالى لكمال علمه بخفيات الامور يعلم بأول هذه المراتب وهو حديث النفس الذى هو عبارة عن الهواجس التى تخطر على بال الانسان التى عبر الله عنها بقوله (ما توسوس به نفسه) أى فأولى أن يكون عالما بما بعدها من المراتب الثلاثة لأنها أشد خفاء منها
		وقد أشار الله سبحانه وتعالى الى سبب علمه بالانسان وأحواله وأنه لايخفى عليه شئ من خفياته بقوله (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) لان القرب من الشئ فى العادة سبب العلم به وبأحواله والوريد عرق فى العنق
		﴿وقال جل ثناؤه فى بيان كمال علمه تعالى بدلالة الخلق عليه﴾
الملك	١٣	وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ١٤ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ
		﴿وجه العبرة فى هاتين الآيتين الكريمتين﴾

آية	سورة	
		الذى كل شئ فقير اليه لاقوام له الا به وهو المجازى كلا بعمله فمن يظلم غيره ويعمل شرا فقد باء بالخيبة والخسران وسيقتص الله منه ويؤدى مااغتصبه من غيره الى صاحبه ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا فذلك له الجزاء الاوفى والثواب الموفى الذى لايخاف معه أن يظلم فيزاد فى سيآته ولا أن يهضم فينقص من حسناته
		الصفة السادسة العلم
		هو ما به تنكشف المعلومات سواء فى ذلك ماضيها وحاضرها ومستقبلها أما الماضى فانه ماوجد الا بايجاده تعالى وما عدم الا باعدامه ولا غرابة فى أن من أوجد شيأ ثم أعدمه يبقى تعلق علمه به وأما المعلوم الحاضر فتعلق العلم به ظاهر وأما تعلق علمه تعالى بما سيحصل فى المستقبل فهو أظهر من الظهور فان من الثابت المقرر أن هذا الشئ الذى سيحصل انما يحصل بعد تعلق الارادة بتخصيصه والقدرة بابرازه لان كل الحوادث آثار أفعاله تعالى وحيث كان كذلك فلا بد أن يعلمه قبل أن يوجد حيث انه أراده فالله سبحانه وتعالى يعلم بعلمه كل شئ كائنا ما كان فى السموات أو فى الأرض فى البر أو فى البحر ظهر أوخفى
		(وقد قال تعالى فى اثبات العلم له ولو بأخفى الخفيات حتى بما يهجس على خاطر الانسان وتوسوس به نفسه)
١٦	ق	وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ
		(ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة)
		ترشد الى اثبات إحاطة علمه تعالى وشموله لكل الكائنات ظاهرة وخفية

حتى

	آية	سورة
فهو الحق وما خالفها فهو مردود على قائله وفاعله كائنا من كان قال الله تعالى (فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول)		
(وقال جل شأنه فى اثبات صفة الحياة له تعالى)		
هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ	٦٥	غافر
(ما يؤخذ من هذه الآية الكريمة)		
يؤخذ منها اثبات أنه تعالى منفرد بالحياة الذاتية الحقيقية وأنه لامعبود بحق الا هو اذ لا موجود يدانيه فى ذاته وصفاته وأفعاله ولذا كان الواجب علينا أن نخلص له فى العبادة فلا نشرك بعبادته أحدا ولا نرائى فى أى عمل من الاعمال وأن نحمده على ماوفقنا لعبادته وألهمنا من طاعته وهدانا الى متابعته		
(وقال تبارك اسمه فى اثبات صفة الحياة له تعالى أيضا)		
وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا	١١١	طه
(ما يستفاد من هذه الآية الكريمة)		
يستفاد من هذه الآية الكريمة اثبات صفة الحياة لمن تذل الخلائق لعظمته وتخضع لسلطانه وتستسلم لمشيئته وهو الله الحى القيوم الذى لاينام وهو القيم على كل شئ يدبره ويحفظه وهو الكامل فى ذاته		

سورة	آية

فهو أولى من يتوكل عليه وأحق من يفزع اليه فالتوكل على غيره داعية الفشل والخذلان والندم والخسران لانه اذا توكل عليه ومات ضاع أمله وظهر فشله أما الله جل شأنه فهو حى لا يموت فهما توكل عليه عبده فهو كافيه وناصره ومؤيده ومظفره

وينبغى مع هذا التوكل أن يخلص له فى العبادة ويجعلها خالصة لوجهه الكريم ويقرن بين الحمد والتسبيح كما قال تعالى (فاعبده وتوكل عليه) فانه جل شأنه خبير بذنوب عباده لا تخفى عليه خافية منها ولا يعزب عنه منها مثقال ذرة فكن على حذر منه وراقبه فى كل أوقاتك ولا تعصه

وأيضا من دواعى التوكل على الله تعالى وتفويض الامور كلها اليه أنه الخالق للكل والمتصرف فيه فمن ذلك أنه خلق بقدرته وسلطانه السموات السبع على ارتفاعها واتساعها والأرضين السبع فى ضخامتها وكثافتها وما بينهما فى ستة أيام فخلق الارض فى يومين الاحد والاثنين . وما بينهما فى يومين الثلاثاء والاربعاء والسموات فى يومين الخميس والجمعة ثم استوى على العرش استواء لايدرى هيئته الا هو ولا يعلم كيفيته سواه والعرش فى اللغة سرير الملك والمراد هنا الجسم العظيم المحيط بالعالم الكائن فوق السموات السبع أو هو الموجود كله ومن كان خالقا قادرا ومتصرفا قاهرا فهو أحق بالتوكل عليه وأولى بالالتجاء اليه لانه لايصح التوكل على من تنقطع حياتهم بالموت لان فى ذلك ضياع من يتوكل عليهم ولا على عاجز لعدم الفائدة ثم قال تعالى (فاسأل به خبيرا) أى استعلم عنه من هو خبير به عالم به فاتبعه واقتد به وقد علم أنه لا أحد أعلم بالله ولا أخبر به من عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم الذى لاينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى فما قاله فهو الحق وما أخبر به فهو الصدق وهو الامام المحكم الذى اذا تنازع الناس فى شئ وجب رد نزاعهم اليه فما وافق أقواله وأفعاله

فهو

سوره	آية	

الصفة الخامسة الحياة

هى صفة قديمة ذاتية لله جل وعز لا يكتنه كنهها ولا تعلم حقيقتها كسائر صفاته جل شأنه تصحح لمن اتصف بها أن يكون عالما قادرا مريدا لان من لا حياة له لا يصح أن يتصف بعلم ولا قدرة ولا ارادة وذلك أنه قد ثبت أنه جل شأنه موجد هذا الخلق وحافظه على نظامه الغريب وترتيبه العجيب وحافظ مثل هذا النظام لا يكون الاحيا ولا تكون حياته الا أبدية أزلية

(وقد قال تعالى فى بيان أنه تعالى حى لايموت)

الفرقان ٥٨ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِى لَايَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ٥٩ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا .

(ماتشير اليه هاتان الآيتان الكريمتان)

تشير هاتان الآيتان الى الحث على التوكل على الله تعالى وتفويض الأمور كلها اليه والالتجاء اليه والاعتماد عليه فى كل ما يهم أمره أو يعسر جبره وذلك مع بذل الجهد فى استكمال أسباب السعى اذ الأخذ فى الاسباب لاينافى التوكل على رب الارباب وقد علق جل شأنه الامر بالتوكل عليه بانه هو الحى الذى لايموت أبدا وهو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم الدائم الباقى السرمدى الابدى الحى القيوم رب كل شئ ومليكه

سورة	آية	
		وحده لاشريك له وهو المجيد فى جميع مايفعله ويقوله ويقدره ويشرعه اذ لاموجود الاوهو حادث بفعله وفائض من جوده سخر الكل للكل وربط الاسباب بالمسببات ومن نظر فى أفراد الكائنات من أرض وسموات وحيوانات ونباتات وجد الاحتياج من لوازمها والافتقار من ضرورياتها ـ هذا النبات وهو فرد من أفراد هذه الكائنات يحتاج فى نموه وانباته الى الأرض ليتغذى بتربتها والى الهواء ليمتص مايحتاج اليه منه فى نموه والى الشمس لتمده الحرارة الكافية فى نموه ونضجه والى القمر لينضجه والى الانسان ليبذره ويحرثه ويسقيه ويجمعه ويدرسه ويذريه فهذه الأشياء كلها عوامل فى انباته ونضجه والانتفاع به ـ وهذا الانسان اذا نظرت الى أفراده فى تبادل المنافع الدنيوية والمصالح المعاشية والحاجيات الضرورية وجدت الفرد الواحد محتاجا الى الكل والكل محتاجا الى الفرد الواحد
		الناس للناس من بدو وحاضرة * بعض لبعض وان لم يشعر واخَدمُ
		وهكذا اقتضت حكمة الخبير باحتياج أجزاء العالم الى بعضها كأعضاء الجسم الواحد لايستغنى عضو منها عن الآخر حتى الجمادات الى الجمادات كما هو بَيِّنٌ ظاهر ليكون الكل تحت قهره وسلطانه وليدل بذلك على استغنائه المطلق عن كل ماسواه واحتياج الكل اليه أى ومن كان كذلك فهو مخالف لها على خط مستقيم ضرورة أن الذى يحتاج فى جميع حركاته وسكناته وأقواله وأفعاله الى غيره فلا تقوم له قائمة ولايتحرك منه عضو ولاطرف الا به يخالف من هو محتاج اليه ومن هو مصدر أفعاله وأقواله ومن هوغنى عن كل شئ وهوالله جل شأنه وحيث ثبت أنه جل شأنه مخالف للحوادث فهو غير محتاج الى موجد يوجده أو محل يقوم به أو مكان يحل فيه لان من يحتاج الى ذلك هو الحادث والله جل شأنه مخالف للحوادث وهذا ما يعبر عنه فى كتب الكلام (بقيامه تعالى بنفسه)

سورة	آية	
		ينتفع بما أعطى وكيف يتوصل اليه فأخذ يحتج عليه اللعنة على موسى عليه السلام بالقرون الاولى أى الذين لايعبدون الله حيث قال له (فما بال القرون الاولى) أى فما بالهم اذا كان الامر كما تقول وأن الرب الذى أرسلك على ماوصفت لم لَمْ يعبدوه بل عبدوا غيره فقال له موسى عليه السلام فى جواب ذلك هم وان لم يعبدوه فان علمهم عند الله مضبوط عليهم ويجزيهم بعملهم فى كتاب وهو كتاب الاعمال والله أعلم بحقيقته لايضل ربى ولا ينسى أى لايشذ عنه شئ ولايفوته صغير ولا كبير ولا ينسى شيأ يصف علمه تعالى بانه بكل شئ محيط وأنه لاينسى شيأ تبارك وتعالى وتقدس وتنزه أى بخلاف علم فرعون فانه مع كونه غير محيط بكل شئ يعتريه النقصان بنسيان ماعلم بعد علمه والخطا فيه فكأنه عليه السلام يقول لفرعون ان علم ربى على ما وصفتُ من الاحاطة والشمول وعدم الخطا والنسيان بخلافك فان الخطأ والنسيان من لوازمك فادعاؤك الربوبية مع قيام الخطا والنسيان بك محض خطا وصراح كذب .
		(وقال تعالى فى بيان أنه تعالى مستغن عن كل ماسواه وأن كل ماسواه مفتقر اليه مما هو بَيِّنُ الدلالة فى مخالفته تعالى لكل ماعداه)
فاطر	١٥	يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِىُّ الْحَمِيدُ
		(مايؤخذ من هذه الآية الكريمة)
		يؤخذ من هذه الآية الكريمة استغناؤه سبحانه وتعالى عن كل ماسواه من المخلوقات وافتقارها كلها اليه وتذللها بين يديه وأنه المنفرد بالغنى

سورة	آية	
		صغيرهم وكبيرهم وكلهم آتيه يوم القيامة فردا أى لاناصر له ولامجير الا الله وحده لاشريك له فيحكم فى خلقه بما يشاء وهو العدل الذى لايظلم مثقال ذرة أى فكيف مع ذلك كله يتصور أنه تعالى يتخذ ولدا كما زعم أولئك الفجرة تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا
		﴿وقال تعالى فى تنزيهه عن الخطا والنسيان مما هو من شأن الحوادث﴾
طه	٤٨	انا قد أوحى الينا أن العذاب على من كذب وتولى ٤٩ قال فمن ربكما ياموسى ٥٠ قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ٥١ قال فما بال القرون الأولى ٥٢ قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى
		﴿ماتشير اليه هذه الآيات الكريمات﴾
		تشير هذه الآيات الى حكاية حال موسى وأخيه هرون عليهما السلام مع فرعون عليه اللعنة حيث أرسلهما الله تعالى اليه ليبلغاه ماأمرا بتبليغه فقال لهما من ربكما الذى أرسلكما وتدعوانى الى الايمان به فانى لاأعرفه وماعلمت لكم من إله غيرى فأجابه موسى عليه السلام بقوله ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى أى أعطى كل شئ صورته وشكله الذى يطابق المنفعة المقصودة منه فأعطى العين الهيئة التى تؤدى بها وظيفة الابصار والاذن الشكل الذى يوافق الاستماع وكذلك الانف واليد والرجل واللسان فان كل واحد منها قد أعطى من الخلق مابه يؤدى وظيفته التى خلقه الله مستعدا لاجلها ثم هداه وعرفه كيف

سورة	آية
مريم	٨٩

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ٩٠ تَكَادُ
السَّمٰوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ
هَدًّا ٩١ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ٩٢ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ
يَتَّخِذَ وَلَدًا ٩٣ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا
آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ٩٤ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ٩٥
وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا

(ما تشير اليه هذه الآيات الكريمات)

تشير هذه الآيات الى الرد على من زعم أن الله تعالى اتخذ ولدا والى التهويل والتشنيع على مقالته بأنها من أكبر المنكرات وأقبح القبائح المفتريات حتى بلغ من قبح هذه المقالة الشنعاء وعظم هولها أن كادت السموات تتفطر والارض تنشق والجبال تسقط وتنهد عند سماعهن هذه المقالة من فجرة بنى آدم اعظاما للرب واجلالا لانهن مخلوقات ومؤسسات على توحيده وأنه لااله الاهو وأنه لاشريك له ولا نظير له ولا ولد له ولا صاحبة له ولا كفؤله بل هو الأحد الصمد

وفى كل شئ له آية * تدل على أنه الواحد

وما عقل هذا القائل أنه لايليق به سبحانه وتعالى أن يتخذ ولدا لاستحالة ذلك عليه لاقتضائه الجزئية أو المجانسة وكلاهما مستحيل عليه تعالى وكيف يعقل ذلك وكل من فى السموات والارض عبد لله سبحانه وتعالى ومملوك له فلا يخرج أحد منهم عن علمه ولا قبضة قدرته فكيف يناسبه مع ذلك أو يجانسه ليتخذه ولدا وهو الذى خلقهم وعلم عددهم منذ خلقهم الى يوم القيامة ذكرهم وأنثاهم

سورة	آية

﴿مضمون هذه الآية الكريمة والغرض منها﴾

الغرض منها نفي الشريك عن الله تعالى وأنه المنفرد باستحقاقه العبادة دون سواه القائم بتدبير خلقه الحافظ لهم المنزه عن صفات الحوادث من الغفلة والذهول وعدم الاحساس والشعور الناشئة عن السِّنة التي هي فتور يتقدّم النوم وعن النوم الذي هو بديهي التصوّر يعرض للحيوان من استرخاء أعصاب الدماغ من رطوبات الأبخرة المتصاعدة من المعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس بالمرة وأنه المنفرد بالكبرياء والعظمة ولا يشاركه تعالى فيهما أحد حتى لايمكن أن يدفع أحد ما يريده بنحو شفاعة أوغيرها الا باذنه واذا أذن في الشفاعة لم يكن الشفيع شفيعا على الحقيقة وأنه تعالى المنفرد بالعلم الذاتي الذي هو من صفات الكمال التي يجب أن يتصف الله تعالى بها فلا يعلم أحد من مخلوقاته شيأ من معلوماته الا ما شاء أن يعلمه اياه وأنه تعالى المنفرد بالقدرة الكاملة والعظمة والسلطان والملك فلا يشق عليه شاق ولا يثقل عليه ثقيل حتى انه لفرط عظمته وعظيم قدرته لايثقله حفظ السموات والارض ومن فيهما وما بينهما بل ذلك سهل عليه يسير لديه وهو القائم على كل نفس بما كسبت الرقيب على جميع الاشياء فلا يعزب عنه شئ ولا يغيب عنه شئ والاشياء كلها حقيرة بين يديه متواضعة ذليلة صغيرة بالنسبة اليه محتاجة فقيرة وهو الغني الحميد الفعال لما يريد الذي لايسئل عما يفعل وهم يسئلون وهو القاهر لكل شئ الحسيب على كل شئ الرقيب العلي العظيم المتعالي عن الاشباه والانداد والامثال والاضداد وعن أمارات النقص وعلامات الحدوث لااله غيره ولا رب سواه

﴿وقال جل ثناؤه في نفي المماثل وتنزيهه عن الصاحبة والولد﴾

وقالوا

سورة	آية	
		يحتاج الى ذلك الحوادث والله تبارك اسمه لا يكافئ شيأ منها ولا عائله
		﴿وقال تعالى أيضا فى نفى المثلية وتنزيهه عن الشبيه﴾
شورى	١١	لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ
		﴿ماترشد اليه هذه الآية الكريمة﴾
		ترشد الى نفى مشابهة ذاته تعالى لكل ماعداه من الموجودات وانه السميع الذى يدرك جميع المسموعات ادراكا تاما لا على سبيل التخيل والتوهم ولا بواسطة أذن ولاصماخ ولا وصول هواء وانه البصير الذى يدرك جميع المبصرات بدون واسطة عين ولا شعاع ولاغير ذلك تعالى الله عن مشابهة الحوادث علوا كبيرا
		﴿وقال تبارك اسمه فى نفى صفات الحوادث عنه مما هو ظاهر من أمره أنه من صفات النقصان﴾
البقرة	٢٥٤	اللّٰهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ اِلَّا بِاِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ اِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضَ وَلَا يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

سورة	آية	
		الغريب لايتخللها اختلال ولا فساد من أكبر الادلة على نفي هذه النقائص عنه تعالى اذلو كان شئ من الموت أوالخطا أوالنسيان أوالسهو أو الغفلة يدركه جل شأنه لاختلت هذه الموجودات وقد نبه الله تعالى على هذا المعنى في غير ما آية من كتابه العزيز فقال تعالى (ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده (الآية وقال تعالى) ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم)
		(وقد قال الله تعالى في تنزيهه عن الشبيه والمثيل)
الاخلاص	١	قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ٢ اللَّهُ الصَّمَدُ ٣ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ٤ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ
		(ماترشد اليه هذه السورة الكريمة)
		ترشد هذه السورة الكريمة الى اثبات أنه تعالى واحد في ذاته وصفاته وأفعاله لاثاني له وأنه هو السيد الذي ليس فوقه أحد المستغني عن كل أحد المحتاج اليه كل أحد فيقصدونه لقضاء حوائجهم ومسائلهم ومطالبهم لم يلد لان الولادة تقتضي انفصال مادة منه سبحانه وذلك يقتضي التركيب المنافي الصمدية والاحدية ولم يولد لان كل مولود محدث وجسم وهو تعالى ليس بمحدث ولاجسم فان من المستحيل عليه تعالى نسبة العدم سابقا ولاحقا ولم يكن له كفوا أحد لان من كان متصفا بالصفات المتقدمة من الاحدية والصمدية وعدم صدور ولد عنه وعدم صدوره هو عن والد كان متصفا بكونه لم يكافئه أحد ولم يماثله ولم يشاركه في شئ فهو جل شأنه قائم بنفسه لايحتاج الى موجد يوجده أومحل يقوم به أومكان يحل فيه لان من

يحتاج

سوره	آية

وكقوله اخبارا عن المتصدقين (انما نطعمكم لوجه الله)

الصفة الرابعة مخالفته تعالى للحوادث

أى أنه تعالى لايماثل موجودا ولا يماثله موجود ليس كمثله شئ ولا هو مثل شئ وقد صرح جل شأنه بنفى هذه المماثلة فى غير ما آية من القرآن الكريم وأبينها فى ذلك وأتمها قوله تعالى (ليس كمثله شئ وهو السميع البصير) وقوله تعالى (ولم يكن له كفوا أحد) وذلك أن من المقرر الثابت أن الخالق يجب أن يكون على غير صفة المخلوق الذى لايخلق شيأ والا لزم أن يكون من يخلق ليس بخالق وذلك أعم من أن تكون صفات المخلوق منتفية عن الخالق بالمرة أو موجودة فيه ولكن على غير الجهة التى هى عليها فى المخلوق كالعلم والحياة والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام فانها موجودة فى الخالق والمخلوق الا أنها فى الخالق على غير ماهى فى المخلوق وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم (ان الله خلق آدم على صورته) فليس هناك توافق الا فى الاسم ولا يخفى أن مجرد التوافق فى الاسم لايستلزم التوافق فى الحقيقة اذا علمت ذلك علمت أن معنى نفى مماثلته تعالى لشئ من مخلوقاته أنه لايوصف تعالى بشئ من صفات مخلوقاته مما هو ظاهر من أمره أنه من صفات النقصان فمن ذلك الموت كما قال تعالى (وتوكل على الحى الذى لايموت) ومنها النوم وما دونه مما يقتضى الغفلة والسهو عن الادراكات والحفظ للموجودات كما قال تعالى (لاتأخذه سنة ولا نوم) ومنها النسيان والخطأ كما قال تعالى (علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولاينسى) الى غير ذلك من النقائص التى صرح بنفيها القرآن الكريم وقامت الموجودات من أرض وسموات أدلة قاطعة وبراهين ساطعة على نفيها عنه تعالى لان وجودها بهذا النظام العجيب والترتيب المحكم

سورة	آية	
القصص	٨٨	كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

﴿ماتشير اليه هذه الآية الكريمة﴾

تشير هذه الآية الكريمة الى أنه تعالى باق لافناءله مستمر الوجود لاآخرله قيوم لاانقطاعله دائم لاانصرام له وأن كل شئ موجود مآله ومصيره الى الهلاك والعدم الا ذاته تعالى فانه لايلحقهاالعدم ولا يتطرق اليها الزوال بل هو الباقي بعد فناء خلقه وله القضاء النافذ فيهم يقضى بما شاء ويحكم بما أراد واليه المرجع فى جميع الاحوال فى الدنيا وفى الآخرة عند البعث ليجزى المحسن باحسانه والمسيء باساءته لارب غيره ولا معبود سواه

﴿وقال جل ذكره فى بيان أنه تعالى باق لافناء له دائم لاآخر له﴾

سورة	آية	
الرحمن	٢٦	كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ

﴿ الغرض من هذه الآية الكريمة ﴾

الغرض منها بيان أن جميع أهل الارض من إنس وجن وحيوان وغيرها فان وهالك ولا يبقى سوى وجه الله الكريم الذى هو مصدر جميع الكمالات والمستغنى عن كل ماسواه من الموجودات فان الرب تعالى وتقدس لايموت بل هو الحى الذى لايموت أبدا وهذه الآية كالتى قبلها وقدنعت الله وجهه الكريم فى هذه الآية الكريمة بأنه ذوالجلال والاكرام أى هو أهل لأن يجل فلا يعصى وأن يطاع فلا يخالف كقوله تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه)

وكقوله

آية	سورة

إليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) الآية ثم قال له اذا وجدت في نفسك شيأ فقل هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم وقال عليه الصلاة والسلام (لا يزال الناس يسألون عن كل شئ حتى يقولوا هذا الله كان قبل كل شئ فما ذا كان قبل الله فان قالوا لكم ذلك فقولوا هو الاول قبل كل شئ والآخر فليس بعده شئ وهو الظاهر فوق كل شئ وهو الباطن دون كل شئ وهو بكل شئ عليم)

فالواجب عدم الخوض في ذلك واذا خطر للانسان خاطر من هذا القبيل فليغالط نفسه وليطرحه ويبذل قصارى جهده في تناسيه فان ذلك ربما أدى به الى مالا تحمد عقباه نجانا الله من وساوس الشيطان والنفس وأسأله تعالى أن يحيينا على سنته ويميتنا على ملته انه سميع الدعاء واسع العطاء

الصفة الثالثة البقاء

وهو عدم الآخرية أى أنه تعالى لا آخر لوجوده فلا يلحقه العدم والفناء ولا يقضى عليه بالانفصال والانقضاء لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال مهما تصرمت الآباد وانقرضت الآجال فهو سبحانه وتعالى باق الى غير نهاية دائم الوجود من غير غاية اليه مرجع جميع الكائنات ومصيرها ومنتهى أمورها جليلها وحقيرها فالكل بالاضافة اليه عدم لان الكل وجوده منه وما كان وجوده من غيره فالعدم من لوازمه والفناء من أخص أوصافه فالجنة والنار ومن فيهما والعرش والكرسى واللوح والقلم والارواح وان وردت الآيات القرآنية والاحاديث النبوية بعدم فنائها ودوام بقائها الا أن بقاءها من غيرها وهو الله جل شأنه أما بقاؤه تعالى فهو من ذاته وفرق بين البقاءين

(وقد قال جل شأنه فى بيان أنه باق لا آخر له أبدى لا نهاية له)

سورة	آية	
		﴿ وقد قال جل شأنه فى اثبات هذه الصفة (وهى صفة القدم) له تعالى ﴾
الحديد	٣	هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

﴿ ماترشد اليه هذه الآية الكريمة ﴾

ترشد هذه الآية الكريمة الى بيان أنه تعالى قديم لاأول له أزلى لابداية له ظهر للخلق بما أودعه من عجائب الخلقة فيهم وخفى على العقول ادراك حقيقته فلا مجال لها فى درك هذه الغاية لان عظمته سبحانه وتعالى غير متناهية ومدارك العقول البشرية حقيرة جدا بالنسبة الى عظمته تعالى وحقير الادراك لايصل بالمعرفة الى الحقيقة العظيمة العالية والى ذلك الاشارة بقوله تعالى (لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير) وقوله عليه الصلاة والسلام (تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى ذاته فتهلكوا) أى فان عقولكم لاتصل الى ادراك كنه حقيقته ولاتنتهى أفهامكم الى الاحاطة بصفاته ولذا قد نهت الشريعة الغراء عن الخوض والبحث فى حقيقة ذاته تعالى لانه لامصير الى ذلك ولا تحوم حوله العقول والبحث فى شئ لايمكن الوصول الى غايته من العبث المحض ولان البحث فى ذلك ربما جر بصاحبه الى الهلاك بما يجول فى فكره من التخيلات والتصورات التى لاحقيقة لها ولم يسلم منها أكابر المؤمنين مع رسوخ ايمانهم وقوة اعتقادهم كما روى أن رجلا سأل ابن عباس فقال له ماشئ أجده فى صدرى فقال له ما هو قال والله لاأتكلم به قال فقال لى أشئ من شك قال وضحك مانجا من ذلك أحد حتى أنزل الله تعالى (فان كنت فى شك مما أنزلنا

سورة	آية	
		ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ٢٧ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ٢٨ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ٢٩ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ٣٠ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ٣١ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ٣٢ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ

(ماترشد اليه هذه الآيات الكريمات)

ترشد هذه الآيات الكريمات الى الحث على النظر فيما يأكله الانسان والبهائم من القمح والشعير والفول والعنب والقت والزيتون والنخل والبساتين الكثيرة الاشجار وما فيها من الفاكهة وكيف أخرجه الله تعالى من الارض بصب الماء عليها وكيف أنبتته الارض بقدرة الله تعالى وكيف شق هذا النبات الارض عند خروجه منها وكيف اختلفت هذه النباتات فى الاوراق والجذور والأثمار والدقة والغلظ والطعوم والروائح والفوائد والمنافع مع أنها كلها ربما كانت تسقى بماء واحد وتتغذى من تربة واحدة وتمتص مايلزمها من هواء واحد فان من نظر فى ذلك بعين الفكر وتأمل فيه حق التأمل وجد من الآيات والعبر ما يدل دلالة قاطعة على وجود صانعها وحكمة مدبرها وموجدها وعلى كمال عظمته وباهر قدرته فسبحانه من اله قادر حكيم خبير

الصفة الثانية القدم

وهو عدم الاولية أى أنه تعالى لاأول لوجوده لانه جل شأنه مصدر هذه الكائنات وموجد هذه الموجودات فلا بد أن يكون سابقا عليها لايتقدمه تعالى شئ منها والا لزم أن تكون وجدت قبل وجود سببها فيلزم أنها وجدت قبل وجود ذاتها وهو ظاهر البطلان

سورة	آية	
الطارق	٥	فَلْيَنْظُرِ الْإنسانُ مِمَّ خُلِقَ ٦ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ٧ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ والتَّرَائِبِ

﴿ماترشد اليه هذه الآيات الكريمات﴾

ترشد هذه الآيات الكريمات الى الحث على النظر فيما أودع فى خلق الانسان من الغرائب والعجائب حيث خلق من الماء المنصب من الرجل فى المرأة ثم بعد ذلك يلبس هذا الماء صورة علقية ثم مضغية ثم تأخذ هذه الصورة تتصور وتتشكل وتنمو لها أعضاء الى أن يكمل تكوينها وتصير حيوانا حساسا سميعا بصيرا شاما ذائقا لامسا ولا تسل عن كيفية تكوينه وتخلقه وما أودع فى أعضائه الظاهرة والباطنة من الاسرار والحكم وما اشتمل عليه جسمه من الحواس والمجارى والمنافس وكيف أودع الابصار فى البصر والشم فى الانف والذوق فى اللسان والسمع فى الاذن واللمس بسائر الجوارح والادراك بالعقل وتصوره للعلومات الى غير ذلك من بديع الخلقة وعظيم الحكمة فان من نظر فى الانسان بهذا النظر وتصور كيف خلق ومم خلق وكيف وجد هذا الانسان العظيم المدرك الحى الحساس النامى السميع البصير الشام الذائق اللامس الذى يفعل هذه الافعال العجيبة من هذا الماء الضعيف تحقق لديه أن الموجد لهذا الانسان من هذا الماء لابد أن يكون موجودا قادرا حكيما تجل عظمته عن الحد ولا يدرك كنهه أحد فسبحانه من اله قادر عالم بما صار وما هو صائر له الحمد فى الاولى والآخرة وهو العلى الكبير

﴿وقال جل شأنه أيضا فى بيان طريق النظر الموصل الى معرفته تعالى ووجوده﴾

سورة	آية	
عبس	٢٤	فَلْيَنْظُرِ الْإنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ٢٥ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ٢٦

سورة	آية

ويقول (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) خلقا بديعا معدولا به عن سنن خلق أكثر أنواع الحيوانات فى عظم جثتها وشدة قوتها وغرابة أشكالها وهيآتها اللائقة بتأتى مايصدر عنها من الافاعيل الشاقة كقيامها بالاوقار الثقيلة وهى باركة وتحملها الاثقال الفادحة وايصالها الى الاماكن البعيدة وصبرها على الجوع والعطش حتى ان ظمأها ليبلغ أكثر من ثمانية أيام واكتفائها باليسير ورعيها لكل ماتيسر من شوك وشجر وغير ذلك مما لايكاد يرعاه سائر البهائم . وفى انقيادها مع ذلك للصغير والكبير فى الحركة والسكون والنهوض والبروك حيث يستعملها فى ذلك كيف شاء ويقتادها بقطارها كل صغير وكبير . وفى تأثرها بالصوت الحسن مع غلظ أكبادها الى غير ذلك من بدائع الصنع وعجيب الخلقة (والى السماء كيف رفعت) فوق الأرض بلا عمد على وجه لاينساله الفهم ولا يدركه العقل (والى الجبال كيف نصبت) أى جعلت منصوبة قائمة ثابتة راسية لئلا تميد الأرض بأهلها وجعل فيها من المنافع والمعادن (والى الأرض كيف سطحت) أى كيف بسطت ومدت ومهدت للسكنى فيها والمشى عليها فلم يجعلها صلبة يصعب المشى عليها ولارخوة تغوص الأرجل فيها فان من تأمل فى هذه الموجودات وما اشتملت عليه من بديع الخلقة وعظيم الحكمة رأى من الدلائل على وجوده تعالى وكمال قدرته ووحدانيته مايلجئ ذوى العقول والبصائر الى اعتقاد قدرة هذا الصانع الحكيم والمدبر العليم وأنه الرب العظيم الخالق المالك المتصرف وأنه الاله الذى لايستحق العبادة سواه ولذا ساق الله تعالى هذه الآية الكريمة فى معرض الانكار والتقريع والتوبيخ لمن أنكر قدرته تعالى واستحقاقه للعبادة دون سواه

﴿ وقال تعالى أيضا فى بيان طريق النظر الموصل الى معرفته تعالى ووجوده ﴾

سورة	آية	
		من ذلك ماشاءت وتصريف الرياح وتقلبها جنوبا وشمالا حارة وباردة والغيم المسخر بين السماء والارض من غير علاقة ولا شئ يرتكز عليه يسير حيث شاء الله تعالى وجد أن كلامنها مشتمل على وجوه كثيرة من الدلالة على وجوده تعالى ووحدانيته وسائر صفاته الكمالية الموجبة لتخصيص العبادة له تعالى وحده دون سواه اذ لايعقل أن من أوجد هذه الموجودات يكون معدوما أو ناقصا فى صفة كمالية البتة ولذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها) يريد هذه الآية الكريمة فالعاقل من نظر فى هذه الموجودات نظر تفكر واعتبار حتى يتوصل الى معرفة خالقه واتصافه بسائر صفات الكمال وتنزهه عن سائر صفات النقصان فيفوز بالسعادة الدنيوية والاخروية
		﴿ وقال تعالى فى بيان طريق النظر الموصل الى معرفته تعالى ووجوده ﴾
الغاشية	١٧	أَفَلَا يَنْظُرُونَ اِلَى الْاِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ١٨ وَاِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ١٩ وَاِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ٢٠ وَاِلَى الْاَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ
		﴿ ما يؤخذ من هذه الآيات الكريمات ﴾
		يخاطب الله جل شأنه البدوى وينبهه على الاستدلال بما يشاهده من بعيره الذى هو راكب عليه والسماء التى فوق رأسه والجبل الذى تجاهه والارض التى تحته على قدرة خالق ذلك وصانعه وأنه الرب العظيم الخالق المالك المتصرف وأنه الاله الذى لايستحق العبادة سواه

ويقول

سورة	آية	

كخلق السموات والأرض وما بينهما بل أخبر بأنهم مع هذا الاعراض وعدم التفكر جاحدون ومنكرون لقاء الله تعالى وحسابه وجزاءه وهذا من أكبر دواعي الطغيان والفسوق وارتكاب كل قبيح وعدم المبالاة بفعل كل منكر لان من تحقق أن له ربا سيحاسبه ويجازيه على الصغير والكبير من عمله ان خيرا فخير وان شرا فشر ارتدعت نفسه عن فعل القبيح وارتكبت المليح

﴿وقال تبارك اسمه فى بيان العلامات الدالة على وجوده﴾

البقرة ١٦٤ انّ في خَلْقِ السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ والْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَى بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ والسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

﴿مايرمى اليه غرض هذه الآية الكريمة﴾

يرمى الى الاستدلال بهذه الموجودات المذكورة فى الآية الكريمة على وجود الله تعالى وكمال قدرته لان من تأمل فى السموات والارض وما فيهما من العجائب والغرائب واختلاف الليل والنهار بالزيادة والنقصان والمجيء والذهاب والسفن التى تجرى فى البحر ولا ترسب فيه مع ضخامتها موقرة بالاثقال وغير موقرة لينتفع الناس بها فى أمر معاشهم وانتظام أحوالهم وانزال الماء من السماء فتنبت به الارض بعد يبسها وتخضر بعد أن كانت قحلة ويكثر فيها الكلأ والمرعى فتنتشر الدواب وتأكل

سورة	آية	
		من المفاصل للانعطاف والتثنى فتبارك الله أحسن الخالقين فانه يجد من الآيات والعلامات الدالة على وجود الله تعالى وكمال قدرته ماهو أسطع من الشمس وآنس للنفس ولذا يقول الله تعالى (وفى الارض آيات للموقنين) أى الموحدين الذين سلكوا الطريق السوى البرهانى الموصل الى المعرفة وفى أنفسكم أفلا تبصرون
		﴿وقال جل شأنه فى الحث على التفكر فى مصنوعاته حتى يستدل بها على وجوده تعالى ومعرفة ذاته﴾
الروم	٨	أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِى أَنْفُسِهِمْ مَاخَلَقَ اللهُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا اِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَاِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ
		﴿وجه العبرة فى هذه الآية الكريمة﴾
		وجه ذلك توبيخ وتبكيت من قصر نظره وفكره ولم يجله فى هذه الموجودات حتى يستدل بها على أن لها صانعا وموجدا أوجدها من العدم ولما كانت نفس الانسان أقرب المخلوقات اليه وهو أعلم بشؤنها وأخبر بأحوالها من غيره أمره الله تعالى بالتفكر فيما أودعه فيها ظاهرا وباطنا من غرائب الحكم الدالة على نهاية التدبير وأنه لابد لها من انتهاء الى وقت معلوم يجاز بها فيه الحكيم على الاحسان احسانا وعلى الاساءة اساءة حتى يعلم عند ذلك أن سائر المخلوقات من الأرض والسموات ومابينهما جار على الحكمة والتدبير أيضا وأنه لابد لها هى أيضا من الانتهاء الى ذلك الوقت ولم يقف جل شأنه عند هذا الحد من التقريع والتوبيخ على تقصيرهم واعراضهم عن التفكر فيما يرشدهم الى معرفته تعالى من مصنوعاته

كخلق

سوره	آية	

تخرج من الشجر التى هى من ضروريات معيشة الانسان فى الحضر والسفر وهى من أكبر نعم الله تعالى عليه قد خلق الله ذلك الشجر الذى تخرج منه تلك النار ﴿ ومن كانت هذه صفاته وأعماله ومخلوقاته فلا بد أن يكون موجودا قادرا أتم القدرة عالما أتم العلم لان وجود هذه الاشياء لا يصدر عن معدوم ولا عاجز ولا جاهل البتة

﴿ وقال جل شأنه فى بيان العلامات الدالة على وجوده ﴾

الذاريات ٢٠ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ٢١ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ

﴿ ماترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان ﴾

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الى بيان العلامات الدالة على وجوده تعالى وذلك أن من تأمل فى الارض وما اشتملت عليه من البحار والجبال والأودية والسهول والكهوف والمعادن وتكوينها وخواصها ومنافعها وغير ذلك مما هو على وجه الارض رأى آيات ودلائل على وجود الله تعالى وكذا من نظر فى نفسه من حال ابتدائها وتنقلها من حال الى حال وتصور كيف خلق نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما الى أن ينفخ فيه الروح ثم نظر كيف اختلفت بعد ذلك الصور والالوان والطبائع والالسنة بل نفس خلقته على هذه الصفة العجيبة الشأن من لحم ودم وعظم وأعضاء وحواس ومجارى ومنافس وفى بواطنها وظواهرها من عجائب الفطرة وبدائع الخلق ماتتحير فيه الاذهان وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول وبالالسن والنطق ومخارج الحروف وما فى تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة والبينات القاطعة على حكمة مدبرها وصانعها وبالاسماع والابصار والاطراف وسائر الجوارح وما أودع فيها وتيسرها لما خلقت له وما سوى ذلك فى الاعضاء

سورة	آية

أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ٦٥ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ
تَفَكَّهُونَ ٦٦ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ٦٧ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ٦٨ أَفَرَأَيْتُمُ
الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ٦٩ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ
الْمُنْزِلُونَ ٧٠ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ٧١
أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ٧٢ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ
نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ٧٣ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ٧٤
فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ.

(ما يؤخذ من هذه الآيات الكريمات)

يؤخذ من هذه الآيات الكريمات اثبات وجود الله تعالى وذلك أنه تعالى يقول نحن خلقناكم وأنشأناكم من العدم الى الوجود أى ومن كان كذلك فلا يكون الا موجودا ثم أخذ تبارك اسمه يذكر الادلة القاطعة والبراهين الساطعة على ذلك بأن مايقذف فى الارحام من النطف هو الذى خلقه وصوره بشرا سويا تام الخلقة وأن الحب الذى يبذر فى الارض هو الذى أنبته وجعله جسما ناميا متغذيا ذا حياة نباتية مكتسبا خواص لم تكن له من قبل مع اختلاف أشكاله وأشكال أوراقه وأزهاره وأثماره وبذوره وروائحه وطعومه وألوانه ومنافعه ومضاره الى غير ذلك مما يظل الانسان لأجله طول نهاره يتفكه ويتعجب لما أودع فيه من النظام المحكم والاسرار والحكم وأن الماء الذى يستعمله الانسان لغذائه هو الذى أنزله من السحاب عذبا فراتا وكان فى قدرته أن ينزله ملحا أجاجا لايمكن شربه وأن النار التى

سورة	آية	
		يؤخذ من هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى أودع فى الآفاق أى أقطار الارض والسموات آيات باهرات من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والرياح والامطار والرعد والبرق والصواعق والنبات والاشجار والجبال والبحار وغير ذلك وفى أنفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة حتى فى سبيل مايخرج من البدن فان الرجل يأكل ويشرب من مكان واحد ويتميز ذلك خارجا من مكانين وحتى فى عينيه اللتين ينظر بهما من الأرض الى السماء وفى أذنيه اللتين يفرق بهما بين الاصوات المختلفة وحتى فى نفسه وتركيب بنيته وأعضائه وأحواله من مبدا خلقه الى منتهاه الى غير ذلك من بديع حكمة الله تعالى فيه وفى ذلك من الآيات والعلامات الدالة على وجود الله تعالى وكمال قدرته مابه يتبين أن ذلك هو الحق الذى لامرية فيه وقد بين الله جل شأنه ما فيه الكفاية فى الدلالة وهو شهيد على من كفر به ولم يصدق بوجوده مع قيام هذه الآيات فيجازيه حسبما يستحق نسأل الله تعالى أن يرشدنا الى معرفة أسرار آياته ويطلعنا على مكنونات اشاراته انه سميع الدعاء واسع العطاء
		(وقال تعالى أيضا فى بيان العلامات الدالة على وجوده)
الواقعة	٥٧	نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ٥٨ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ٥٩ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ٦٠ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ٦١ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ٦٢ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ٦٣ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ٦٤ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ

سورة	آية	
		نفص فاذا انتقل بفكره الى ماهو أشد الاشياء اليه قربا بعد نفسه وهو زوجته التى يسكن اليها و يأنس بها وتشاركه فى حياته وتذكّر عظيم حكمته فى أنه جعلها من جنسه لا من جنس الحيوانات الاخرى وأنه جعل بينه وبينها من المودة والرحمة ما تظن معه بمجرد دخوله عليها كأنهما تعاشرا العشرات من السنين مع عدم سابقة معرفة ولالقاء ولا سبب يوجب التعاطف من قرابة أو رحم تحقق لديه أيضا أن فاعل ذلك لابد أن يكون موجودا قادرا حكيما ثم اذا انتقل بفكره الى ماهو أشد ظهورا لوقوعه تحت نظره فى غالب آونته وهو خلق السموات والأرض واختلاف الألسنة فى كيفية النطق فلا ترى منطقين متساويين فى الكيفية من كل وجه وكذا الالوان فلا ترى لون شخص يشبه لون آخر وإراءة البرق وانزال المطر على الأرض فتراها اهتزت وربت بمجرد نزوله عليها وأنبتت من كل زوج بهيج بعد أن كانت يابسة لانبات بها وناهيك بقيام السموات والأرض واستمساكهما بغير عمد فانه إن تفكر فى ذلك تحقق لديه أن ذلك كله وما فيه من الغرائب والعجائب والصنع المحكم والاسرار والحكم لابد أن يكون صانعه موجودا قادرا حكيما عليما متصفا بصفات الكمال اذ لايعقل أن يكون الموجد لذلك كله مع هذا الاحكام والاتقان معدوما اذ المعدوم لايصدر عنه شئ
		(وقال تعالى فى بدائع جوده وعلامات وجوده)
فصلت	٥٣	سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الآفَاقِ وَفِى أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَئٍ شَهِيدٌ
		(مايؤخذ من هذه الآية الكريمة)

آية	سورة

لآيات لقوم يتفكرون ٢٢ ومن آياته خلق السموات
والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك
لآيات للعالمين ٢٣ ومن آياته منامكم بالليل والنهار
وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ٢٤
ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء
ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم
يعقلون ٢٥ ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم
إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون

(ماترشد اليه هذه الآيات الكريمات)

ترشد هذه الآيات الكريمات الى أن الانسان العاقل لايحسن به أن يأخذ الامور بظواهرها بل عليه أن يدقق النظر فى بواطنها حتى يستخرج مكنون حكمها بثاقب فكره فاذا تأمل فى نفسه وهى أقرب الاشياء اليه رأى أنه وجد من تراب لانه كون من النطفة وهى من الدم والدم من الغذاء والغذاء من النبات والنبات من التراب لانه نبت فيه وامتص المادة المغذية له منه واذا تأمل بفكره فى ذلك وتحقق له منه أن هذا الانسان العاقل المدبر السميع البصير الحساس النامى ذا الشكل الغريب والاحكام العجيب والاعضاء الظاهرة والباطنة التى اشتمل كل عضو منها على لطائف من الاسرار والحكم وعظيم الفوائد والمنافع خلق من هذا التراب تحقق لديه أن خالقه لابد أن يكون موجودا مستمر الوجود قادرا حكيما عليما متصفا بكل كمال منزها عن كل

سورة	آية	
		ظهر له جليًّا أن وجود إله صانع يدبر أمر هذه الكائنات ويحفظ نظام هذه المخلوقات ويخضع لسلطانه كل هذه الموجودات من أرض وسموات وحيوانات ونباتات وجمادات أمر مركوز فى فطَر كل هذه المخلوقات الا من طبع الله على قلبه وطمس بصيرته من بنى الانسان وهو المشار له بقوله تعالى (وكثير حق عليه العذاب) لذلك أمر الله تعالى بالتفكر فى هذه المخلوقات والبحث فيما يقع تحت النظر من المشاهدات من نحو السموات وما فيها من النجوم والكواكب والأفلاك وما اشتملت عليه من النظام العجيب والترتيب الغريب . والأرض وما فيها من البحار وما اشتملت عليه من الاسماك والحيتان والدواب وما فيها من الجبال والاودية والكهوف والسهول والمعادن وتكوينها وخواصها ومنافعها والنباتات وغرائبها وتباينها فى الاشكال والازهار والثمار والاوراق والطعوم والالوان وغير ذلك . والحيوان وما فيه من العجائب والغرائب . والجو وما اشتمل عليه من الهواء والرياح والسحاب والرعد والبرق والامطار والثلوج الى غير ذلك من سائر مخلوقاته ليُستدَلّ بها على أن لها صانعا حكيما ومدبرا عليما أوجدها من العدم وأبرزها الى الوجود
		﴿وقد ذكر الله تعالى من الآيات الدالة على وجوده وعظيم قدرته وبدائع صنعه ما فيه عبرة لمعتبر وحجة قاطعة لمن أراد التقرب اليه تعالى بمعرفة وجوده فقال﴾
الروم	٢٠	وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ٢١ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ

آية	سورة

قبلة عند توجههم الى هؤلاء نخلف من بعدهم خَلْف لم يَفْطَنوا للفرق بين الاصنام وبين من هى على صورته فظنوها معبودات باعيانها فرد الله تعالى عليهم تارة بأن له الحكم والملك خاصة لاينازعه ولايشاركه فيه غيره وتارة ببيان أنها جمادات لاتضر ولاتنفع كما قال تعالى (واتخذوا من دونه آلهة لايخلقون شيأ وهم يخلقون) وقال تعالى (ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها)

والمنجمون ذهبوا الى أن النجوم تستحق العبادة بما لها من التأثير العظيم فى الحوادث اليومية فلا شك أن عبادتها تنفع ورفع الحاجات اليها حق فبنوا لها كل على أسمائها وعبدوها

هذا ولما كان القرآن الكريم حاويا لاصول هذا العلم ومنه تتفرع أغصانه صار المرجع فى بيان مايجب لله تعالى من الصفات الكمالية اليه والمعول فى تحقيقها عليه واليك بيانها مع ذكر أدلتها من القرآن وشرح كل آية بما يفصل مجملها ويكشف عن وجه العبرة فيها والله المستعان

الصفة الاولى الوجود

اعلم أن من أجال فكره فى هذه الموجودات وأدار نظره على عجائب خلق الله فى الأرض والسموات وبدائع فطرة الحيوان والنبات رأى أن هذا الأمر العجيب والترتيب الغريب لايستغنى عن وجود صانع يدبره وفاعل يحكمه ويقدره ومن تأمل فى قوله تعالى (ألم ترأن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب)

سورة	آية

بالوحدة وأنه جل شأنه لايظهر بذاته فى شئ من مخلوقاته والرابعة أنه المنفرد بتدبير السموات والأرض والتصرف فيما تحويه وأنه وحده المستحق لأن يلجأ اليه فيما لاتصل اليه قدرة الانسان فهو المستحق للعبادة وأن يستجدى منه المعونة دون سواه وهاتان المرتبتان قد اختلف فيهما طوائف كثيرة من الناس معظمهم ثلاث فرق (النصارى والمشركون والمنجمون) فالنصارى ذهبوا الى أن الاله الواحد هو الأب والابن وروح القدس والابن هو الذى تجسد فى عيسى ولهم فى ذلك كلام لايمكن تعقل معناه فألَّهُوا المسيح وقصدوه فى الحوائج وتوجهوا اليه بهذا الضرب من العبادة ثم توسعوا فى تعظيم القديسين والرؤساء حتى جعلوا لهم حق الشفاعة والقدرة على المعونة فاتخذوهم وسائل بينهم وبين الله وعبدوهم بالتضرع اليهم فرد الله تعالى عليهم تارة بأنه لاصاحبة له ولا ولد وتارة بأنه بديع السموات والارض انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون

والمشركون ذهبوا الى أن الصالحين من قبلهم عبدوا الله تعالى وتقربوا اليه فأعطاهم الله منزلة القرب منه ومنحهم نعمة الشفاعة عنده فاستحقوا بذلك أن يلجأ اليهم وتستمنح المواهب من الله بواسطتهم ويطلب القرب منه بوسيلتهم وقد جعلوا شأن الله فى ذلك على شؤن خلقه فظنوا أن القرب اليه كالقرب من الملك يخدمه عبده فيحسن خدمته فيكافئه بأن يعطيه خلعة الملك و يفوض اليه تدبير بلد من بلاده فيستحق السمع والطاعة من أهل ذلك البلد وزعم بعضهم أن لاتقبل عبادة الله تعالى الا مضمومة الى عبادتهم بل الله تعالى فى غاية العلو فلا يعبد مباشرة بل لابد من التوسل بعبادة هؤلاء ليقربوهم الى الله زلفى كما حكى الله تعالى ذلك عنهم بقوله (مانعبدهم الاليقربونا الى الله زلفى) وقالوا هؤلاء يسمعون ويبصرون ويشفعون للتوسلين بهم ويدبرون أمورهم وينصرونهم فنحتوا على أسمائهم أحجارا و جعلوها

قبلة

سورة	آية

المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) فهو أصل العلوم وأفضلها ولا غرو فهو متعلق بذات الله تعالى وذات رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام وشرف العلوم بشرف المعلوم وقد جاءت به جميع الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام من لدن آدم الى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لان الكل أرسلوا لغرض واحد وهو توحيد الله تعالى واعتقاد اتصافه تعالى بسائر صفات الكمال وتنزهه عن سائر صفات النقصان واختصاصه جل شأنه بأن يعبد وحده لاشريك له كما قال تعالى مخاطبا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لااله الا أنا فاعبدون)

ووجه تسمية هذا العلم بعلم التوحيد أن أشهر مباحثه وأعظم أغراضه التى يرمى الى تحقيقها البحث عن توحيد الله تعالى الذى هو أساس الدين وأعظم أركانه وذلك لأنه يتوقف عليه الاخبات لرب العالمين الذى هو أعظم الاخلاق المكسبة للسعادة وقد نبه الكتاب العزيز والنبى صلى الله عليه وسلم على عظم أمره وكونه من أنواع البر والخير بمنزلة القلب اذا صلح صلح الجميع واذا فسد فسد الجميع قال الله تعالى (ان الله لايغفر أن يشرك به) وقال عليه الصلاة والسلام (من مات لايشرك بالله شيأ دخل الجنة) وقال صلى الله عليه وسلم (من مات لايشرك بالله شيأ حرمه الله على النار) ثم اعلم أن التوحيد أربع مراتب

احداها حصر وجوب الوجود فيه تعالى فلا يكون غيره واجبا

والثانية حصر خلق السموات والأرض والعرش وسائر المخلوقات فيه تعالى وهاتان المرتبتان من القضايا المسلمة عند جميع الملل والقرآن العظيم ناص على أنهما من المقدمات المسلمة عند الجميع كما قال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم) وقال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله)

والثالثة أن ذاته واحدة وليست مجموع ذوات متعددة يشار اليها

سورة	آية

القسم الثانى - فى العبادات التى تصلح لتأدية شكر الله تعالى على جليل نعمه التى لاتحصى من صلاة وصيام وزكاة وحج مع بيان ماشتملت عليه من الحكم والاسرار والفوائد والمنافع والآداب والشروط والأركان وغير ذلك مما احتوت عليه هذه العبادات مما ستعرفه ان شاء الله تعالى

القسم الثالث - فيما يجب التخلق به من الآداب الشرعية والصفات المرضيه والاخلاق الطاهرة الزكيه مع بيان الحكمة التى من أجلها حث الشارع على هذا الخُلق وأمر بالتمسك به والتحلى بحلاه

وهذا أوان الشروع فى المقصود وعلى الله أتكل وعلى جنابه الرفيع أعوّل انه نعم الملجأ لمن التجأ اليه ونعم الركن لمن اعتمد عليه وأسأله سبحانه وتعالى كما وفق لجمعه أن يوفق للانتفاع به انه سميع الدعاء واسع العطاء

القسم الاول

علم التوحيد

هو علم يبحث فيه عن اثبات العقائد الدينية بالادلة اليقينيه وثمرته معرفة الله تعالى ورسله بالبراهين القطعيه والفوز بالسعادة الأبديه وهو خلاصة العلوم الدينيه ونتيجة أقيسة الشرائع الاسلاميه وعليه مبنى التكاليف الشرعيه وله قامت السموات والارض وما فيهما أدلة قاطعة على تحقيق مسائله وتقرير دلائله يأخذ منها المتأمل ماشاء فى تحصيل يقينه وتمكنه من معرفة دينه والى ذلك الاشارة بقوله تعالى (ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب

المسخر

سورة	آية	

مقدمة فى بيان حكم التشريع وما يقصد من الشرائع وما تشتمل عليه

اعلم أن الشريعة الاسلامية بل وسائر الشرائع انما يقصد منها بيان مايرشد الخلق الى معرفة الله تعالى باعتقاد وجوده واتصافه بصفات الكمال وتنزهه عن صفات النقصان - والى كيفية عبادته المحتوية على تعظيمه وأداء بعض الشكر على نعمه التى لاتحصى ولا يمكن أن تستقصى - والى الآداب الفاضلة والاخلاق الكاملة من الأمانة والصدق والعفة والعدل والوفاء بالعهد وإنجاز الوعد والشجاعة والصبر والحلم وغير ذلك من الصفات التى بها تتهذب النفوس وتتكمل العقول وتتجمل الاخلاق - والى الاحكام التى توصلهم الى انتظام أحوالهم المعاشية من توطين الامن فيما بينهم ووقوف كل عند حده ومنع التعدى من الاشرار وذوى الأطماع على أحد من الأمة فهذه الاشياء الاربعة التى ترشد اليها الشريعة الاسلامية والمقصودة منها هى ماتشتمل عليه كل شريعة

واعلم أنه قد وقع الاختيار على تقسيم هذا السفر الى الثلاثة الاقسام الأُوَل

القسم الاوّل - فيما يجب أن يتصف الله تعالى به من صفات الكمال وما يستحيل أن يتصف به من صفات النقصان وما يجوز فى حقه تعالى وما يجب أن يتصف به الرسل الكرام وما يستحيل وما يجوز فى حقهم عليهم الصلاة والسلام وما يجب اعتقاده مما ورد به الشرع الشريف وجاء القرآن الكريم ناطقا به وأخبرنا به الصادق المصدوق صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وان لم تره أعيننا ولا مجال للعقل فيه

سورة	آية	
		ولو كان من أكبر العلماء وأعظم السياسيين فضلا عما وضع عليه من الاسلوب العجيب والترتيب الغريب ومكانته من الفصاحة والبلاغة حتى بلغ من إعجازه أنه صلى الله عليه وسلم كان يعرض على من بلغ من معارضيه فى الفصاحة والبلاغة أعلى منزلة وأسمى مرتبة أن يأتى بأقصر سورة منه فلا يقدر كما قال الله تعالى (فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين) وقال جل شأنه (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله) وقال تبارك اسمه (أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله)
		فلما عجزوا عن معارضته على كثرة خطبائهم ووفرة فصاحتهم وقوة بلاغتهم مع التقريع بالنقص والتوقيف على العجز وهم أشد الخلق أنفة وأكثرهم مفاخرة والكلام سيد عملهم نادى الله عليهم بالعجز وإعجاز القرآن فقال تعالى (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)
		ومن وجوه إعجازه حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته وبلاغته وما احتوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما أنبأ به من أخبار القرون الماضية والأمم القديمة والشرائع السابقة مما كان لا يعلم القصة الواحدة منه الا الواحد من أحبار أهل الكتاب الذى قطع عمره فى تعلم ذلك فيورده صلى الله عليه وسلم على وجهه ويأتى به على نصه وهو أمى لا يقرأ ولا يكتب ومن إنبائه بالغيوب المستقبلة كوعده الصحابة رضوان الله عليهم بدخول مكة آمنين مطمئنين فجاء الامر على ما أخبر وبالجملة فوجوه اعجازه كثيرة لا تكاد لا تحصى وفيما ذكر كفاية للمسترشد والله المستعان وعليه التكلان

سورة	آية

مايشتمل عليه القرآن

يشتمل القرآن الكريم بطريق الاجمال على ثلاثة أشياء توحيد وتذكير وأحكام (فالتوحيد) يدخل فيه كل مايتعلق بذاته تعالى وأسمائه وصفاته (والتذكير) يدخل فيه كل مابه التذكرة كالوعد والوعيد والمواعظ والجنة والنار والبعث والحشر وغيرها من أحوال المعاد (والأحكام) يدخل فيها جميع الاحكام المتعلقة بالعبادات والمعاملات والعقوبات والزواجر والآداب

(فائدة) فيما يشتمل عليه القرآن الكريم من السور والآيات والكلمات والحروف وما نزل من السور بالمدينة وما نزل منها بمكة

نزل فى المدينة من القرآن البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وبراءة والرعد والنحل والحج والنور والاحزاب ومحمد والفتح والحجرات والرحمن والحديد والمجادلة والحشر والممتحنة والصف والجمعة والمنافقون والتغابن والطلاق و ياأيها النبى لم تحرم واذا زلزلت واذا جاء نصر الله وكل ماعدا هذه السور نزل بمكة فأما عدد سور القرآن العظيم فمائة وأربع عشرة سورة وأما عدد آياته فستة آلاف آية وأما عدد كلماته فسبعة وسبعون ألفا وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة وأما عدد حروفه فثلثمائة ألف وأربعون ألفا وسبعمائة وأربعون حرفا

وسميت السورة سورة لجمعها لعدة آيات من القرآن واحاطتها بها كما يسمى سور البلد سورا لاحاطته بمنازله ودوره وسميت الآية آية لأنها عجب يعجز البشر عن التكلم بمثلها

اعجاز القرآن

اعجاز القرآن بما اشتمل عليه مما لايمكن لأحد من البشر أن يأتى بمثله

سورة	آية

القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان)فأول نزوله كان تلك الليلة في ذلك الشهر ثم أنزل بعد ذلك مفرقا في ثلاث وعشرين سنة على حسب الوقائع ومقتضيات الاحوال بمصداق قوله تعالى (ولا يأتونك بمثل الاجئناك بالحق وأحسن تفسيرا) وقوله تعالى (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا).

وقد ذكر الله حكمة تنزيله مفرقا بقوله (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) أى كما نزلت التوراة على موسى والانجيل على عيسى والزبور على داود عليهم السلام فرد الله تعالى عليهم بقوله (كذلك لنثبت به فؤادك) أى أنزلناه عليك مفرقا لنقوى به قلبك فان انزاله مفرقا منجما على حسب الحوادث أقرب الى حفظك له وفهمك لمعانيه وذلك من أعظم أسباب التثبيت

أول ما أنزل من القرآن وآخر ما أنزل منه

أول ماأنزل من القرآن كما علمت قوله تعالى (اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم) وآخر ماأنزل منه قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) وكان ذلك اليوم الذى أكمل الله فيه الدين يوم عرفة عام حجة الوداع فلم ينزل بعد هذا اليوم شئ من الفرائض على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تحليل ولا تحريم ولم يلبث صلى الله عليه وسلم بعد هذا اليوم سوى أحد وثمانين يوما ثم مات صلى الله عليه وسلم ولقد فهم عمر رضى الله عنه لما سمع هذه الآية قرب وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وبكى عند نزولها فقال له النبى صلى الله عليه وسلم مايبكيك يا عمر قال أبكانى يارسول الله أنا كنا فى زيادة من ديننا فأما اذا كمل فانه لم يكمل شئ قط الا نقص فقال له عليه الصلاة والسلام صدقت

مايشتمل

آية	سورة

الدعاء واسع العطاء

كيفية انزال القرآن

المراد من انزال القرآن أن جبريل عليه السلام تلقى كلام الله تعالى في علو شأنه فهبط به على الرسول صلى الله عليه وسلم عن تلك الحضرة فصح أن يقال نزل به وفي الحقيقة لانزول ولاصعود وانما هي أسماء المراتب وألقاب المقامات

وكيفيته على ماجاءت به الاخبار الصحيحة أن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتحنث أي يتعبد في غار حراء فقال له اقرأ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ما أنا بقارئ قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ماأنا بقارئ فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ماأنا بقارئ فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال (اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم) فكانت هذه الآيات الكريمات المباركات أول مانزل من القرآن بالكيفية المتقدمة ثم كان يأتيه الوحي بعدذلك في مثل صلصلة الجرس فيفصم عنه وقد وعى ماقال وأحيانا كان يأتيه جبريل عليه السلام فيتمثل له رجلا فيكلمه فيعي مايقول كما حكى صلى الله عليه وسلم هذه الحالة عن نفسه عند ماسئل كيف يأتيك الوحي فقال أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت ماقال وأحيانا يأتيني الملك رجلا فيكلمني فأعي مايقول قالت عائشة رضي الله عنها فلقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه صلى الله عليه وسلم ليتفصد عرقا وكان نزوله في ليلة القدر من شهر رمضان كما أخبر عن ذلك جل شأنه بقوله (انا أنزلناه في ليلة القدر) وقوله (شهر رمضان الذي أنزل فيه

سورة	آية

صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون)

فلا غَرْوَ اذا كان هذا القرآن الكريم من المنن الكبرى والنعم العظمى التى يجب على كل مسلم أن يؤدى واجب شكرها لله تعالى كما قال تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به)

ولمكانة هذا القرآن الكريم من الله تعالى وعظم شأنه وكرامته عليه أمر « جلّ شأنه » أن لايمسه الا المطهرون فقال (إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لايمسه الا المطهرون تنزيل من رب العالمين) وجعله هدى ورحمة وشفاء لمن آمن به وصدق وثقة وشقاء لمن كذب به ونأى بجانبه عنه فقال جل شأنه (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لايؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد) وقال جل ذكره (هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون) وقال جل ثناؤه (واذاقرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لايؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) وقال تعالى (وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا) وقال تعالت أسماؤه (ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين)

وبالجملة فهو الهادى الى الخير والداعى الى الرشد من استمسك به فقد استمسك بالعروة الوثقى التى لاانفصام لها ومن اعتصم به فقد اعتصم بالله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم ومن آمن به فقد وفق ومن عمل به فقد فاز جعله الله عزا لمن تولاه وهدى لمن ائتم به وبرهانا لمن تكلم وشاهدا لمن خاصم وعلما لمن وعى وحديثا لمن روى وحكما لمن قضى فهّمنا الله حكمه وأسراره ووفقنا للعمل به إنه سميع

الدعاء

سورة	آية

وأحوال سكانها ودار الجحيم وأهوالها ووصف عالم السموات وما فى العالم العلوى من الآيات من كواكب وأمطار وسحائب وبروق ورعود وعجائب ووصف الارض وجبالها وسهولها وبحارها وينابيعها وأنهارها وما اشتملت عليه من نباتات وحيوانات ومعادن وأزهار وأثمار وأشجار وأطيار وظلمات وأنوار حتى يصح أن يقال انه لم يُبْقِ علما من علوم الاوائل والاواخر إلا صرح به أوأشار اليه على أساليب متنوعه وطرائق مبتدعه لم يقع فيه تناقض ولم يتخلله تضارب خاليا عن جميع العيوب خارجا بحسن نظمه عن مشابهة كل أسلوب الى غير ذلك من الصفات التى لا يحدها حد ولا يحيط بها أحد

ولاشتماله على تلك الصفات التى لا يمكن لأحد من البشر أن يأتى بمثلها ولوكان من أجلاء العلماء وأكبر السياسيين وأعظم المفننين نادى الله سبحانه وتعالى على إعجازه فقال (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) ولقد تقولوا فيه الاقاويل الكاذبة ووسموه بما لا ينطبق على عقل فقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا فرد الله تعالى عليهم بقوله (قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض) وقوله (تنزيل من رب العالمين ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين وإنه لتذكرة للمتقين وإنا لنعلم أن منكم مكذبين وإنه لحسرة على الكافرين وانه لحق اليقين)

ولم يكتف «جل شأنه» بذلك حتى أقام لهم الحجج العقليه والبراهين القطعيه على دحض أقوالهم وتسفيه أحلامهم حيث قال (وكذلك أنزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذاً لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات فى

سورة	آية

أجلها ومن الصفات أكملها حتى تكمل وتجمل خاطبه بقوله (وإنك لعلى خلق عظيم) وقد جعل الله تعالى لكمال عنايته به صلى الله عليه وسلم اتباعه فى كل ما جاء به من عنده تعالى دليلا على محبته تعالى فقال (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) وقرن محبته بمحبته فى قوله (قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره) فانظر كيف فضل الله محبته صلى الله عليه وسلم على الآباء والابناء والاخوان والازواج والاقارب والاموال والتجارة والمساكن وبين أن من كانت محبته لهذه الاشياء أكثر من محبته له صلى الله عليه وسلم كان جزاؤه النكال الشديد والعقاب الاليم

فهو صلى الله عليه وسلم أحب الناس الى الله وأقربهم منزلة لديه ولذا خصه بما لم يخص به أحدا من العالمين فمن ذلك مامنحه من المنة الكبرى والنعمة العظمى (وهى القرآن الكريم) الذى جمع من علوم الاوائل والاواخر مالا يمكن الاتيان على أطرافه ولا الاحاطة باوصافه

القرآن

هو كلام الله تعالى المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وقد اشتمل على مالم يشتمل عليه كتاب منزل فضلا عن كتاب موضوع فقد اشتمل على مواعظ وآداب وأخلاق وأحكام وأمثال وترغيب وترهيب ومدح الاخيار وذم الفجار وتحذير من قبائح السجايا ومواقع الدنايا وتدبير السياسات ومراعاة الاوداء ومدافعة الأعداء وتبكيت الطغام واقامة الحجة على الخصوم واقامة الدلائل على وجود الله تعالى وتوحيده وعلى الحشر والنشر ودفع الشبه وازالة الريب ووصف دار النعيم

سورة	آية

ابن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان

أرسله الله تعالى بهذا الدين القويم والصراط المستقيم لينذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون فتلا عليهم آياته وحملهم على أن يصيروا به أزكياء طاهرين من خبائث العقائد والاعمال وعلّمهم الكتاب والحكمة ليصيبوا فى القول والعمل ويضعوا كل شئ موضعه كما أخبر الله تعالى بذلك حيث قال (هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين) فمنهم من هدى الله ومنهم من حقّت عليه الضلالة وقد مدح الله الفريق الأول وبالغ فى الثناء عليه وضرب به الامثال فى الامم الدائرة والكتب القديمة المنزلة على رسله الكرام فقال (محمد رسول الله والذين معه أشدّاء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزّرّاع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) كما ذم الفريق الثانى حيث قال (ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية) وقال (ان الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ماتبين لهم الهدى لن يضرّوا الله شيأ وسيحبط أعمالهم) الى غير ذلك من الآيات الواردة فى ذمهم وسوء عاقبتهم

وناهيك بما خص الله به نبيه صلى الله عليه وسلم من الفضل والكرامة حيث وصفه بما لم يصف به نبيا قط من الرأفة والرحمة اللتين هما أخص صفاته تعالى فقال (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم)

ولما أفاض الله سبحانه وتعالى عليه صلى الله عليه وسلم من الاخلاق

سورة	آية

لايصح لهم أن يطلبوا دينا غير دين من هذه حالة أهل السموات والارض معه وقد حث الله « جل شأنه » على اقامته والعمل بما فيه والاستمساك بعروته التى لاانفصام لها ووصى رسله بذلك وذلك لما فى اقامته من الخير والنجاح والسعادة والفلاح قال الله تعالى (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) أى شرع لكم من الدين ماوصى به هؤلاء الرسل الكرام وهم أولو العزم من الرسل والدين الذى جاء به الرسل كلهم هو عبادة الله تعالى وحده لاشريك له كما قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لااله الا أنا فاعبدون) وفى الحديث «نحن معشر الانبياء أولاد علات ديننا واحد» أى القدر المشترك بينهم واحد وهو عبادة الله تعالى وحده لاشريك له وان اختلفت شرائعهم ومناهجهم المتعلقة بمصالح الأمم فان هذه تختلف باختلاف الازمنة والامكنة كما قال تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا)

وكما حث الله سبحانه على اقامة هذا الدين والتمسك به والعمل بمقتضاه ونهى عن التفرق فيه كذلك بالغ فى الانكار على من عمل بخلافه وسعى فى تفرقته واجتهد فى عدم اقامته حتى جعل نبيه صلى الله عليه وسلم بريئا منه وكان عقابه فى الآخرة أشد وأنكى حيث يقول (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شئ انما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون)

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس

ابن

سورة	آية

الدين الاسلامى

هو ذلك الدين الذى بعث الله به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم للناس لينقذهم به من الضلاله ويبعدهم عن الغوايه ويرشدهم الى اعتقاد العقائد الصحيحة الحقة . ويهديهم الى مافيه صلاح حالهم وسعادة مآلهم وتقويم أخلاقهم وتهذيب نفوسهم بمصداق قوله تعالى (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق)

ولما فيه من هذا الخير الجسيم والفضل العميم قد امتن الله به على المؤمنين حيث يقول (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين)

ولما كان ذلك الدين هو المتكفل بمصالح الخلق وسعادتهم الدنيوية والأخروية دون غيره كان هو الدين المرضى عند الله تعالى وما عداه فليس عنده فى شئ من الدين قال الله تعالى (ان الدين عند الله الاسلام) أى ان الدين المرضى عند الله هو دين الاسلام لاغيره

ولقد شدد « جل شأنه » النكير على من طلب دينا غيره ونادى عليه بالويل والخسران حيث قال (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) وقال تعالى (أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون) أى كيف يطلبون غير دين الله وهو الاسلام (وله أسلم) أى انقاد (من فى السموات والارض) من أهل الادراك والتعقل فمنهم من كان انقياده (طوعا) وهو من أعده بأصل الفطرة لادراك الأدلة وحسن النظر فيها فانساق اليها بدون شئ ومنهم من انقاد (كرها) بالرغم عنه وهو من تقهره الأدلة على الاعتراف وان كان يجد من نفسه مقاومة فيه أى

سورة	آية	
		شَيْئاً وجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ والأَبْصارَ والأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون
غافر	٦٧	هُوَ الَّذى خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغوا أَشُدَّكُم ثُمَّ لِتَكُونوا شُيُوخًا ومِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفّى مِنْ قَبْلُ ولِتَبْلُغوا أَجَلًا مُسَمًّى ولَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون ٦٨ هُوَ الَّذى يُحْيِي ويُمِيتُ فاذا قَضَى أَمْرًا فانَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ
الفرقان	٥٣	وهُوَ الَّذى مَرَجَ البَحْرَيْنِ هٰذا عَذْبٌ فُراتٌ وهٰذا مِلْحٌ أُجاجٌ وجَعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخًا وحِجْرًا مَحْجُورًا ٥٤ وهو الذى خَلَقَ مِنَ المَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وصِهْرًا وكان رَبُّكَ قَدِيرًا
السجدة	٦	ذٰلِكَ عالِمُ الغَيْبِ والشَّهادَةِ العَزِيزُ الرَّحِيمُ ٧ الَّذى أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وبَدَأَ خَلْقَ الانسانِ مِنْ طِينٍ ٨ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ من سُلالَةٍ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ ٩ ثم سَوّاهُ وَنَفَخَ فيه مِنْ رُوحِه وجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ والابصارَ والأَفْئِدَةَ قَلِيلًا ما تَشْكُرُون
غافر	٦٢	ذٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا الٰهَ الّا هُوَ فَأَنّى تُؤْفَكُون

سورة	آية	

الله

ابراهيم ٣٢ اللهُ الَّذى خَلَقَ السَّمٰوات والأرْضَ وأنزَلَ مِنَ
السَّماءِ ماءً فأَخْرَجَ به مِنَ الثَّمراتِ رِزْقًا لَكُمْ وسَخَّرَ
لَكُمُ الفُلْكَ لِتَجْرِيَ فى البَحْرِ بأمْرِهِ وسَخَّرَ لَكُمُ الأنْهارَ
٣٣ وسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ والقَمَرَ دائبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيلَ
والنَّهارَ ٣٤ وآتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سَألْتُمُوهُ وان تَعُدُّوا نِعْمَةَ
اللهِ لا تُحْصُوها انَّ الانْسانَ لَظَلُومٌ كَفَّار .

الروم ٤٨ اللهُ الَّذى يُرْسِلُ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحابًا فَيَبْسُطُهُ فى
السَّماءِ كيف يَشاءُ ويَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ
من خِلالِه فاذا أصابَ به مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ اِذاهُمْ
يَسْتَبْشِرُونَ ٤٩ وانْ كانوا مِنْ قَبْلِ أنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِنْ
قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ٥٠ فانْظُرْ الى آثارِ رَحْمَةِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِي
الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِها اِنَّ ذلكَ لَمُحْيِي المَوْتَى وهوعَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ

النحل ٧٨ واللهُ أخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ

سورة	آية

قوى الطلبة العقلية حالا دون قراءته حسب ترتيب التنزيل أعملت الفكرة فيما يستجمع فكر التلامذة بجمع آيات كريمات من القرآن تشتمل على ما تهم معرفته مما يتعلق بالاعتقادات والعبادات والآداب ومكارم الاخلاق فاستعنت الله تعالى فى انفاذ هذه الفكرة وهو خير معين ووضعت هذه الآيات الكريمات فى هذه الاغراض المختلفة والمقاصد المتباينه وعولت على شرحها بعد الوضع شرحا لايصعب على متناوله ولا يستعصى على طالبه وقد وقع الاختيار بعد الاختبار على تقسيمها الى ثلاثة أقسام (الاول) فى الآيات التى ترشد الخلق الى معرفة الله تعالى باعتقاد وجوده واتصافه بصفات الكمال وتنزهه عن صفات النقصان والى معرفة رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام وماجاؤا به من عند الله تعالى (الثانى) فى الآيات المتعلقة بالعبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج مع بيان ما اشتملت عليه هذه العبادات من الاسرار والحكم والفوائد والمنافع (الثالث) فى الآيات المتعلقة بالآداب الفاضله والصفات الكامله ❊ وبعد أن نسقتها على هذا النسق الرائق ووضعتها على هذا الوضع الفائق عرضتها على سمو الامير علما منى بأن مثل هذا العمل يشرح صدر سموه ويسر خاطره الكريم فسر «حفظه الله» بما رأى وصدر نطقه الكريم بما جبل عليه طبعه السليم من النفع العامة والخاصة أن أشرح هذه الآيات الكريمات شرحا وافيا حتى لايحرم الكبير فائدة ثم أختصر ذلك الشرح بما يمكن للصغير تناوله ويسهل عليه تحصيله ويطبع على نفقة سموه الخاصه ليدرس فى مدارس سموه حبا من جنابه الرفيع فى تعميم النفع للعامة والخاصه وهذا أوان الشروع فى المقصود وعلى الله أتكل وعلى جنابه الرفيع أعول وإنى أسأله تعالى كما وفق لعمله أن يوفق للانتفاع به إنه ولى الرشد والسداد وعليه المعول فى المبدإ والمعاد

[redacted]

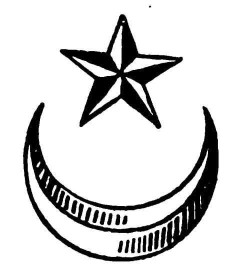
آية | سورة

لذلك قد أعظم الله به المنه وضاعف به النعمة حيث يقول (لقد منّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين) قد جعل جل شأنه للايمان به علامة تدل عليه وأمارة ترشد اليه فقال جل ثناؤه (انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لايستكبرون تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون) كما جعل جل شأنه للكفر به والاعراض عنه بيّن الدلاله وصريح المقاله فقال (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لايؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولّوا على أدبارهم نفورا)

لاجرم أن كان قائدا للخير وداعيا للرحمه ومستتبعا للمزيد من النعمه وهدى وشفاء لمن آمن به ونقمة وشقاء لمن كذب به وصدف عنه (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لايؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى)

وعلى آله البرره وأصحابه الخيّره الذين نهض بهم القرآن الى حد لم يطمع فى تناوله غيرهم ولم يصل اليه سواهم اذ جعلوه رائدهم والعمل به قائدهم فدوّخوا الممالك وفتحوا الفتوحات ونشروا الدين واللغة والمدنيه وبسطوا نور العلم والتهذيب والتربيه

(وبعد) فلما نيط بى النظر فى إدارة شؤن مدرسة القبة الخديوية سنة ١٣١١ هجريه من قبل الداورى الاكرم والمليك الاجل الأفخم ولىّ نعمتنا وحامى حوزتنا سموّ خديو مصر المعظم أفندينا (عباس حلمى باشا الثانى) أدام الله دولته وأعلى كلمته وأيد شوكته وقت بتدريس بعض العلوم الدينيه بتلك المدرسة السنيه وكان من تلك العلوم علم تفسير القرآن الجليل غير أن قصر الزمن وقصور

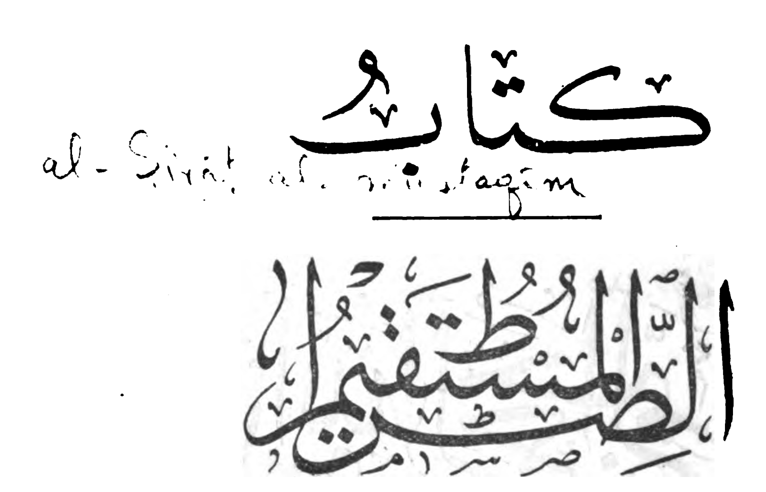




سورة	آية	
		الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين
		والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي الأمي الذي أرسله الله بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا لينذر قوما ما أتاهم من نذير من قبله لعلهم يهتدون وأنزل معه كتابا فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون
		(يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون به اهتدى الخلق الى طريق سعادتهم الدنيوية والأخروية اذ تدبروا آياته واتعظوا بعظاته واعتبروا بعبره وعملوا بخبره فوضحت لهم بذلك طرق السعادة فسلكوها وتوصلوا الى نعيم الحياة فتمتعوا به وارتفعوا الى أوج من المجد لم ينله غيرهم ولم يَسْمُ اليه سواهم

لذلك

Zanati, Ahmad



تأليف

حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ

احمد زناتي

(ناظر مدرسة القبة الخديويه)

(حقوق الطبع محفوظه للمؤلف)

(الطبعة الاولى)

بالمطبعة الكبرى الاميريه ببولاق مصر المحميه

سنة ١٣١٩

هجريه

(بالقسم الأدبي)